أسباب عذاب القبر

إعـداد
د/ جهاد محمود الأشقر
كليــة الشريعــة والقانــون
جامعـة الأزهـر



مكتبة جزيرة الورد
القاهــرة : ٤ ميــدان حليــم خلــف بنــك فيصــل
ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ٢٧٥٦٣٦٧٤
tokoboko_5@yahoo.com

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: أسباب عذاب القبر

إعـــداد: د/ جهاد محمود الأشقر

رقم الإيداع:

الطبعه الاولى ٢٠١٢

مكتبة جزيرة الورد

القاهــرة : ٤ ميــدان حليــم خلــف بنــك فيصــل

ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

[illegible]

المقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي انفرد بالقهر والاستيلاء، واستأثر بالملك والبقاء، وأذلَّ أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء، فقال ﷻ :**{وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ أَلاَ لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ}** [المائدة:٦١، ٦٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: كتب الموت على كل الخلائق، وهو حي لا يموت، فقال :**{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** [القصص:٨٨].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا الفرق بين ما كانت الآخرة همه والدنيا همه، فروى الترمذي أن الرسول ﷺ قال:**《من كانت الآخرة همَّه: جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه: جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم ينلْ من الدنيا إلا ما كتبه الله له، فلا يمسي إلا فقيراً، ولا يصبح إلا فقيراً》**.

أما بعد:

فإن هذا الامتداد الإنساني المتلاحق سيتوقف يوماً، وسيأتي اليومُ الذي ينتهي فيه الوجودُ الإنساني كله، بل سيُدمَّر فيه الكونُ كلُه، فتنطفئ نجومُ الليل جميعاً، وتتوقف أمواجُ البحر، وييبسُ الزرعُ كله، وتجف مياه الأنهار والعيون.

ولكن يجب أن يعلم الجميع أن هذا الفناء ليس هو النهاية، بل هو مرحلة في الأطوار التي يمر بها الإنسان، وسيأتي يومٌ نعود جميعاً فيه إلى الدار الآخرة؛ لنحاسب على ما قدمنا وعملنا، فقال :**{يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ}** [الحجر:٤٨].

وقال :**{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ* فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ}** [المؤمنون:١١٥، ١١٦].

والارتباط بين الدنيا والآخرة ارتباطاً وثيقاً، فالدنيا بمثابة الحرث

والزرع، والآخرة بمثابة الجني والحصاد، فالدنيا مزرعةٌ للآخرة.

قال علي :

النفس تبكي على الدنيا وما فيها وقد	:::	علمت أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها	:::	إلا الذي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنها	:::	وإن بناها بشر خاب بنيها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها	:::	فلا شك أن الموت يفنينا ويفنيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها	:::	ودارنا لخراب الدهر نبنيها
واعمل لدار غد رضوانُ خازنها	:::	والجارُ أحمد والرحمنُ ناشيها
قصورها من ذهب والمسك طينتها	:::	والزعفران حشيش نابت فيها

وإن الأرواح في القبور تتفاوت تفاوتاً كبيراً، وهذا على حسب عمل كل إنسان في الدنيا، وذلك على النحو التالي:

أولاً: أرواح الأنبياء: وهذه تكون في خير المنازل في أعلى عليين في الرفيق الأعلى، فروى البخاري أن عائشة "رضي الله عنها" سمعت الرسول في آخر لحظات حياته يقول:**اللهم إلى الرفيق الأعلى.**

والأنبياء متفاوتون في منازلهم، كما رآهم النبي ليلة الإسراء، فقال :**{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ}** [البقرة: ٢٥٣].

وقال :**{وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ}** [الإسراء:٥٥].

ثانياً: أرواح الشهداء: وهؤلاء أحياء عند ربهم يُرزقون، روى أحمد والحاكم عن ابن عباس قال: قال الرسول :**لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم، قالوا: من يبلغ عنا إخواننا أنا أحياء في الجنة نُرزق، لئلا ينكلوا عن الحرب، ولا يزهدوا في الجهاد، قال: قال الله : أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله قوله:{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}** [آل عمران:١٦٩].

وروى الترمذي والحاكم أن الرسول قال:**رأيت جعفر بن أبي طالب ملَكاً يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين.**

ثالثاً: أرواح المؤمنين الصالحين: تكون طيوراً تعلق شجر الجنة، لما رواه أحمد ومالك أن الرسول قال:**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق (يأكل) في شجر الجنة، حتى يبعثه الله إلى جسده يوم يبعثه.**

رابعاً: أرواح العصاة: وسوف تلاقي العذاب الذي يناسبها، فروح الكاذب تعذب بكلوب من حديد يدخل في شدقه حتى تبلغ قفاه، والذي نام عن الصلاة المكتوبة، يشدخ رأسه بصخرة، والزناة يُعذبون في ثقب مثل التنور ضيق أعلاه وأسفله واسع، توقد النار من تحته، والمرابي يسبح في نهر من دم، وعلى الشط من يلقمه الحجارة.

خامساً: من يكون روحه محبوسة على باب الجنة: روى أبو داود عن سمرة ابن جندب قال: صلى بنا الرسول فقال:**ها هنا أحد من بني فلان؟**، فلم يجبه أحد، ثم أجابه رجل فقال:**إن فلاناً الذي توفي احتبس عن الجنة من أجل الدين الذي عليه، فإن شئتم فافتكوه، أو فافدوه، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله .**

سادساً: أرواح الكافرين: وتكون في الأرض السفلى، قال :**{وَمَن يُشْرِكْ بالله فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}** [الحج:٣١].

ومن هذا المنطلق شرعنا بعون الله وتوفيقه في كتابة أسباب العذاب في القبر، حتى يكون الإنسان على حذر وحيطة، ويبتعد عن كل ما هو يجلب العذاب في القبر.

فالقبر كما قال الرسول في الحديث الذي رواه الترمذي والطبراني في معجميه الأوسط والكبير:**الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ.**

وفي النهاية أدعو الله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي:**{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ* إِلاَّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}** [الشعراء:٨٨، ٨٩].

وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ

د. جهاد محمود الأشقر
ميت العامل – أجا – دقهلية

* * *

السبب الأول: أكل مال اليتيم

أكل مال اليتيم

الحمد لله رب العالمين: على نعمه التي لا تعد، وعلى إحسانه الذي لا يحد، صاحب الفضل العظيم على كل أحد، فقال :{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الله لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النحل: ١٨].

سبحانه: من اعتمد عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن استعان به أعانه على مصائب الدنيا والدين، فقال :{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً} [الطلاق: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: أعلن الحرب على كل من تسول له نفسه أكل مال اليتيم ظلماً وعدواناً، فقال :{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} [النساء: ٢].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيراً} [النساء: ٢٩، ٣٠].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : أطلعه الله ليلة الإسراء والمعراج على عقاب آكل مال اليتيم ظلماً، فقال :مررت ليلة أن أسري بي بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل، وقد وكل بهم من يأخذ من مشافرهم، ثم يجعل في مشافرهم صخراً من نار، يخرج من أسفالهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل، قال جبريل : (هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً).

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام

أكل مال اليتيم سبب من أسباب عذاب القبر:

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا:

الحقيقة الأولى: إن الدين الإسلامي أقام مجتمعه الفاضل على أركان ثابتة ودعائم راسخة، ومن أهم هذه الدعائم: أن يتحققَ بين أبناء المجتمع الإسلامي روحُ التضامن والتعاون، فيأخذُ القويُ بيد الضعيف، ويشدُ المقتدرُ من أزر العاجز.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:**{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ}** [المائدة: ٢].

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى مسلم أن الرسول قال:**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن ستر على مسلم، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.**

ولعل أقوى مظاهر التضامن وأكرمها هو: أن يحرصَ المجتمعُ على حسن رعاية اليتامى، الذين فقدوا آباءَهم وأمهاتهم.

وإن الإنسان منا يستطيع أن يحكم على المجتمع بالصلاح والخير، إذا رأى اليتيم فيه معززاً مكرماً، لا يضيع وسط الزحام، ولا تسحقه الأقدام، ولا يُصبح مالُه نهباً مقسماً بين الخونة واللئام، من سفلة الناس، وشياطين البشر.

ومن هنا يمكن القول: بأن الاهتمامَ باليتيم تكريمٌ للإنسان؛ لأنه عضو في المجتمع الإنساني، فالاهتمام باليتيم تطهير المجتمع من رواسب

الجاهلية.

فالجاهلية: ليست قاصرة على زمان محدد ومكان محدد، ولكن تتواجد بالانسلاخ عن شرع الله ، وتتمثل في عبودية الإنسان لأخيه الإنسان، واستذلال الإنسان لأخيه الإنسان.

من الجاهلية: من يرفض اليتيمَ عضواً في المجتمع، ويُسقطُه من عضوية المجتمع.

مــن الجاهليــة: أن يتواجد من يزدري اليتيمَ ويحتقره، ويرفض الاعتراف به، وذلك بإهماله في العلاقة، والتهام ماله.

من الجاهلية: أن يتواجدَ الذي يستخف باليتيم، ويستهزأ به، ويسخر منه، ويهينه، ويوجه له الإهانة القولية والفعلية.

ولذلك نجد القرآن الكريم بين أن من يصدر منه هذا السلوك المشين، تصاب عقيدته بتشويه فادح، ويعرض نفسه لغضب المنتقم الجبار، فقال :{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ} [الماعون: ١، ٢].

أي: أعلمت يا محمد أن الذي يكذب بيوم الميعاد والحساب والجزاء: إنه الذي يقهرُ اليتيمَ، ويظلمُه، ويدفعُه دفعاً عنيفاً، بغلظة وشدة وقسوة، إنه الذي لا يعامله برفق ولين.

الحقيقة الثانية: إن الاهتمام بأمر اليتيم كان منذ الفترة الأولى من نزول الوحي على قلب الحبيب محمد ، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ * فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُباً جَماً * كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكاً دَكاً * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي* فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ

عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} [الفجر: ١٤ - ٢٦].

وقال ممتناً على حبيبه :{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى} [الضحى: ٦ - ٨].

فلقد نشأ الرسول يتيماً، فكان يتمُه تشريفاً لكل يتيم، وتولى الله رعايته، فآواه، وأيده، وأحاطه بعنايته ورعايته وحفظه وفضله، فكان النبي فقيراً فأغناه الله ، وذلك بالقناعة والرضا، ثم أفاض عليه بعد ذلك بالمال الوفير الحلال الطيب، وكان شارداً تائهاً يبحث عن الحق في شعاب مكة وربوعها، في بيئة جاحدة، وبين نفوس شاردة، فهداه الله للحق، وطمأن قلبه، وشرح صدره، ورفع ذكره، ووضع وزره، ومنَّ الله عليه بكل هذه الأفضال والنعم، ومن ثمَّ جاء هذا التوجيه الرباني الكريم للرسول ، إلى إكرام اليتيم، والنهي عن كسر خاطره، فقال :{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: ٩ - ١١].

بل لعلكم تتعجبون إذا قلت: أن الله أبر وأرحم وأعدل باليتيم من والديه، فقد أوصى الله الوالدين بأولادهما تقريراً للمبدأ العام في الميراث، فقال :{يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ} [النساء: ١٠].

روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: لما نزلت الفرائض التي فَرَضَ الله فيها ما فرض، للولد الذكر والأنثى والأبوين، كرهها الناس أو بعضهم، وقالوا: تُعطى المرأة الربع، أو الثمن، وتعطى البنت النصف، ويعطى الغلام الصغير، وليس أحد من هؤلاء يقاتل القوم، ولا يحوز الغنيمة، اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول الله ينساه، أو نقول له فيغير، فقال بعضهم: يا رسول الله، تُعطي الجارية نصف ما ترك أبوها، وليست تركب الفَرَس، ولا تقاتل القوم، ونُعطِي الصبي الميراث وليس يُغني شيئا، وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية، لا

يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم، ويعطونه الأكبر فالأكبر، فنزل قول الله :{تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [النساء: ١٣، ١٤]

فكان الله أرحم من كل أب ومن كل أم، فشرع الوصية الواجبة لليتيم الذي مات أبوه في حياة جده، فقال :{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٨٠].

وقال :{وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً} [النساء: ٨].

بل جعل الله لليتيم نصيباً من مال الغنيمة، فقال :{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأنفال: ٤١].

وجعل له نصيباً من مال الفيء، فقال :{مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: ٧].

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد بل الأمر بالإحسان إلى اليتيم لم يكن خاصاً بأمة الحبيب فحسب، بل لقد أمر الله بذلك الأمم من قبل أمة النبي ، بل لقد أخذ الله هذا الأمر ميثاقاً جامعاً من بين المواثيق الجامعة التي أخذها على بني إسرائيل، فقال :{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ} [البقرة: ٨٣].

الحقيقة الثالثة: إن الرسول جعل العناية بأمر اليتيم والاهتمام بشأنه سبباً في رفقته في الجنة، ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين** أسمعت يا عبد الله؟ يقول الرسول الله : (**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**)، وأشار النبي بالسبابة والوسطى.

وفي رواية لمسلم: قال :**كافل اليتيم له أو لغيره** - أي إذا كان اليتيم من قرابته، أو كان اليتيم أجنبياً عنه لا يعرفه - **معي في الجنة كهاتين** وأشار بالسبابة والوسطى، الله أكبر! فأي فضل وأي شرف يضاهي هذا الشرف، وذلك بأن يكون مرافقاً للنبي في الجنة.

قال ابن حجر في الفتح نقلاً عن ابن بطال: حق على كل من سمع بهذا الحديث أن يعمل به؛ ليكون رفيقَ النبي في الجنة، فهي أفضل منزلة في الآخرة.

فالواجب على كل مسلم يريد أن ينال شرف رفقة الرسول في الجنة، فليعمل على كفالة اليتيم والإحسان إليه، فرفقة الرسول في الجنة أفضل منزلة في الآخرة.

وروى أبو يعلى أن النبي قال:**أنا أول من يفتح بابَ الجنة، فأرى امرأة تبادرني** – أي تُسرع خلفي لتدخل معي إلى الجنة – **فأقول لها: مالكِ؟ من أنتِ؟ فتقول المرأة: أنا امرأة قعدت على أيتام لي** امرأة جلست تربي أيتامها بعد موت زوجها، تسارع رسول الله لتدخل معه الجنة.

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد بل أقسم الرسول أن الله لا يعذب من رحم اليتيم، فروى الطبراني أن الرسول قال: (**والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم، ولان له في الكلام، ورحم يتمه وضعفه، ولم يتطاول على جاره بفضل ما أتاه الله**).

الحقيقة الرابعة: إن اليتيم في الإسلام له حالتان:

الحالة الأولى: أن يموت أبوه ويترك له مالاً: فتتكفل به أمُه، أو أحدُ

أقاربه، فيحفظ له ماله، ولا يقربه إلا بالحسنى، ثم يؤديه إليه حين يرى أنه يستطيع التصرف فيه بالحسنى.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحالة، فقال:{وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً} [الإسراء: ٣٤].

الحالة الثانية: أن يموت أبوه ولم يترك له مالاً: فهذا يُنفَقُ عليه من باب التعاون على البر والتقوى، ويحسن إليه من مال المسلمين.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحالة، فقال:{لَيْسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٧].

فصناعة البر ليست مقصورة على التوجه إلى القبلة، والدخول في الصلاة عند النداء وفقط، ولكنها أعم وأشمل، فتشمل الإنفاق على اليتيم القريب الفقير، وأن يكون له نصيب في ماله، فالأقربون أولى بالمعروف.

وسأل الصحابة الرسول ماذا ننفق من أموالنا، وأين نضعها، فنزل قول الله :{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٧٣].

ويكون الإنفاق على اليتيم ابتغاء وجه الله ، مصداقاً لقوله : {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ اليَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً

وَحَرِيراً * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً} [الإنسان: ٨ - ١٤].

ومن ثم فلا تلازم بين الفقر واليتم، فقد يكون اليتيم فقيراً، وقد يكون غنياً، ومشكلته غنياً لا تقل عن مشكلته فقيراً، فإن كان فقيراً فمشكلته قلة المال، وإن كان غنياً فمشكلته العجز عن التصرف في المال، فمن أجل ذلك قد عني الإسلام بالأيتام عناية كبيرة.

الحقيقة الخامسة: من هو اليتيم؟ اليتيم في الإسلام هو: من مات عنه أبوه وهو دون الحلم، لا يعي أمراً ولا يدرك تصرفاً، فإذا بلغ لا يسمى يتيماً، وقد يفقد أبويه جميعاً فيكون أعظم حاجة، وأشد تأثراً.

أخوة الإسلام:

لقد اهتم الدين الإسلامي اهتماماً بالغاً بأموال اليتامى، فتعالوا معي لنتعرف كيف اهتم الدين الإسلامي بها.

أولاً: جعل الله مالَ اليتيم بمثابة الأمانة: فمال اليتيم عند الولي أو الوصي أمانة، فتجب المحافظةُ عليه، وعدم القرب منه، إلا بالتي هي أحسن، ولقد أشار المولى إلى ذلك، فقال:{وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ الله أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: ١٥٢].

وقال :{وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً} [الإسراء: ٣٤].

وفي هذه الآية إشارة من الله بأن الوصي على اليتيم كأنما عاهد الله على المحافظة على مال اليتيم، فأمره الله بضرورة الوفاء بهذا العهد، ويكون ذلك بالمحافظة على الأمانة الموكل بحفظها وصيانتها، فقال :{وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً} [الإسراء: ٣٤]، وقال :{وَبِعَهْدِ الله أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: ١٥٢].

ولعظم تلك الأمانة وعظم السؤال عنها يوم القيامة، نهى الرسول أبا ذر أن يتولى أمر اليتيم، فروى مسلم وأبو داود أن الرسول قال موصياً أبا ذر ﷺ : (يا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ).

ثانياً: عدم تبديل مال اليتيم: ويكون التبدِّيل بأن يأخذ وليُ اليتيم ما سمن وطاب من مال اليتيم لنفسه، ويعطيه ما ضعف وما هذل، طمعاً في ماله، فنهى الله عن ذلك، فقال :{وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} [النساء: ٢].

ثالثاً: التحذير من المبادرة والإسراع إلى أكل مال اليتيم: وبالتحديد قبل أن يكبرَ أصحابُها؛ ليأخذوها، فإن هذا من أعظم الذنوب والآثام، فقال :{وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ} [النساء: ٦].

رابعاً: عدم الإسراف في الإنفاق: فإن كان الولي أو الوصي غنياً، فعليه أن يستعفف عن الأكل من مال اليتيم، وإن كان الولي أو الوصي فقيراً فله أن يأكل بالمعروف من غير إسراف ولا تبذير، وفي أضيق الحدود، فقال :{وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً} [النساء: ٦].

وروى ابن ماجه والبيهقي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَجُلاً أَتَى رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: إِنِّي فَقِيرٌ، لَيْسَ لِي شَيْءٌ، وَلِي يَتِيمٌ، فَقَالَ : (كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ، غَيْرَ مُسْرِفٍ، وَلاَ مُبَادِرٍ، وَلاَ مُتَأَثِّلٍ).

أي: مدخر، أو جامع، وهذا ما عناه رب العالمين بقوله:{فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: ٦] أي: بالتي هي أحسن.

وقد فسر الإمام ابن الجوزي (رحمه الله) الأكل بالمعروف علي أربعة أقوال:

القـول الأول: أن يأخذ من مـال الفقير علـى وجـه القرض، فـإذا رزق سدد.

القول الثاني: أن يأكل بقدر الحاجة من غير إسراف ولا تعد.

القول الثالـث: أن يأخذ بقدر مـا عملـه لليتيم من عمل، أي بقدر الأجرة.

القول الرابع: أن يأخذ عند الضرورة علي جهة القرض، فإن تيسر سدد، وإن لم يتيسر فهو في حل.

ولذلك يقول عمر بن الخطـاب ﷺ : " **أنزلـت نفسي مـن مـال الله منزلة الولي من مال اليتـيم، إن اسـتغنيت اسـتعففت، وإن افتقـرت أكلـت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت** ".

خامساً: **الاتجـار في مـال اليتـيم**: فلو تُـرك مـالُ اليتيم بدون تجـارة، فيضيع فـي إخـراج الزكـاة منـه، وربمـا تضعف قيمتـه الشرائية، فروى البيهقي أن الرسول قال: (**ابْتَغُوا فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى، لاَ تَسْتَهْلِكُهَا الصَّدَقَةُ**).

وفـي روايـة عبد الـرزاق فـي مصنفه أن الرسـول قـال:**ابتغـوا في أموال اليتامى، قبل أن تأكلها الزكاة**.

سادساً: **وجوب رد مال اليتـيم إليـه إذا بلـغ**: أي: إذا بلـغ النكـاح، أو مرحلة الرشد والنضج، وأصبح قـادراً علـى تصريف أمره، وتـدبير شئونه، والمحافظة على ماله، فقـال :{وَابْتَلُـواْ الْيَتَـامَى حَتَّـىَ إِذَا بَلَغُـواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} [النساء: ٦].

ومن هنا يجب على المسلم أن يُنزِّلَ اليتيمَ منزلة ابنـه، وينصحه بما ينصح به ابنه، ولا يضربه إلا بما يضرب بـه ابنـه، ويعلمـه، ثم يبتليـه، أي: يختبره، فقال :{وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى}وابتلاء اليتيم: اختبـار تصرفاته عن طريق مراقبـة هذه التصرفات، هل رشد فـي تصرفاته أم لا؟، وذلـك بإعطائه جزءًا من ماله يتصرف فيه، فإن أحسن التصرف ونماه، أعطاه الباقي.

ولو عاد السفه إلى اليتيم في التصرفات المالية، تفرض الوصاية من جديد، ويحجر على تصرفات اليتيم، فقال :{وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ الله لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً} [النساء: ٥].

سابعاً: الإشهاد عند دفع المال لليتيم: وذلك إبراءً للذمة، ودرأً للشبهة، فقال :{فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِالله حَسِيباً} [النساء: ٦].

وذهب المالكية والشافعية إلى أن الأمر هنا للوجوب، وذهب الحنفية إلى أن الإشهاد مندوب وليس بواجب، وفي ذلك وقاية من التهم، وحماية لأموال الأيتام أن تُلتهَمَ.

ويا لها من خاتمة جليلة:{وَكَفَى بِالله حَسِيباً} فالله هو الرقيب علينا، الشهيد على أعمالنا وأقوالنا وأحوالنا، يحاسبنا على ما أظهرنا وما أسررنا، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

فو الله إنها لكلمة تتصدع منها الجبال، وتتفطر لها القلوب الحية المؤمنة، أي وكفى بالله محاسباً وشاهداً ورقيباً على الأولياء في حال نظرهم للأيتام، وتسليمهم الأموال، هل هي كاملةٌ موفورةٌ، أو منقوصةٌ مبخوسةٌ، فالله عالم بذلك كله، وسيحاسب عليها يوم القيامة.

وفي هذا يقول المولى :{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧].

ثامناً: الأكل من مال اليتيم بدون حق شرعي من الموبقات: فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هُنَّ؟ قال :الشرك بالله، والسحرُ، وقتلُ النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكلُ مال اليتيم، وأكلُ الربا، والتولي يوم الزحف، وقذفُ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمنات.

وروى أحمد والبيهقي وابن ماجه أن الرسول قال:اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ، وَالْمَرْأَةِ.

ومعنى (أُحَرِّجُ) أي: ألحق الحرج والإثم الشديد على من ضيع حقهما، وأكل مالهما، فإني أحذر من ذلك تحذيراً بليغاً، وأزجر عنه زجراً كبيراً.

تاسعاً: النار لمن أكل مال اليتيم ظلماً: فالله توعد بالنار لمن أكل مال اليتيم ظلماً، فقال :{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} [النساء: ١٠].

وعن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية، انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء فيحسن له حتى يأكله أو يفسد، اشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ، فأنزل الله قوله:{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ واللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٢٠] فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم.

ويجب أن يعلم الجميع أن كل الآيات السابقة تشتمل على اليتيم واليتيمة، إلا أن الله قد خص اليتيمة أيضاً بهاتين الآيتين، زيادة في تأكيد حقها وتوضيحه، فيقول :{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ} [النساء: ٣].

ويقول :{وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء الَّلاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً} [النساء: ١٢٧].

وروى البخاري ومسلم أن عروة بن الزبير سأل عائشة رضي الله عنها عن

قول الله : {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ} [النساء: ٣].

فقالت عائشة : يا ابن أختي: هذه اليتيمة تكون في حجر وليها، تُشركه في ماله، ويعجبه مالُها وجمالُها، فيريد ولُيها أن يتزوجها بغير أن يُقسطَ في صَداقِها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيرُه، فنُهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا لهن أعلى سُنَّتهنَّ في الصداق، وأُمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.

قال عروة : قالت عائشة : وإن الناس استفتوا رسول الله بعد هذه الآية، فأنزل الله : {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً} [النساء: ١٢٧].

فيا من تقوم بالوصاية على أموال اليتامى، اعلم أنك مؤتمن على تلك الأمانة العظيمة، فلا تُفرط في هذا المال، ولا تضعه إلا فيما يصلح أحوال اليتامى، ويُنمي أموالهم، واعلم بأن الدنيا لا تدوم لأحد، وأنك ستعرض على الله ، فقال : {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً * وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً * وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} [الكهف: ٤٧ - ٤٩].

وقال : {يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ} [الانشقاق: ٦].

واعلم بأن أبناءك قد يُحرمون منك، آجلاً أو عاجلاً، ويُصبحوا

يتامى!، فهل ترضى لهم بكل ما تصنعه مع هؤلاء الأيتام؟!.

فيا أخي الحبيب، أعلنها توبة لله ، وردّ الحقوق إلى أهلها قبل أن يكون يوماً لا درهم فيه ولا دينار، وإنما يكون التعامل بالحسنات والسيئات، فيأتيك اليتيم يشكوك إلى الله ، ويقول: يا رب هذا ظلمني، وأخذ حقي، ويأتيك آخر ويقول: هذا ضربني، فتنظر يا مسكين إلى حسناتك وهي تذهب يميناً ويساراً، حتى لا تجد حسنة واحدة، فإياك يا أخي من الظلم، فإن دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويقول:وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين، فما بالك إن كانت الدعوة من يتيم؟!.

واعلم بأن إخلاص النية لله تعينك على كل خير، فما عليك إلا أن تخلص النية لله في أن تبدأ صفحة جديدة؛ لتكون عوناً لليتامى، فتأخذ بأيديهم إلى بر الأمان؛ لتكون رفيق النبي في الجنة، ويا له من فوز عظيم، فهيا إلى شاطئ الطاعة، ودعك من بحر الذنوب.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف كيف يؤمن الإنسان منا مستقبل ولده بعد موته؟ والجواب من الله ، حيث يقول:{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا الله وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً} [النساء: ٩]، جوابٌ محكمٌ من الذي خلق، ويعلم ما خلق، ومن خلق.

يقول أحد التابعين لولده: إني سأكثر من الطاعات براً بك، براً بولده، قال :{وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ} [الكهف: ٨٠]، ويقول :{وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً} [الكهف: ٨٢]، فطاعة الوالد، وتقوى الوالد لا يضيعان أبداً، لا في حياته، ولا بعد مماته.

واسمع معي أخي المسلم إلى مسلمة بن عبد الملك ابن عم عمر بن عبد العزيز، وقد دخل عليه وهو على فراش الموت، فقال له: يا أمير المؤمنين: ألا توصي لأولادك بشيء؟ فهم كثير، وقد أفقرتهم،

ولم تترك لهم شيئاً، فقال عمر بن عبد العزيز: أتريد مني أن أوصي لهم بما ليس لي، وهل أملك شيئاً لأوصي لهم به؟ أم تريد أن أوصي لهم بحقٍ لغيرهم، فوالله لا أفعل، فإنهم أحد رجلين: إما أن يكونوا صالحين، والله يتولى الصالحين، وإما أن يكونوا غير صالحين، فوالله لا أترك لهم ما يستعينون به على معصية الله .

أدخلوا أولادي عليَّ! فأدخلوا أولاده عليه كالفراخ الصغيرة، وهو على فراش الموت، فودعهم عمر بهذه الكلمات التي تذيب الحجارة، وتفتت الصخور، نظر عمر إلى أولاده وقال: يا بني: إن أباكم قد خُيِّرَ بين أمرين: بين أن تستغنوا ويدخلَ النار، وبين أن تفتقروا ويدخلَ الجنة، وقد اختار أبوكم الجنة، انصرفوا فأنتم وديعةٌ عند الله ، الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.

وصدق الله إذ يقول:{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً} [النساء: ٩]

وأحب ألا يفهم كلامي خطأً، ويقال: بأنه لا بد أن ينقطع الآباء إلى العبادة، وينشغلوا عن الدخول في الأسباب؛ لتوفير المال الحلال الطيب لورثتهم، كلا، فإن الأمر بالتقوى لا يعارض البتة الدخول في الأسباب، فإن الدخول في الأسباب أمر واجب شرعاً، فيجب على الجميع أن يأخذوا بالأسباب.

وعلى هذا الأساس: لا يوجد مانع شرعي أن تدبر المال الحلال الطيب لولدك، ولا مانع من أن تسعى ومن أن تكدح، شريطة ألا تضيع حق الله ، أو حق ولد من أولادك، فإن كثيراً من الناس قد يظن أن الكدح والسعي على الأولاد لا حرج فيه أن يضيع الصلوات، وإذا ما قلت له ذلك، يرد عليك ويقول: أليس العمل عبادة؟ أنا في عبادة، فلماذا أترك هذه العبادة لآتي للصلاة، فنقول لمن هذا حاله: لا حرج أن تسعى على رزقك من الحلال؛ لتيسر لأولادك السعة والرخاء في

الدنيا وبعد موتك، شريطة ألا يشغلك هذا الكدح عن حق الله ، أو عن حقوق أولادك.

فروى مسلم عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: " جَاءَ النَّبِيُّ يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا، قَالَ:يَرْحَمُ الله ابْنَ عَفْرَاءَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟، قَالَ:لا، قُلْتُ: فَالشَّطْرُ؟، قَالَ:لا، قُلْتُ: الثُّلُثُ؟، قَالَ:فَالثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، حَتَّى اللُّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ، وَعَسَى الله أَنْ يَرْفَعَكَ فَيَنْتَفِعَ بِكَ نَاسٌ، وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَئِذٍ إِلا ابْنَةٌ.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله لآكل مال اليتيم ظلماً.

أما العقوبات الدنيوية فهي ما يأتي:

أولاً: محق البركة وخراب البيوت: فقال :{فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [النمل: ٥٢].

ثانياً: الهلاك والانتقام: قال :{فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} [إبراهيم: ١٣].

ثالثاً: تشديد سكرات الموت: فقال :{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى الله غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

رابعاً: الخيبة: قال الله :{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً} [طه: ١١١].

خامساً: عدم محبة الله : قال :{إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى: ٤٠].

أما العقوبات التي في القبر: فهي ما يأتي:

أولاً: الأكل من النار: وذلك بصورة بشعة مرعبة، فقال ابن كثير: قال ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله، ما رأيت ليلة أسري بك؟، قال : (انطلق بي إلى خلقٍ من خلق الله كثير، رجال كل رجل منهم له مشفر كمشفر البعير، وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم، ثم يُجاء بصخرة من نار فتقذف في فِيّ أحدهم، حتى يخرج من أسفله، لهم جؤار وصراخ، قلت يا جبريل من هؤلاء؟) قال جبريل ﷺ : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنما يأكلون في بطونهم ناراً، وسيصلون سعيراً.

ثانياً: الخروج من القبر وفي فمه نار: روى ابن أبي حاتم أن رسول الله قال:يُبعث يوم القيامة القوم من قبورهم، تأجج أفواههم ناراً، قيل: يا رسول الله من هم؟، قال :ألم تر أن الله قال:{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا}.

وقال السُدِّيُ: يُبعث آكلُ مال اليتيم يوم القيامة، ولهب النار يخرج من فيه، ومن مسامعه، وأنفه، وعينيه، يعرفه كل من رآه بآكل مال اليتيم.

أما العقوبات الأخروية فهي ما يأتي:

أولاً: اللعن: قال :{وَنَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ} [الأعراف: ٤٤]

وقال :{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر: ٢٥]

ثانياً: القصاص يوم القيامة: روى البخاري وأحمد والحاكم أن الرسول قال:يَحْشُرُ الله الْعِبَادُ عُرَاةً غُرْلاً بُهْمًا قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ :لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ

الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ؟ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي الله عُرَاةً غُرْلاً بُهْمًا، قَالَ : بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ قال: وتلا رسول الله قول الله :{الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ الله سَرِيعُ الْحِسَابِ} [غافر: ١٧]

ثالثاً: العذاب الأكبر: قال :{وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً} [الفرقان: ١٩]، وهذا على وجه الإجمال، ثم فصل الله هذا العذاب الكبير، فقال :{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً} [الكهف: ٢٩].

وعلى وجه الخصوص في آكل مال اليتيم ظلماً، قال:{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} [النساء: ١٠].

أي إذا أكلوا مال اليتامى بلا سبب، فإنما يأكلون في بطونهم ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة، وهذه النار التي يأكلونها هي من نار جهنم، يروى أنهم يلقمون جمرات في النار تحرق أجوافهم، أو أنهم يسقون من الحميم الذي هو أشد حرارة مما يتصور، كما في قوله : {وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} [محمد: ١٥].

رابعاً: المكث في النار: قال :{وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِياً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً} [مريم: ٧١، ٧٢].

* * *

السبب الثاني الحسد

الحسد

أسباب عذاب القبر

الحسد

الحمد لله رب العالمين: على نعمه التي لا تعد، وعلى إحسانه الذي لا يحد، صاحب الفضل العظيم على كل أحد، فقال :{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الله لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النحل: ١٨].

سبحانه: من اعتمد عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن استعان به أعانه على مصائب الدنيا والدين، فقال :{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً} [الطلاق: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: أمر نبيه محمداً أن يتعوذ من شر الحاسد إذا حسد، فقال :{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ* وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق: ١ - ٥].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن الحاسد عدو لنعم الله ، فروى الطبراني في معجمه الأوسط أن الرسول قال:إن لنعم الله أعداء، قيل: ومن أولئك يا رسول الله؟، قال :الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب عذاب القبر، ألا وهو: الحسد، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن تناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: إن الله اختص لنفسه أشياء لا يجوز لنا نحن البشر أن نعترض على الله فيها، ومن هذه الأشياء التي اختصها الله لنفسه: صفة العطاء والمنع، فالله يعطي لمن يشاء، ويمنع عمن يشاء، ولا مرد لحكمه، ولا معقب لقضائه.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

فالله هو المتصرف في الكون كله حسب إرادته ومشيئته، فالله قد يعطي هذا، ويحرم هذا، وهو الذي يرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، وهو الذي يفضل بعض الناس على بعض، ويرفع بعض الناس على بعض، وهو الحكيم في أفعاله، العليم بأسرار خلقه، فقال : {كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً* انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً} [الإسراء: ٢٠، ٢١].

وقال :{وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣١، ٣٢].

فلا ينبغي لمخلوق مهما كانت مكانته أن يعترض على قضاء الله ، أو يتسخط على قدره، فإن ذلك لا يغير من أمر الله شيئاً؛ لأن الله غالب على أمره، وهو فعال لما يريد، فقال :{مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الحَكِيمُ} [فاطر: ٢].

الحقيقة الثانية: إن النجاة يوم القيامة جعلها الله لمن طهَّر قلبه من دنس الحسد، وخلا فؤادُه من رجس الحقد، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٧ - ٨٩].

بل بشر الرسول بالجنة لمن بات لا يحسد أحداً، فروى أحمد عن أنس بن مالك قال: كنا يوماً جلوساً مع رسول الله فقال: (يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة)، قال: فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته من ماء وضوئه، قد علق نعليه في يده بشماله، فسلم.

فلم كان من الغد، قال النبي مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما كان يوم الثالث، قال الرسول مثل مقالته، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال: إني لاحيت (خاصمت) أبي، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيتَّ أن تؤويني إليك ثلاثاً حتى تمضي الثلاثة الأيام فعلت، قال: نعم.

قال أنس بن مالك : فكان عبد الله بن عمرو بن العاص يُحَدِّثُ أنه بات معه ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعار، أو قال: انقلب على فراشه، ذكر الله وكبر، حتى يقوم لصلاة الفجر.

قال عبد الله بن عمرو غير أني لم أسمعه إلا خيراً، فلما مضت الثلاث الليالي، كدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله: لم يكن بيني وبين والدي غضب، ولا هجر، ولكني سمعت رسول الله يقول لك ثلاث مرات: **يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**، فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك؛ لأنظر ما عملك فأقتدي بك، فلم أرك

تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ، قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي على مسلم غشاً، ولا أحسد على خير أعطاه الله إياه، قال عبد الله بن عمرو بن العاص : قلت: هي التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق.

ولذلك نجد أن الله مدح أصحاب القلوب السليمة، والنفوس الصافية، فقال :{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩].

الحقيقة الثالثة: إن الحسد والإيمان لا يجتمعان البتة في قلب الإنسان، فإذا وجد الحسد في القلب خلا وذهب منه الإيمان، وارتفع عن صاحبه، وإذا ارتفع الإيمان فقد خاب العبد وخسر، وإذا حل الإيمان بقلب صاحبه، ارتفع الحسد، فهما نقيضان لا يجتمعان أبداً؛ لأن الحاسد معترض على قضاء الله وقدره، والاعتراض على القضاء والقدر مناف للإيمان.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى أحمد والحاكم وابن حبان أن الرسول قال:**شيئان لا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان، والحسد.**

بل الأعجب من هذا كله: أن النبي بين أن الناس بخير، طالما أن الحسد بعيد عن قلوبهم، طالما أن الحقد والغل بعيد عن صدورهم، فإذا ما تحاسد الناس ذهب الخير، وحل مكانه البغض والشر، فروى الطبراني أن الرسول قال:**لا يزال الناس بخير، ما لم يتحاسدوا.**

فالواجب على كل مسلم يريد الخير لنفسه ولغيره أن يبتعد عن الحسد، وإلا خسر الدنيا والآخرة.

الحقيقة الرابعة: ما هو الحسد؟ الحسد هو: تمني زوال نعمة الغير،

فالحاسد لا يهدأ له بال إلا إذا زالت النعمة عن غيره، ولا يرضيه شيء غير زوال النعمة، وفي هذا يقول معاوية بن أبي سفيان : " كل أحد أقدر على رضاه، إلا حاسداً لنعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوال هذه النعمة".

الحقيقة الخامسة: إن الحسد ينقسم إلى ثلاثة أنواع: اثنان مذمومان، وواحد محمود، فأما النوعان المذمومان فهما:

النوع الأول: أن يتمنى الحاسد زوال نعمة الغير، ويكون هذا النوع بالقلب الذي سيطر عليه الشيطان، وبالنفس الأمارة بالسوء.

النوع الثاني: الحسد بالعين، وهو أشد الأنواع ضررا، وأخطرها على الإطلاق، وهذا النوع قد ثبت بالقرآن والسنة، فأما القرآن فقول الله :{وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [يوسف: ٦٧].

قال جمهور المفسرين: إنه خشي عليهم العين، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال، وهيئة حسنة، ومنظر وبهاء، فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم، فإن العين حق، تستنزل الفارس عن فرسه.

وقال :{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً} [النساء: ٥٤].

ويقول الله للرسول :{وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ} [القلم: ٥١].

يقول ابن كثير: قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: يحسدونك بأعينهم؛ لبغضهم إياك، لولا وقاية الله لك، وحماية إياك منهم.

وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله ، فروى أبو نعيم وحسن الحديث الشيخ الألباني أن الرسول

قال:العين تدخل الرجل القبر، وتدخل الجمل القدر.

وروى مسلم أن الرسول قال:**العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين.**

والفرق بين الحسد بالعين والحسد بالقلب ما يأتي:

١ - أن الحسد بالقلب يتأتى عن الحقد والبغض وتمني زوال النعمة، وأما الحسد بالعين فيكون سببها الإعجاب والاستعظام والاستحسان.

٢ - الحسد بالقلب يمكن أن يحدث في الأمر المتوقع قبل وقوعه، بينما العائن لا يعين إلا الموجود.

٣ - لا يقع الحسد بالقلب إلا من نفس خبيثة حاقدة، لكن الحسد بالعين قد يقع من رجل صالح، فروى أحمد والطبراني وابن ماجه وابن حبان أَنَّ رَسُولَ الله خَرَجَ، وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَكَّة، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِشِعْبِ الْخَزَّارِ مِنْ الْجُحْفَةِ، اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَكَانَ رَجُلاً أَبْيَضَ، حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْجِلْدِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ أَخُو بَنِي عَدِيٍّ ابْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، فقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ولا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ في خدرها، فَلُبِطَ سَهْلٌ، فَأُتِيَ رَسُولُ الله فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ الله: هَلْ لَكَ فِي سَهْلٍ، والله مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، وَمَا يُفِيقُ، قالَ :هَلْ تَتَّهِمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ؟.

قالُوا: نَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَة، فَدَعَا رَسُولُ الله عَامِرًا، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ، وَقالَ:**عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، هَلَّا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ.**

ثُمَّ قالَ لَهُ:اغْتَسِلْ لَهُ، فغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَة إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صُبَّ ذَلِكَ الْمَاءُ عَلَيْهِ يَصُبُّهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهْرِهِ مِنْ خَلْفِهِ، يُكْفِئُ الْقَدَحَ وَرَاءَهُ، فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ.

أما الحسد المحمود: فهو أن يتمنى المرء أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه، وهذا ما يسمى بالغبطة، وهذا ما أشار إليه الرسول ، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها الناس.

إخوة الإسلام:

إن الحسد يؤثر في العلاقات الإنسانية، والصلات الاجتماعية، فما وقعت أو حدثت جريمة، وما قتل بريء، وما دبرت مكيدة، وما بُيتت مؤامرة، وما حُرم مُستحق من حقه، وما حورب رسول، وما هوجمت رسالة، إلا والحسد السبب الأصيل فيها، فتعالوا معي لنتعرف على أضرار الحسد.

أولاً: عصيان إبليس أمر الله بالسجود لآدم: فالله حينما خلق آدم ، ونفخ فيه من روحه، أمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا جميعاً ما عدا إبليس، فرفض السجود لآدم؛ لأنه حسده على نعم الله عليه، وفي هذا يقول المولى :{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} [الأعراف: ١١ - ١٣].

ثانياً: أول جريمة قتل على وجه الأرض كانت بسبب الحسد: فقال : {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}

[المائدة: ٢٧ - ٣٠].

ثالثاً: الحسد سبب في عقوق الأبناء للآباء: وهذا واضح في قصة سيدنا يوسف ، فقد وصف إخوة يوسف أباهم بالضلال، فقال :{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} [يوسف: ٧، ٨].

رابعاً: الحسد كان سبباً في حرمان يوسف من حنان أبيه: وذلك بإلقائه في البئر، وفي هذا يقول المولى :{اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ* قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ} [يوسف: ٩، ١٠].

خامساً: الحسد كان سبباً في فقد سيدنا يوسف حريته، وأن يصير عبداً: فقال :{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً والله عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} [يوسف: ١٩، ٢٠].

سادساً: الحسد كان سبباً في أن يتهم سيدنا يوسف بالسرقة: فقال :{قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً والله أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} [يوسف: ٧٧].

سابعاً: الحسد كان سبباً في عدم إيمان اليهود: فلقد بين القرآن أن اليهود رفضوا الإيمان بالرسول بسبب الحسد، فقال :{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ١٠٩].

ثامناً: الحسد كان سبباً في عدم إيمان كفار مكة: فلقد بين القرآن الكريم أن كفار مكة رفضوا أن يؤمنوا بالرسول بسبب الحسد، فقال :

{وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣١، ٣٢].

ومن أجل هذا كله: نجد أن الله في آخر آيات القرآن الكريم، أمر نبيه محمداً وأمته أن يتعوذوا من شر الحاسد، فقال :{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق: ١ - ٥].

ولقد نهانا الرسول عن الحسد، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا.

وروى أبو داود والبيهقي وابن ماجه أن الرسول قال:إِيَاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الحسَدَ يَأْكُلُ الحسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحطَبَ.

ولقد تبرأ الرسول من الحاسد، فروى الطبراني أن الرسول قال:لَيْسَ مِنَّي ذو حَسَدٍ، ولا نميمة، ولا كهانة، ولا أنا منه، ثم تلا الرسول قول الله :{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً} [الأحزاب: ٥٨].

أيها المسلم: دع الله يقسم رحمته على عباده، يخص من يشاء من منصب وثروة وجاه وعلم، فإن كان لك نصيب فيها فاحمد الله ، وإن لم يكن لك فيها نصيب فقل: قدر الله وما شاء فعل.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف كيف يدفع الإنسان الحسد، أو بمعنى آخر أساليب الوقاية من الحسد.

أولاً: التعوذ بالله من شر الحاسد: فقال :{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

الفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق: ١ - ٥].

مثـال: المدرس الذي سأل تلاميذه كيف يستعيذون من كلب الحراسة؟ فقال أحدهم: أضربه حجراً، فقال الأستاذ: إذا يعاودك، أو يخطئه حجرك؟ فقال الآخر: أحمل في جلبابي أعداداً من الحجارة، كلما هم بالقرب مني ناولته واحداً تلو الآخر، فقال: لن تسلم منه، بل ستشتد عداوته لك، فقال الآخر النجيب الفاهم: أنادي علي صاحب الغنم والكلب، وأطلب منه أن يأذن لي بالمرور من عنده، فقال المدرس: ذلكم الرأي الصائب، ألا من أراد منكم أن يدفع عنه الشيطان وشره، فليستعذ بالله من الشيطان، فالله أقدر وأجدر بدفعه عنك.

ثانيـاً: تقوى الله : فمن اتقى الله تولى الله حفظه، ولم يكله إلى غيره، قال :{إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران: ١٢٠].

وقال :{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ} [البقرة: ١٩٤]. ومن كان في معية الله لا يضره شيء أبداً.

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

ثالثاً: الصبر على الحاسد: فعلى المسلم أن يصبر على أذى الحسد، حيث قال :{وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} [آل عمران: ١٢٠].

وقال :{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٦ - ١٢٨].

فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه، والتوكل على الله ، ولا يستطل تأخيره وبغيه، فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جنداً وقوة للمحسود، يقاتل به الباغي نفسه، وهو لا يشعر فبغيه سهام يرميها من نفسه، ولو رأي المبغى عليه ذلك لسره بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي دون آخره ومآله.

وقد قال المولى :{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ الله إِنَّ الله لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} [الحج: ٦٠].

فإذا كان الله قد ضمن له النصر، مع أنه قد استوفى حقه أولاً، فكيف بمن لم يستوف شيئاً من حقه، بل بُغِي عليه وهو صابر، وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم، وقد سبقت سنة الله أنه لو بغى جبل على جبل، جعل الباغي منهما دكاً

رابعاً: التوكل على الله : فالتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، فقال : {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً} [الطلاق: ٣].

فالتوكل على الله من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبه أي كافية، ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره.

خامساً: الإقبال على الله والإخلاص له: روى البخاري أنَّ الله قال:مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.

سادساً: التوبة إلى الله من الذنوب: فعلى الإنسان أن يسارع بالتوبة إلى الله ، فالإنسان منا عندما يبتلى بأي شيء، فإنما غالباً يكون

بسبب ارتكبه هو، فقال :{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠].

وقال الله لخير الخلق وهم أصحاب الرسول :{أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ١٦٥].

فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما علمه وعمله أضعاف ما يذكره.

وفي الدعاء المشهور:اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم، فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب.

ولقي بعض السلف رجلاً فأغلظ له ونال منه، فقال له: قف حتى أدخل البيت ثم أخرج إليك، فدخل فسجد لله ، وتضرع إليه، وتاب وأناب إلى ربه، ثم خرج إليه فقال له: ما صنعت؟ فقال: تبت إلى الله من الذنب الذي سلطك به عليَّ.

سابعاً: الصدقة: فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء، ودفع العين، فقال :{الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِراً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٢٧٤].

ثامناً: الإحسان إلى الحاسد: وهذا من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها، ولا يُوفَّق له إلا من عظم حظه من الله، فكلما ازداد أذى وشراً وبغياً وحسداً، ازددت إليه إحساناً، وله نصيحة، وعليه شفقة، فقال :{وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ* وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِالله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ} [فصلت: ٣٤ - ٣٦].

وقال :{أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [القصص: ٥٤].

وتأمل حال النبي الذي روي عنه أنه ضربه قومه حتى أدموه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول:اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

وانظر كيف جمع الرسول في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان، قابل بها إساءتهم العظيمة إليه:

الأول: عفوه عنهم. الثاني: استغفاره لهم.

الثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون.

الرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه، فقال: اغفر لقومي.

وهذا ما فعله سيدنا يوسف مع إخوته، فقال :{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ الله يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ * قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ الله عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ الله لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * قَالُوا تَالله لَقَدْ آثَرَكَ الله عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ الله لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٨٨ - ٩٢].

تاسعاً: أن يعتقد المسلم أن الضر والنفع بيد الله : فقال :{وَإِن يَمْسَسْكَ الله بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ} [يونس: ١٠٧].

وروى الترمذي أن الرسول قال لابن عباس :وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك.

عاشراً: أن يحفظ الإنسان الله : فروى الترمذي أن النبي قال لعبد الله بن عباس :احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك.

فمن حفظ الله ، حفظه الله ، ووجده أمامه، أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه، فممن يخاف، ولمن يحذر.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أُعدت للحاسد:

العقوبة الأولى: براءة الرسول من الحاسد:

روى الطبراني أن الرسول قال:**ليس مني ذو حسد، ولا نميمة، ولا كهانة، ولا أنا منه**، ثم تلا الرسول قول الله :**{وَالَّـذِينَ يُـؤْذُونَ الْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً}** [الأحزاب: ٥٨].

العقوبة الثانية: أكل الحسنات:

روى أبو داود والبيهقي وابن ماجه أن الرسول قال:**إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب**.

العقوبة الثالثة: عدم استجابة الدعاء:

فروي أن الرسول قال: (**ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم: آكل الحرام، ومكثر الغيبة، ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين**.

وقال بعض الحكماء: الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاء، ولا ينال في الخلوة إلا جزعاً وغماً، ولا ينال في الآخرة إلا حزناً واحتراقاً، ولا ينال من الله إلا بعداً ومقتاً.

* * *

السبب الثالث: الخيانـة

الخيانـة

أسبـاب عـذاب القبـر

الخيانـة

الحمد لله رب العالمين: هو الأول فلا شيء قبله، وهو الآخر فلا شيء بعده، وهو الظاهر فلا شيء فوقه، وهو الباطن فلا شيء دونه، فقال:{هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُـلِّ شَيْءٍ عَلِـيمٌ} [الحديد: ٣].

سبحانه: أعد الجنة والرحمة لمن أطاعه، وأعد النار وسخطه لمن عصاه، فقال :{إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ العُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى} [طه: ٧٤ - ٧٦].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه: نهانا عن الخيانـة، فقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا الله وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: ٢٧].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : أمرنا بأداء الأمانة، ونهانا عن الخيانة، فروى ابن ماجه أن الرسول قال:أد الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب عذاب القبر، ألا وهو: الخيانـــة، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: إن الله حمَّل الإنسان الأمانة، وجعلها عبءًا ثقيلاً، وحملاً ضخماً، ومسئولية عامة، وشيئاً كبيراً، بعدما رفضت كل المخلوقات حملها، فلقد عرضت على مخلوقات ضخمة، فلم تكن أهلاً لحملها، ولا كان ذلك في طوقها، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السماوات وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً} [الأحزاب: ٧٢].

السماوات الضخمة، والأرض الممتدة، أشفقت من حمل الأمانة، ورضيت واختارت أن تكون لله مسخرة طائعة، تؤدي دورها بلا اختيار منها ولا إرادة، فهي إذن حمل ثقيل، ومسؤولية كبيرة، تحتاج إلى بذل جهد لتأديتها بالصورة التي ترضي الله وترضي الرسول .

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال وهو: كيف أبت السماوات والأرض والجبال عن حمل الأمانة؟ مع أن هذه المخلوقات تدين لله بالطاعة، كما قال :{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت: ١١].

وقال :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السماوات وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ وَمَن يُهِنِ الله فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: ١٨].

وهل كان هذا الإباء مثل إبليس؟

قال الإمام الرازي: لم يكن إباؤها كإباء إبليس في قوله :{إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} [الحجر: ٣١] من وجهين:

الأول: أن السجود هناك كان فرضاً، والأمانة هنا كانت عرضاً.

الثـــاني: أن الإبـاء كـان هنـاك استكباراً، والإبـاء هنـا استـصغاراً، استصغرت أنفسهن، بدليل قوله :{وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} [الأحزاب: ٧٢].

وكيف حملها الإنسان ولم تحملها هذه الأشياء؟ فيه جوابان:

الأول: بسبب جهله بما فيها، وعلمهن، ولهذا قال :{إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً} [الأحزاب: ٧٢].

الثاني: أن الأشياء نظرت إلى أنفسهن، فرأين ضَعْفَهُن فامتنعنَّ، والإنسان نظر إلى جانب المكلف، وقال: المودِع عالمٌ قادرٌ لا يعرض الأمانة إلا على أهلها، وإذا أودعها لا يتركها، بل يحفظها بعينه وعونه، فقبلها الإنسان، واستعان بالله على حملها، فقال:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥].

ويجب أن يعلم الجميع أن الأمانة في نظر الشارع ليست مقصورة على الودائع التي توضع عند الإنسان ليحافظ عليها ويصونها، ولكنها تشمل الدينَ كلَه، والإيمانَ كلَه، إنها التكاليف التي يُكلف بها الإنسان، فهي بهذا واسعة الدائرة، لا تقف عند حدود الودائع التي يؤتمن عليها الإنسان، فهي رقابة العبد ربه في كل ما يأتي وما يترك، فأداء حقوق الله أمانة، ورعاية حقوق الناس جميعاً أمانة، وذلك على النحو الذي فصله الرسول في الحديث الذي رواه البخاري أن الرسول قال:كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا؟، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

قالَ ابن عمر : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ:وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

فالواجب على كل مسلم أن يلتزم بالأمانة، ويبتعد عن الخيانة، لما رواه ابن ماجه أن الرسول قال:أد الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من

خانك.

الحقيقــة الثانيــة: إن الخيانـة والإيمـانَ لا يجتمعـان ألبتـة فـي قلـب الإنسان، فإذا وجد الإيمان انعدمت الخيانة، وإذا وجدت الخيانة انعدم الإيمان، ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى أحمد والبيهقي والطبراني وابن حبان أن الرسول قال:**لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ**.

وروى البزار عن عَلِيّ قـالَ: كُنَّـا جُلُوسًـا مَـعَ رَسُولِ الله، فَطَلَـعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ العَالِيَةِ، فقـالَ: يَـا رَسُـولَ الله أَخْبِرْنِـي بِأَشَدِّ شَـيْءٍ فِي هَذَا الدِّينِ وَأَلْيَنِهِ، قـالَ :**أَلْيَنُهُ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَشَدُّهُ يَا أَخَا الْعَالِيَةِ: الأَمَانَةُ، إِنَّهُ لاَ دِينَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ صَلاةَ لَهُ، وَلاَ زَكَاةَ لَهُ**.

فالخيانة باب من أبواب النفاق، وعلامة على خبث النيـة، فروى مسلم أن الرسول قال:**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُـوَ مُنَـافِقٌ، وَإِنْ صَـامَ وَصَـلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ**.

فالخيانة من أقبح القبائح، تُسقِط كرامة الشخص، وتُضيع شرفه، وتُحِـط مـن هيبتـه، وتُـذهبُ الثقـة بـه، وتنفـر منهـا الطبـاعُ السليمة، والقلـوبُ المؤمنــة، ولقـد اسـتعاذ منهـا الرسـول ، فـروى أبـو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة أن الرسول قـال:**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِـكَ مِـنَ الْخِيَانَـةِ؛ فَإِنَّهَـا بِئْـسَتِ الْبِطَانَةُ**.

الحقيقة الثالثة: إن الخيانة علامة من علامات الساعة، ولقد أشـار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى البخاري عن أبي هريرة قال: بَيْنَمَا النَّبِـيُّ فِـي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَـاءَهُ أَعْرَابِـيٌّ فقـالَ: مَتَـى السَّـاعَةُ؟ فَمَضَـى رَسُولُ الله يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَـا قَـالَ، فَكَرِهَ مَـا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَـالَ:**أَيْـنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ**؟ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَـالَ :**فَإِذَا ضُيِّعَتْ الأَمَانَةُ**

فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قالَ :إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ.

وفي حديث آخر يقسم الرسول على أن الخيانة علامة من علامات الساعة، فروى أحمد والحاكم والطبراني أن الرسول قال:إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخَوَّنَ الْأَمِينُ وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ، وَسُوءُ الْجِوَارِ.. .

وروى ابن ماجه وأحمد والحاكم والطبراني أن الرسول قال:إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ سِنِينَ خَوَادِعَ، يُتَّهَمُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَكذبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ النَّاسِ الرُّوَيْبِضَةُ قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قالَ :السَّفِيهُ يَنْطِقُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ.

فإذا انتشرت الخيانة فقد فقدت البشرية صلاحيتها للبقاء، وأصبح باطن الأرض أولى لنا من ظهرها، ولم يبق لوجودنا معنى ولا طعم في هذه الحياة.

الحقيقة الرابعة: لقد وردت الخيانة في القرآن الكريم على عدة معان:

أحدها: المعصية: ومنه قول الله :{عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ} [البقرة: ١٨٧].

قال بعض العلماء: تخُونُوها بالمعصية.

الثاني: نقض العهد: ومنه قول الله :{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ} [الأنفال: ٥٨].

الثالث: ترك الأمانة: ومنه قول الله :{إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً}

[النساء: ١٠٥].

نزلت في طُعْمَة بن أُبَيْرِقٍ المنافق، كان عنده درعٌ فخانها.

الرابع: المخالفة في الدين: ومنه قول الله :{ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} [التحريم: ١٠].

الخامس: الزنا: ومنه قول الله :{ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ} [يوسف: ٥٢].

أخوة الإسلام:

لقد انتشرت الخيانة في كل مجال من مجالات الحياة، فلا يكاد يوجد مجال إلا وقد دخل فيه الخيانة، وتحقق فينا ما قاله الرسول ، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.

قالَ عِمْرَانُ: فمَا أدْرِي قالَ النَّبِيُّ بَعْدَ قوْلِهِ مَرَّتَيْنِ أوْ ثلاثاً، (ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ)، فتعالوا معي لنتعرف على هذه المظاهر.

المظهر الأول: خيانة الله :

وخيانة الله تعني نقض عهدنا معه ، لأننا جميعاً بيننا وبين الله عهد أن نعبده ولا نشرك به شيئاً، أخذه علينا ونحن جميعاً في عالم الذر، في المراحل الأولى لبداية التكوين، قبل أن نخرج إلى هذا العالم، فقال :{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} [الأعراف: ١٧٢].

وقال :{وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن

رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ الله هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ} [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

فالإنسان منا إذا اعترف لربه بالربوبية والوحدانية، وصرف كل أنواع العبادة لله فقد أدى الأمانة على الوجه الأكمل؛ لقول الله :{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

أما الإنسان الذي يفرط في حقوق الله ، ويترك المأمورات، ويفعل المنهيات، ويصرف العبادة لغير الله ، فيكون بهذا قد خان الله .

روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي قال:قال الله : **أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه.**

وفي رواية ابن ماجة:**فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك.**

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أن الله نهانا عن هذا النوع من الخيانة، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا الله وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: ٢٧].

المظهر الثاني: خيانة الشريك شريكه:

الأصل أن تكون الشركة قائمة على الأمانة بين الشركاء، حتى يبارك الله فيها، أما إذا دبت الخيانة بين الشركاء فإن الله لا يبارك فيها، ولقد حذرنا الله من هذا النوع من الخيانة، فروى البيهقي وأبو داود والدارقطني أن الله يقول:**أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صاحبه، فَإِذَا خَانَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا.**

وحذرنا الرسول أيضاً من هذا النوع من الخيانة، فروى البيهقي أن النبي قال:**من خان شريكاً له فيما ائتمنه عليه واسترعاه له، فأنا بريء**

منه.

وإذا نظرنـا إلـى الواقـع الـذي نعـيش فيـه، نجـد أننـا نفـرح عنـدما نسمع عن شركة قامت بين اثنين أو أكثر، ونفاجأ أن هذا الشركة لم تدم طويلاً، فيقوم الأطراف بتصفية الشركة، ونتعجب من هذا العمل؛ لأنـه جـاء بـسرعة، ولكـن لمـاذا لـم نـسأل أنفسنا عـن سـبب هـذا الانفصال؟، إنها الخيانـة التـي دبت بين الشريكين، فالخيانـة هنـا هـي التي عجلت بانتهاء الشركة، فيقول الله :أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَـا لَمْ يَخُـنْ أَحَدُهُمَا صاحبه، فَإِذَا خَانَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا، وكيفية خروج الله : بنـزع البركة.

المظهر الثالث: وضع الشخص في المكان الذي لا يستحقه:

فمن ولـيَّ من بيده الأمـور إنسانـاً منـصباً أو ظيفـة، لـيس هـو أهـلاً لها، وهناك من هو أولـى منـه وأكفـأ، فقد اتـصف بـالخيانـة، وإلـى هذا النـوع مـن أنـواع الخيانــة أشــار الرسـول إليــه، فـروى الحـاكم أن الرسول قـال:من استعمل رجلاً من عصابة، وفي تلـك العـصابة مـن هـو أرضى لله منه، فقد خان الله، وخان رسوله، وخان المؤمنين.

فالأمانـة تقتـضي بـأن نـصطفي للأعمـال أحـسن النـاس قيامـاً بهـا، كما يقال: الرجل المناسب في المكان المناسب، أمـا إذا ملنـا عن هذا إلى غيره، لهوى، أو رشوة، أو قرابة، فقد ارتكبنا خيانة فادحة.

ولقد ضرب لنا الرسول المثل الأعلى في الأمانة في إسناد العمل إلــى أهلــه، فـروى مـسلم أن أبــا ذر قــال: قُلْــتُ: يَــا رَسُــولَ الله أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِى؟ قالَ : فضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ:يَـا أَبَـا ذَرٍّ: إِنَّـكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَـا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا.

ولقد حذرنـا الرسول من هذا النوع من الخيانة، فحكم بعدم قبـول الأعمــال ممــن يتــصف بهــذا النــوع مــن الخيانــة، وأن عليــه لعنــة

الله ، فروى الحاكم أن الرسول قال:من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فأمر عليهم أحداً محاباةً، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفـاً ولا عـدلاً، حتـى يدخله جهنم.

بل جعل الرسول هذا النوع من أنواع الخيانة علامة من علامات الساعة، فروى البخاري أن الرسول قال:إِذَا وُسِّدَ الْأَمْـرُ إِلَى غَـيْرِ أَهْلِـهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ.

وإذا نظرنا إلى الواقع الذي نعيش فيه نجد أنه قد انتشر هذا النوع من أنواع الخيانـة، فالشخص منـا قد يتولى أي منصب بطرق غير مشروعة، وذلك بالرشوة، أو المحسوبية، أو بأي طريق آخر.

فالأمة التـي لا أمانـة فيهـا فـي توليـة المناصب العامـة، هـي الأمـة التي تبعث فيها الشفاعات بالمصالح المقررة، وتطيش بأقدار الرجال الأكفاء؛ لتهملهم وتقدم دونهم.

المظهر الرابع: إهمال الموظف في أداء عمله:

فنجد الموظـف يخـون عملـه بكسله وإهمالـه وتقاعده عن العمل، وسـيره وراء الرشـوة والمحـسوبية والمجاملـة، وعـدم مراقبـة رب الأرض والسماء.

تجـد الموظـف يتـرك عملـه ويهملـه لغفلـة رئيسه عنـه، ويتحايـل لمنفعة عارضة، ولذة عابرة، فنجد عندما يذهب إليه صديق أو قريب ثري، يرحب به، ويفتح له الأبواب المغلقة، ويقضي له الحاجات ولو على حساب المصلحة العامة.

وفي نفس الوقت إذا ذهب إليه صاحب مصلحة وحق، عبس في وجهه، وعقد له السهل، فيرجع خائباً خاسراً، فلا يجد الفرد منا مفراً إلا أن يلتجأ إلى الوسطة، وربما يضحي ببعض ماله ليصل إلى حقه، فضلاً عما يلاقيه من مشقات وتعب وعذاب وبلاء وخزي وذل، ولـو راقب الموظف ربه وحاسب ضميره، وأدى الأمانة على أكمل وجه؛

لأراح نفسه، وأراح الناس، وقضيت المصالح، وانتشرت الثقة، وبات كل إنسان فينا آمناً على مصالحه وحقوقه.

المظهر الخامس: استغلال الفرد منصبه الذي يتولاه:

فمن استغل منصبه الذي عين فيه، لجر منفعة إلى شخصه، أو إلى أحد من قرابته، فهو خائن، وإلى هذا النوع من الخيانة أشار إليه الرسول في الحديث الذي رواه أبو داود والبيهقي وابن خزيمة:مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَهُوَ غُلُولٌ.

والله يقول:{وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} [آل عمران: ١٦١].

ولقد شدد الإسلام في ضرورة التعفف والبعد عن استغلال النفوذ، وشدد في رفض المكاسب المشبوهة، فروى البخاري أن الرسول اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ بَعَثَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ لِيُحَاسِبَهُ، فَقَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ الله ، فقالَ:إِنَّا نَسْتَعْمِلُ رِجَالا مِنْكُمْ عَلَى مَا وَلانَا الله ، فَإِذَا قَدِمَ أَحَدُكُمْ، قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ، فَهَلا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرَ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ، مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ عَمَلاً فَلْيَأْتِنَا بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، وَلَيَحْذَرْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بِبَعِيرٍ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٍ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٍ تَيْعَرُ.

المظهر السادس: خيانة الحياة الزوجية:

فما يضمه البيت من شؤون العشرة بين الرجل وزوجته، يجب أن يُطوى في أستار مسبلة، فلا يطلع عليه أحد مهما قرب.

وتتحقق الخيانة في الحياة الزوجية: إما بإعانة الزوج على المعصية، كعقوق والديه مثلا، أو مقاطعة أرحامه، أو أكل الحرام، إلى غير ذلك من أنواع الحرام، وإما بالعمل على نشر أخبار الحياة الزوجية، فروى البخاري أن الرسول قال:..ولولا حواء لم تخُنْ أنثى

زوجها.

قال ابن حجر في فتح الباري: فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة، حتى وقع ذلك، فمعنى خيانتها: أنها قبلت كما زين لها إبليس حتى زينته لآدم ... وليس المراد من الخيانة هنا: ارتكاب الفواحش، حاشا وكلا.

وقال: وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم، بما وقع من أمهن الكبرى، وأن ذلك من طبعهن، فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه، أو على سبيل الندور، وينبغي لهن أن لا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النوع، بل يضبطن أنفسهن، ويجاهدن هواهن.

والسفهاء من العامة يثرثرون بما يقع بينهم وبين أهلهم من أمور، وهذه خيانة حرمها الله ، وإلى هذا النوع من الخيانة أشار إليه القرآن الكريم، فقال :{ضَرَبَ الله مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ الله شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} [التحريم: ١٠].

قال ابن عباس: كانت امرأة سيدنا نوح تقول للناس: إنه مجنون، وكانت امرأة سيدنا لوط تخبر بأضيافه، وقال: ما بغت امرأة نبي قط.

وقيل: خيانتهما النميمة، إذا أوحى الله إلى نوح أو إلى لوط شيئاً أفشتاه إلى المشركين.

وقيل: كانت امرأة سيدنا لوط إذا نزل به ضيف دخنت لِتُعلم قومها أنه قد نزل به ضيف.

وأشار الرسول إلى هذا النوع من الخيانة، فروى مسلم وأبو داود وأحمد أن الرسول قال:إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلَةً يَوْمَ

الْقِيَامَةِ: الرَّجُلَ يُفْضِى إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا.

وروى أحمد عن أسماء بنت يزيد أنه كانت عند الرسول ، والرجال والنساء قعود عنده، فقال:لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ، وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا فَأَرَمَّ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: إِي والله يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُنَّ لَيَقُلْنَ وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ، قالَ :فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشِيَهَا، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ.

المظهر السابع: خيانة الشهادة:

ويكون ذلك بأحد طريقين:

الأول: بشهادة الزور: ونحن نعلم خطورة شهادة الزور، فالرسول جعل شهادة الزور علامة من علامات الساعة، فروى أحمد أن الرسول قال:إن بين يدي الساعة شهادةَ الزور، وكتمانَ الحق.

وسوى الرسول بين شهادة الزور والشرك بالله ، فروى أحمد والترمذي أن الرسول قال:أيها الناس: عَدَلَت شهادةُ الزور إشراكاً بالله ، ثم قرأ الرسول قول الله :{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج: ٣٠]

الثاني: كتمان الشهادة: فبعض الناس لا يكذب في الشهادة، لكنه يكتمها، وربما كان في كتمانها إضاعة للحقوق، أو انتصاراً للباطل، أو ضياعاً للدين والدنيا معاً، ومن هنا حذرنا المولى من كتمانها، فقال :{وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ والله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٨٣].

بل حكم المولى على كاتم الشهادة بأنه ارتكب أقبح أنواع الظلم، فقال :{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ الله وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: ١٤٠].

وإن كتمان الشهادة يتساوى في الإثم والجرم مع شاهدة الزور،

ولقد أشار الرسول إلى هذا، فروى الطبراني أن الرسول قال:من كتم شهادة إذا دعي إليها، كان كمن شهد الزور.

المظهر الثامن: خيانة الكيل والميزان:

لقد شدد الشرع على تحقيق العدل في الوزن والكيل، فقال : {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥].

وقال :{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا المِيزَانَ} [الرحمن: ٧ - ٩].

وروى الترمذي والحاكم أن الرسول قال لأصحاب الكيل والميزان:إِنَّكُمْ قَدْ وُلِّيتُمْ أَمْرًا فِيهِ هَلَكَتِ الأُمَمُ السَّالِفَةُ.

وإن خيانة الكيل والميزان تكون بالتطفيف، ولقد شدد الله الوعيد لمن يفعل ذلك، فأعد الله ودا في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره، فقال :{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ} [المطففين: ١ - ٦].

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله للخائن.

أولاً: العقوبات الدنيوية:

١ - عدم الهداية: قال :{ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ الله لاَ يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ} [يوسف: ٥٢].

٢ - عدم محبة الله : قال :{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ} [الأنفال: ٥٨].

وقال :{وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً} [النساء: ١٠٧].

وقـال :{إِنَّ الله يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُـورٍ} [الحج: ٣٨].

٣ – نفي الإيمان: روى البيهقي والطبراني أن الرسول قـال:لا دِينَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ.

٤ – النفاق: فروى البخاري ومسلم أن الرسول قـال:أَرْبَعٌ مَنْ كُـنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيـهِ خَـصْلَةٌ مِـنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.

٥ – عدم قبول الشهادة: روى أحمد وأبو داود أن الرسول قـال:لا تجوز شَهَادَةُ الْخَائِنِ وَالْخَائِنَـةِ، وَرَدَّ شَـهَادَةَ الْقَـانِعِ لأَهْـلِ الْبَيْـتِ، وَأَجَازَهَـا لِغَيْرِهِمْ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: الْقَانِعُ الأَجِيرُ: التَّابِعُ، مِثْلُ الأَجِيرِ الْخَاصِّ.

ثانياً: العقوبات الأخروية:

١ – اللعـن: روى مسلم أن الرسول قـال:ذِمَّـةُ الْمُـسْلِمِينَ وَاحِـدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَـنْ أَخْفَـرَ مُـسْلِمًا، فَعَلَيْـهِ لَعْنَـةُ الله وَالْمَلائِكَـةِ وَالنَّـاسِ أَجْمَعِينَ، لا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ

٢ – خصومة الله للخائن يوم القيامة: روى البخاري أن الرسول قال: قال الله :ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَـاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ.

٣ – الفضيحة يوم القيامة: روى مسلم أن الرسول قـال:إِذَا جَمَـعَ الله الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ.

٤ – القصاص: روى مسلم وغيره أن الرسول قـال:حُرْمَـةُ نِـسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ، كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِـنْ رَجُـلٍ مِـنَ الْقَاعِـدِينَ

يَخْلُفُ رَجُلاً مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ، إِلاَّ وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ، فَمَا ظَنُّكُمْ؟.

وفي رواية لأبي داود أن الرسول قال: حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ، كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلاً مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ، إِلاَّ نُصِبَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا قَدْ خَلَفَكَ فِي أَهْلِكَ، فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ.

٥ - الهاوية في النار: روى أحمد والبيهقي أن ابن مسعود قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله، فيقال: أد أمانتك، فيقول: أي رب كيف؟ وقد ذهبت الدنيا، قال: فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية، فينطلق به إلى الهاوية، ويمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه، فيراها، فيعرفها، فيهوي في أثرها حتى يدركها، فيحملها على منكبيه، حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه، فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين، ثم قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عددها، وأعظم ذلك الودائع، فأتيت البراء بن عازب فقلت: ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود قال: كذا، قال كذا، قال: صدق، أما سمعت يقول الله : {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء: ٥٨].

* * *

السبب الرابع: الـربا

الـربا

أسبـاب عـذاب القبـر

الـربا

الحمدُ لله رب العـالمين: ذي الجـلال والإكـرام، وشـارع الحـلال والحرام، الذي له ملكُ السماوات والأرض، وله في عبادِه حقُّ المنْع والفرض، أحمدُه بما هو له أهلٌ من الحمدِ، وأُثنـي عليـه، وأستغفرُه من جميع الذنوبِ وأتوبُ إليه، وأؤمنُ به وأتوكّلُ عليـه، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له.

سبحانه: أشهد له بالوحدانية، وأقر لـه بالربوبيـة، فلا إلـه إلا هو، ولا معبود بحق سواه، جلَّ في علاه، فقال :{ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ} [الحج: ٢٦]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه: أعلن الحرب علـى آكل الربا، فقـال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]

وأشهد أن سيدنا ونبينـا محمـداً : جعل التعامل الربـا من علامـات الساعة، فروى الطبراني أن الرسول قال:**بين يدي الساعة: يَظهرُ الربا، والزنا، والخمر.**

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آلـه وصـحابته أجمعين، الذين كانوا يتركون تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فـي الحرام، فعاشوا في الدنيا سعداء، وماتوا كرماء، وأورثهم ربهم الجنة يرزقون فيها بغير حساب.

أما بعد: إخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب عذاب القبر، ألا وهو: **الـربا**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر

عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: إن الله فرض فرائض وأوجب الحفاظ عليها، وحد حدوداً ونهى عن تجاوزها، فقال :{تِلْكَ حُدُودُ الله وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [النساء: ١٣، ١٤]

فالحلالُ ما أحلَّ الله في كتابه، والحرامُ ما حرّمَ الله في كتابه، وليس لأحدٍ أيّاً كان أن يُحلّلَ شيئاً أو يُحرِّمَ شيئاً من تلقاءِ نفسِه، وعلى حسبِ هواه، بل لم يجعلِ الله ذلك لخيرِ خلقِه، وأعظمِهم منزلةً عنده محمداً ، حيثُ قالَ له مُعاتِباً:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ الله لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التحريم: ١]

وفي نفس الوقت حذّرَنا المولى من التقوّلِ في الأمورِ التي شرعَها بغيرِ ما أنزلَ، فقالَ :{وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى الله الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النحل: ١١٦، ١١٧]

فلو اجتمعَ أهلُ السماواتِ والأرض على أن يُحلّوا شيئاً حرّمَه الله لم يُحَلْ أبداً؛ لأنَّ حكمَ الله لا يتبدّلُ، ولو اجتمعوا على أن يحرِّموا شيئاً أحلّه الله لم يحرُمْ أبداً؛ لأنّ حكمَ الله لا يتبدّلُ.

وقد بيّنَ الله أنّ مُطاوعة الذين يُحلّلون ما حرّمَ الله ، ويحرِّمون ما أحلَّ الله ، تدخلُ في بابِ الإشراكِ بالله ؛ حيثُ قالَ في أهلِ الكتابِ:{اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا

أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣١].

وعندما تلا رسولُ الله هذه الآية الكريمة على عديٍّ بن حاتمٍ، وكان امرأ تنصّرَ في الجاهليةِ؛ قالَ له: يا رسولَ الله، إنهم لم يعبدوهم، فقالَ له رسولُ الله :أليسوا قد أحلُّوا لهم ما حرّمَ الله، وحرَّموا عليهم ما أحلَّ الله، فأطاعوهم قالَ له: بلى، فقال :ذلك عبادتُهم لهم.

الحقيقة الثانية: إن الدين الإسلامي جاء بأصول وأحكام تنظم الحياة الاقتصادية للناس، فالمال مال الله ، والإنسان مستخلف فيه، أي أمين على هذا المال، ونائب عن الله في تنميته، وفي الاستمتاع به، وفي الإنفاق منه، فالإنسان ليس حر التصرف يفعل ما يشاء في المال الذي تحت يديه، إنما هو مقيد بتوجيهات المالك الأصلي للمال، وهو الله .

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :{آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: ٧]

فكل إنسان فينا مستخلف في مال الله ، فالمال الذي يملكه الإنسان ليس ملكه، وإنما هو خليفة الله في هذا المال، والمالك الأصلي هو الله .

ولقد جاء الإسلام بأحكام كثيرة تنظم المال، ومن أهم هذه الأحكام حكمان أساسيان: حكم يتعلق بجانب الأوامر، وحكم يتعلق بجانب النواهي.

أما الحكم الذي يتعلق بجانب الأوامر هو: الزكاة، فهذا في قمة الأوامر الإسلامية في المال، فالزكاة ركن من أركان الإسلام، وهي الدعامة الثالثة بعد الشهادتين وبعد إقامة الصلاة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ الله،

وَإِقَام الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْم رَمَضَانَ.

وأما الحكم الذي يتعلق بجانب النواهي والمحرمات: هو تحريم الربا، فهو من الموبقات السبع، كما سماه الرسول ، فروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن النَّبِيَّ قال:اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟ قالَ :الشِّرْكُ بالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ.

وهو أعظم شيء حرمه الله في كتابه وعلى لسان رسوله ، فهو حرْبٌ بين العبادِ وبين ربِّهم، فقالَ الله :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ الله وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]

الحقيقة الثالثة: أنّ الربا الذي حرّمَه الله لا يُحلُّ تحتَ أيِّ شعارٍ من الشعاراتِ، فلا يُحلُّ تحتَ شعارِ الاستثمارِ، ولا يُحلُّ تحتَ شعارِ المضاربةِ، ولا يُحلُّ تحتَ أيِّ شعارٍ آخرَ، ومن تحايلَ على الله بمحاولةِ تحليلِ الربا تحتَ أيِّ شعارٍ كانَ، كانَ مثلُه كمثلِ بني إسرائيلَ، عندما تحايلُوا على الله بمحاولةِ الاصطيادِ في السبتِ بالطريقةِ التي اختاروها لأنفسِهم، وظنُّوا أنَّ فيها ما يدفعُ عذابَ الله عنهم.

وقد انقسمُوا في ذلك ثلاثةَ أقسامٍ: منهم من انتهكَ حرمةَ الله تحتَ شعارِ هذا التحايلِ الذي اصطنعُوه، ومنهم من نهاهم وأنكرَ عليهم، ومنهم من توقفَ وعذلَ الناهين بدعوى أنَّ الموعظة لا تُجدي في أولئك، وقد بيّنَ الله ﷻ ما كانَ من عاقبتِهم، فقال :{واَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ *

وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا الله مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [الأعراف: ١٦٣ - ١٦٦]

فليحذرِ المسلمون من هذه العاقبةِ، وقد ائتمنَهم الله على دينِه، وأنزلَ عليهم كتابَه، وأرسلَ فيهم رسولَه ، وبيّنَ لهم ما يأتون وما يذرون، وما يفعلون وما يحذرون، فقال :{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: ٧]

الحقيقة الرابعة: إن الربا لا يُحَلُ بالرضا بين الآخذ والمعطي البتة، فلو قال شخص أنا متفق مع البنك أن آخذ المائة وأردها مائة وعشرة، فليس هذا حراماً، طالما أنا أرضى بذلك الأمر.

أقول لهذا الصنف من الناس: وهل يتصور في الربا إلا أن يكون بالتراضي؟ هل كان الربا في وقت من الأوقات بالقهر؟ الناس يذهبون إلى المرابي ويكادون أن يُقبلوا يده أو رجليه ليعطيهم، وكان كثيراً ما يتدلل المرابي عليهم، يريدون منه ألفاً، ويعطيهم خمسمائة أو سبعمائة.

فليس التراضي بين الطائفتين على معاملةٍ ما، تُحِلُّ تلك المعاملة، فقولُ الله :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ} [النساء: ٢٩] لا يمكنُ أن يكونَ دليلاً لتحليلِ ما حرّمَ الله تحتَ شعارِ التراضي بين الجانبين، هل إذا زنى رجل بامرأة بتراضيهما أيكون ذلك حلالاً؟! فالتراضي لا يحل الحرام، ولا يجعل المنكرَ معروفاً، إنه تراض على الباطل.

والرسول وضح أن التراضي ليس يحل الربا، فعندما جاءَه أحدٌ بتمرٍ من خيبرَ، وكان تمراً جنيباً (طيباً)، فقالَ له رسولُ الله :**أكلُّ تمرِ**

خيبرَ هكذا؟) قال له: لا، ولكنّا نبيعُ الصاعَ بالصاعين، فقالَ له رسولُ الله :لا تفعلْ، بعْ الجمْعَ بالدراهم، وابتَعْ بالدراهم جنيباً) أليست هذه المعاملةُ التي منعَهم رسولُ الله مُتراضِين عليهَا؟! وهل التراضي عليها قد أباحَها؟!

والنبيُّ قال:الذهبُ بالذهبِ، والفضةُ بالفضةِ، والبُرُّ بالبُرِّ، والشعيرُ بالشعيرِ، والتمرُ بالتمرِ، والزبيبُ بالزبيبِ، والملحُ بالملحِ، يداً بيدٍ، مثْلاً بمثْلٍ، فمَن زاد أو اسْتزَاد فقد أربى ولم يقيّدْ رسولُ الله ذلك بعدَم التراضي.

الحقيقة الخامسة: لقد مر الربا بأدوار أربعة في التحريم تمشياً مع قاعدة التدرج في التشريع:

الدور الأول: نزل قول الله :{وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِندَ الله وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} [الروم: ٣٩].

وهذه الآية مكية، وليس فيها ما يشير إلى تحريم الربا، وإنما فيها إشارة إلى بغض الله للربا، وأن الربا ليس له ثواب عند الله .

الدور الثاني: نزل قول الله :{فَبِظُلْم مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} [النساء: ١٦٠، ١٦١].

وهذه الآية مدنية، وهي درس قصه الله من سيرة اليهود الذين حرم عليهم الربا فأكلوه، فاستحقوا عليه اللعنة والغضب، وهو تحريم بالتلويح لا بالتصريح، لأنه حكاية عن جرائم اليهود، وليس فيه ما يدل دلالة قطعية على أن الربا محرم على المسلمين.

الدور الثالث: نزل قول الله :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا

أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٣٠].

هذه الآية مدنية، وفيها تحريم للربا صريح، ولكنه تحريم جزئي، لا كلي؛ لأنه تحريم لنوع من الربا الذي يمسى الربا الفاحش، حيث كان الدين يتزايد حتى يصبح أضعافاً مضاعفة.

الدور الرابع: وفي هذا الدور الأخير نزل التحريم الكلي القاطع الذي لا يفرق فيه القرآن بين قليل وكثير، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ الله وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

أخوة الإسلام:

لقد قام القرآن الكريم بشن حملة مرعبة على آكل الربا، فلقد شبه الله المرابي وهو يقوم من قبره يوم القيامة بالمجنون الذي يتخبطه الشيطان من المس، فقال :{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ الله الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى الله وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢٧٥].

بل أعلن الله عن محق أي مال يأتي من طريق التعامل بالربا، فقال :{يَمْحَقُ الله الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ والله لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} [البقرة: ٢٧٦].

ولقد أعلن الله الحرب على مرتكب هذه الجريمة، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ الله وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

فليس هناك جريمة في الشرع توعد الله لفاعلها بالحرب إلا جريمة الربا، فروي أن رجلاً أتى الإمام مالك فقال له: يا أبا عبد الله، لقد رأيت رجلاً سكران يتقافز يريد أن يأخذ القمر بيده، فقلت: امرأتي طالق إن كان يدخل في جوف ابن آدم أشر من الخمر، فقال الإمام مالك: ارجع حتى أتفكر في مسألتك، فأتاه الغد، فقال له الإمام مالك: امرأتك طالق، فإني تصفحت الكتاب والسنة، فلم أر شيئاً أشرَ من الربا؛ لأن الله أذن فيه بالحرب، فقال:{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ الله وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٧٩].

إن الإيذان بالحرب من الله ورسوله أعم من القتال بالسيف، والمدفع من الأمام، هذه الحرب معلنة في صورتها الشاملة الداهمة الغامرة، وهي حرب على الأعصاب والقلوب، حرب على البركة والرخاء، حرب على السعادة والطمأنينة، حرب يسلط الله فيها بعض العصاة لنظامه ومنهجه على بعض، حرب المطاردة والمشاكسة، حرب الغبن والظلم، حرب القلق والخوف.

ويجب أن يعلم الجميع أن الربا لم يحل في شريعة قط، فقال : {وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} [النساء: ١٦١].

وشنت السنة النبوية حملة مرعبة على الربا، فروى مسلم والبيهقي وغيرهما أن جابر بن عبد الله قال :لَعَنَ رَسُولُ الله آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَهُ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ.

وعد الرسول أكل الربا من الموبقات، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْـمُوبِقَاتِ قالوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟ قَالَ :الشِّرْكُ بالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْـحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْـمُؤْمِنَاتِ

الْغَافِلَات.

وجعل الرسول التعامل بالربا من علامات الساعة، فروى الطبراني أن الرسول قال:**بين يدي الساعة يَظهرُ الربا، والزنا، والخمر.**

وبين الرسول أن درهم ربا أشد من ثلاثة وسبعين زنية، فروى البيهقي وابن ماجه والحاكم وصحح الحديث الشيخ الألباني، أن الرسول قال:**الربا ثلاثةٌ وسبعون باباً، أيسرها مثل أن ينكحَ الرجلُ أمَه.**

أليس هذا يدعو المسلم أن يحذر الدخول من أي باب من أبواب الربا، وعلى المسلم أن يدرك أن من لم يبال من أي باب يدخل عليه الدرهم والدينار، لم يبال الله به من أي باب يُدخله النار.

وروى أحمد عن كعب الأحبار أنه قال: لأن أزني ثلاثاً وثلاثين، أحبُّ إلي من آكل درهم رباً، يعلم الله أني أكلته، حين أكلته ربا.

وبين الرسول أن أكل الربا سبب في إنزال العذاب، فروى أبو يعلى والحاكم أن الرسول قال:**ما ظهر في قوم الزنا والربا، إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله.**

وعلى الرغم من هذا كله: إلا أنه قد افتتن كثير من الناس بالمال والنعيم، وامتزج حبُ المال بلحومهم ودمائهم، وخالط المالُ قلوبَهم، وتمكن من نفوسهم، واتخذوه إلهاً معبوداً، وحاكماً مطاعاً، تتقدم أوامرُه على أوامر الله ، فأخذوا يجمعونه بالباطل، ويأكلونه بالنصب والتحايل، وتفننوا في جمع المال بطريق الربا والزيادة الغير مشروعة.

بل ووضعوا لذلك المشاريعَ ونظموا الطرقَ، حتى انتشر الربا، وذاع صيتُه حتى ملأ بقاعَ الأرض، وأصبح لا يكاد بيت من بيوت المسلمين إلا والربا قد شاع فيه، فلقد انتشر الربا في كل مكان، تعامل به الفلاحون في شراء بذورهم وسمادهم ومواشيهم وتسديد

ديونهم، تعامل بـه الـصناع فـي جلـب خامـاتهم وشـراء آلاتهـم ولـوازم صـناعتهم، الربـا تعامـل بـه الموظفـون فـي شـراء ملابـسهم وأثـاث بيـوتهم، وتحقـق فينـا مـا قالـه الرسـول في الحـديث الـذي رواه أبـو داود:**ليأتين على الناس زمان، لا يبقى منهم أحدٌ إلا أكل الربا، فمن لم يأكلْه أصابه من غباره.**

الربا تعامل بـه معظـم النـاس فـي هـذه الأيـام، وانتـشر فـي البنـوك والـشركات، وقامـت عليـه كثيـر مـن الجمعيـات والمؤسـسات، بـل وأسست كليـات ومعاهد لتـدريس هـذا النظـام، ونـسي النـاس فـي هـذه الأيام قـول الله :**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَذَرُوا مَـا بَقِـيَ مِـنَ الرِّبَـا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ الله وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُـمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ}** [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]

ولقائل يقول: لمـاذا حـرم الله الربـا؟ أقـول: حـرم الله الربـا؛ لأن المرابي بعمله يمتص دم الفقراء من غير مقابل.

حـرم الله الربـا: لأن التعامـل بالربـا يحـصر الثـروة فـي أفـراد معدودين.

حـرم الله الربـا: لأن التعامـل بالربـا يـدعو إلـى البطالـة والكسل والتقاعد، ويمنـع المرابـي من العمـل اعتمـاداً علـى مـا يكسبه بنقوده، وهو جالس في مكانه، لا يتحمل مشقة الأعمال الشريفة.

حـرم الله الربـا: لأنـه يقطـع صـلة التـراحم والعطـف بـين النـاس، فيمنع الشخص المرابي أن يقرض أي شخص حتى ولـو كـان قريبـه، أو يعطيه شيئاً من ماله، إلا إذا فرض عليه فوائد باهظـة، فتتولـد بـين الغنـي والفقيـر العـداوةُ والبغـضاءُ، فتنقطـع الأخـوة، وتنعـدم أحبـال المودة.

حرم الله الربا: لأنه من أهم دواعي التحكم والاستبداد بالإنسان.

أخـوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على أنواع الربا، ينقسم الربا إلى نوعين:

النوع الأول: ربا النسيئة: وهو أن يعطي الرجل ديناً لرجل آخر إلى أجل معلوم، فإذا حل الأجل المحدد بينهما، ولم يستطع المدين السداد، أعطاه الدائن مهلة في مقابل الزيادة الربوية، وهذا كان معروفاً عند العرب في الجاهلية.

والملاحظ أن ربا النسيئة بهذه الصورة كان أخف وطأة عن ربا البنوك في هذه الأيام، لماذا؟

لأن الرجل كان يأخذ المال، فإذا ما أخذ عليه الدائن موعداً واستطاع المدين أن يسدد الدين في الميعاد المحدد، فلا يأخذ الدائن زيادة، أما إذا تأخر المدين عن سداد الدين، وأعطى الدائن للمدين مهلة أخرى، فإنه يفرض عليه الزيادة.

لكن البنك في هذه الأيام يفرض عليك الزيادة من أول لحظة تقترض منه، سواء أكان القرض إنتاجياً أم استهلاكياً.

ولقد توافر في البنك كل العناصر الربوية، وهي: الزيادة على أصل المال (الفائدة المشروطة المضمونة) والأجل الذي يحدد نسبة الزيادة على أصل المال.

ولقد أصدرت المجامع الفقهية التي يجب أن يُعتمد عليها لا على فتاوى الأفراد، فالفرد نفسه يُخطئ ويصيب.

أصدرت هذه المجامع الفتاوى بحرمة فوائد البنوك، وأنها بعينها هي الربا المحرم، كفتوى المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي لعام ١٩٧٦م الذي حضره الكثير من علماء الاقتصاد والشريعة على مستوى العالم، وأجمع الجميع على اعتبار فوائد البنوك من الربا المحرم.

وكفتوى مجمع الفقه الإسلامي بجدة في دورته الثالثة المنعقدة في أكتوبر لعام ١٩٨٦م، وكفتوى المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي لعام ١٩٨٦م والتي قالت: بأنه يحرم على كل مسلم أن يتعامل مع البنوك الربوية من الداخل والخارج.

وكفتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٢من يناير ١٩٨٠م، بأن إيداع الأموال في البنوك بفائدة محددة مقدماً من الربا المحرم شرعاً.

النوع الثاني: ربا الفضل: وهو أن يبيع الرجل الشيء بالشيء من نوعه مع الزيادة، ولقد بين الرسول حرمة هذا النوع من الربا، فروى البخاري ومسلم أن الرسول اسْتَعْمَلَ رَجُلاً عَلَى خَيْبَرَ، فَجَاءَهُمْ بِتَمْرٍ جَنِيبٍ (أي طيب) فقالَ الرسول :أَكُلُّ تَمْرِ خَيْبَرَ هَكَذَا؟ فقالَ: لا والله يا رسول الله، إِنَّا لَنَأْخُذُ الصَّاعَ مِنْ هَذَا بِالصَّاعَيْنِ، وَالصَّاعَيْنِ بِالثَّلاثَةِ، فقالَ :لَا تَفْعَلْ، بِعْ الْجَمْعَ - أي الرديء - بِالدَّرَاهِمِ، ثُمَّ ابْتَعْ بِالدَّرَاهِمِ جَنِيبًا.

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري جَاء صَاحِبُ نَخْلِهِ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ طَيِّبٍ، وَكَانَ تَمْرُ النبي هَذَا اللَّوْنَ، فقالَ لَهُ النَّبِيُّ : أَنَّى لَكَ هَذَا؟ قَالَ: انْطَلَقتُ بِصَاعَيْنِ، فَاشْتَرَيْتُ بِهِ هَذَا الصَّاعَ، فَإِنَّ سِعْرَ هَذَا فِي السُّوقِ كَذَا، وَسِعْرَ هَذَا كَذَا، فقالَ رَسُولُ الله : (وَيْلَكَ أَرْبَيْتَ، إِذَا أَرَدْتَ ذَلِكَ فَبِعْ تَمْرَكَ بِسِلْعَةٍ، ثُمَّ اشْتَرِ بِسِلْعَتِكَ أَيَّ تَمْرٍ شِئْتَ.

ولقد حدد الرسول الأصناف التي تجري فيها الربا، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: (الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةَ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرَّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرَ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرَ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحَ بِالْمِلْحِ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، مِثْلا بِمِثْلٍ، فَمَنْ زَادَ أَوِ ازْدَادَ فَقَدْ أَرْبَى.

وروى البخاري أن الرسول قال: (الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ رِبًا، إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ.

وروى البخاري أن الرسول قال: (لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلَّا سَوَاءً بِسَوَاءٍ، وَالْفِضَّةَ بِالْفِضَّةِ إِلَّا سَوَاءً بِسَوَاءٍ، وَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالْفِضَّةِ، وَالْفِضَّةَ بِالذَّهَبِ كَيْفَ شِئْتُم.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله لآكل الربا.

أولا: العقوبات الدنيوية:

١ - إعلان الحرب من الله والرسول على آكل الربا: فقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ الله وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]

٢ - العذاب من الله على آكل الربا: روى أبو يعلى والحاكم أن الرسول قال:ما ظهر في قوم الزنا والربا، إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله.

٣ - نزع البركة من مال المرابي: فقال :{يَمْحَقُ الله الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ والله لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} [البقرة: ٢٧٦]

وقال :{وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِندَ الله وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} [الروم: ٣٩]

٤ - الدرهم الواحد من الربا يساوي في الإثم والعقوبة ثلاثة وسبعين زانية: فروى البيهقي وابن ماجه والحاكم وصحح الحديث الشيخ الألباني، أن الرسول قال:الربا ثلاثةٌ وسبعون باباً، أيسرها مثل أن ينكحَ الرجلُ أمَّه.

ثانياً: العقوبات التي في القبر:

روى البخاري أن الرسول قال:رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ.... حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ، وَعَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ

كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ مَا هَذَا؟... وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا.

ثالثاً: العقوبات التي في الآخرة:

١ - **اللعن**: روى مسلم أن الرسول لعن آكل الربا، وموكله، وشاهديه، وكاتبه، وقال: هم سواء.

٢ - الحشر يوم القيامة في صورة المجنون: فقال: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢٧٥]

* * *

السبب الخامس: الرياء

الرياء

أسبـاب عـذاب القبـر

الرياء

الحمدُ لله رب العالمين: ذي الجلال والإكرام، وشارع الحلال والحرام، الذي له ملكُ السماوات والأرض، وله في عبادِه حقُّ المنْع والفرض، أحمدُه بما هو له أهلٌ من الحمدِ، وأُثني عليه، وأستغفرُه من جميعِ الذنوبِ وأتوبُ إليه، وأؤمنُ به وأتوكّلُ عليه، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له.

سبحانه: علام الغيوب، المطلع على سرائر القلوب، المتجاوز عن كبائر الذنوب، العالم بالسر وأخفى، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كَمُلَ ووفِّي، وخلُص عن شوائب الرياء والشرك وصفاً، فقال :{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف: ١١٠].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: حكم على المرائي بعدم قبول أعماله، ووعده بجهنم والعياذ بالله، فقال :{مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: ١٥، ١٦].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : حذرنا من الرياء، فروى البيهقي وابن أبي شيبة، وابن خزيمة عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ فَقَالَ:أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله: مَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ :يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب عذاب القبر، ألا وهو: الرياء (الشرك الأصغر)، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه،

إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: إن الله أمرنا أن نعبده وحده، فلا نشرك معه غيره في العبادة، وأوجب على كل مسلم ضرورة الإخلاص في العبادة له وحده، فقال :{وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ} [البينة: ٥].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أمر الله الرسول بضرورة الإخلاص في الأعمال، فقال :{تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ الله العَزِيزِ الحَكِيمِ * إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ الله مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * أَلاَ لله الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى إِنَّ الله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ الله لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: ١ - ٣].

وقال :{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ الله مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ الله أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ} [الزمر: ١١ - ١٥].

بل جعل الله الإخلاص شرطاً في قبول الأعمال، فقال : {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف: ١١٠].

فالواجب على كل مسلم أن يحقق الإخلاص في عمله، حتى يكون مقبولاً عند الله .

الحقيقة الثانية: إن أعمال الجوارح كلها تابعةٌ لحركة وإرادة القلب،

فإن كانت حركة القلب وإرادته لله وحده، كانت حركة الجوارح وأعمالها لله وحده، وإن كانت حركة القلب وإرادته وعمله، من عبودية، ومحبة، ورجاء، وتوكل، وخشية، وإنابة، وتفويض، لغير الله ، كانت أعمال الجوارح وحركاتها أيضاً لغير الله ، فانبعثت الجوارح بمعصية الله ؛ لأن القلب هو الملك، والجوارح هي جنوده ورعاياه، وإن صح وصلح المَلِكُ، صح وصلح الجنود والرعايا، وإن فسد الملك، فسد الجنود والرعايا، فهم يأتمرون بأمره، ويعملون بتوجيهه.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى الله مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ.

فالأعمال كلها يتوقف قبولها على صلاح النية، فإن ابتغيت بعملك الله ، قُبِل منك العمل، ولو كان في أعين الناس حقيراً، ولو ابتغيت بعملك لغير الله ، رد عملك في وجهك، ولو كان في أعين الناس عظيماً.

ولقد بين لنا الرسول ذلك، فروى البخاري ومسلم عن أبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قال: أَنَّ رَجُلاً أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ في سَبِيلِ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله : مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله أَعْلَى، فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله.

وروى البخاري وغيره أن الرسول قال: إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات، وإِنَّمَا لكل امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وإلى رَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله

وإلى رَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ.

الحقيقة الثالثة: ما هو الرياء؟ الرياء هو: ترك الإخلاص في العمل بمراعاة غير الله فيه، وقيل: هو فعلُ الخير لإرَاءَة الغير، وقال الغزالي: أصل الرياء: طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير.

الحقيقة الرابعة: ما دواعي الرياء؟ للرياء دواعي كثيرة أهما ما يلي:

أولاً: عدم معرفة العبد بربه معرفة حقيقية: فإن العبد إذا لم يعرف ربه معرفة حقيقية، فإن ذلك يجعله لا يقدره حق قدره، فقال : {وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: ٦٧].

فالمرائي لا يعرف أن الله بيده مقاليد الأمور، فهو الذي بيده النفع والضر، والفقر والغنى، فقال : {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

فعندما يجهل الإنسان منا هذه الأمور كلها، حينئذ يحرص العبد على مراءاة الناس، وتسميعهم كلَ ما يصدر من الطاعات، لكي يمنحوه ثناء، أو يرفعوا قدره، ويُعلوا شأنه، وليس ذلك بأيديهم، إنما هو بيد الله .

ثانياً: إشباع غريزة الحمد والثناء من الناس: فالإنسان المرائي يفرح بمدح الناس له، ويشكر المادح، ويغضب من الذم، ويحقد على الذام، وهذا يدفعه إلى الرياء، فقال : {لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ العَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

[آل عمران: ١٨٨].

ثالثاً: الصحبة والرفقة السيئة: لأن المرائي قد يكون له صحبة سيئة، لا هم لهم إلا الرياء والسمعة، فهو يقلدهم، ويحاكي أفعالهم وسلوكهم، ولا سيما إذا كان من الشخصيات الضعيفة التي تتأثر بالآخرين، ولقد حذرنا المولى من الرفقة السيئة، فقال :{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً} [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

رابعاً: حب الرياسة والمنصب: فالإنسان منا عندما يحب الرياسة والمنصب، فإن ذلك يدعوه إلى الرياء، مع أن الرسول بين لنا أن المناصب ستكون حسرة على أهلها يوم القيامة، فروى البخاري أن الرسول قال:إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَإِنَّهَا سَتَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةً وَنَدَامَةً، فَنِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ، وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ.

ولقد حذرنا الرسول من طلب الرياسة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال لعبد الرحمن بن سمرة:يا عبد الرحمن، لَا تَسْأَلْ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ، وُكِلْتَ إِلَيْهَا.

خامساً: الجهل بعواقب الرياء وآثاره: فإن جهله يؤدي به إلى مراءاة الآخرين، لكنه لو عرف عواقبه وأضراره، لانتهى.

ولقد ذم الله الجهل، فقال:{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف: ١٧٩].

ولقد بين الله أثر الجهل على صاحبه يوم القيامة، فقال:{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: ١٠، ١١].

أخـوة الإسـلام:

تعالوا معي لنتعرف على أقسام العمل مع الرياء.

أولاً: يكون العمل رياءً محضاً، كأن يكون الرياء في أصل الدين، أي: أن يُظهرَ الإسلام ويُبطِنَ الكفر، فهذا أشد أبواب الرياء، ولقد أشار إليه المولى في القرآن، فقال:{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله والله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ والله يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} [المنافقون: ١].

وقال الله :{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ والله لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ} [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

هذا النوع من الرياء صاحبه مخلد في النار؛ لأنه منافق معلوم النفاق، فقال :{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} [النساء: ١٤٥].

ثانيــاً: أن يكون الرياء بعبادة من العبادات، أو بطاعة من الطاعات، مع وجود أصل الدين، كأن يكون الرجل مؤمناً موحداً لله ، ولا يسجد إلا لله، ولا يوجه العبادة إلا لله، إلا أنه زل في عبادة من عباداته وطاعة من طاعاته، فراءى بها الناس والمخلوقين.

فهذه العبادة وهذه الطاعة وهذا العمل حابط ومردود في وجهه، ولا قبول له عند الله ؛ لقول الله :{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} [الكهف: ١١٠].

ثالثاً: أن يكون الرياء مشاركاً للعمل، فإن شارك الرياءُ العملَ من بدايته، أي: من الأصل، ومنذ انعقاد النية، فهذا العمل محبط وغير مقبول أيضاً.

فلو أن رجلاً خرج ليصلي، وما خرج أصلاً للصلاة إلا مراءاة للمخلوقين، وليرائي بها الناس، فالرياء شريك مع نية العمل، فهذا العمل

كله من أوله إلى آخره عمل حابط ومردود في وجه صاحبه، لما رواه مسلم عن أبي هريرة أن النبي قال:قال الله : **أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه.**

وفي رواية ابن ماجة:**فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك.**

رابعاً: قد يكون العمل لله في أوله، فيأتي الرجل للصلاة يبتغي بها وجه الله ، ولكنه وهو في أثناء الصلاة طرأ عليه طارئ الرياء، فاختلف العلماء في هذه الحالة هل يحبط العمل كله أم لا؟ ولكن الراجح كما رجحه الإمام أحمد، والإمام الطبري: أنه إذا كان أصل النية لله ، وإذا كان أصل العمل لله جل وعلا وطرأ عليه طارئ الرياء، فإن دفعه فلا يضره هذا الطارئ بلا خلاف، أما إن استرسل مع الرياء في العمل، فإن عمله لا يحبط ولا يرده الله، وإنما يجازى على أصل نيته الأولى، وهذا من رحمة الله .

خامساً: أن يكون العمل خالصاً لله وحده، لا تشوبه شائبة من شوائب الرياء، ولا من شوائب النفاق، ويلقي الله للعبد الحب في قلوب الخلق وفي قلوب الناس، ويجري ألسنتهم بالثناء عليه، فيفرح العبد بذلك ويستبشر به، فهذا لا يضره بإجماع العلماء، وليس هذا من أبواب الرياء؛ لما رواه مسلم من حديث أبي ذر : أنه سأل عن الرجل يعمل العمل من أعمال الخير، فيحمده الناس عليه، أي: يعمل أعمال الخير مبتغياً وجه الله ، ومخلصاً لله في عمله؛ فيحمده الناس على هذا العمل، فقال النبي :**تلك عاجل بشرى المؤمن.**

وقال :{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: ٩٦].

قال ابن عباس : أي محبة في قلوب الخلق.

ويؤكد ذلك ما رواه البخاري ومسلم أن الرسول قال:**إن الله إذا**

أحب عبداً نادى جبريل، وقال: يا جبريل! إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: يا أهل السماء! إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض.

وروى البزار وصحح الحديث الشيخ الألباني أن النبي قال:ما من عبد إلا وله صيت في السماء، فإن كان صيته حسناً، وضع في الأرض، وإن كان صيته في السماء سيئاً، وضع في الأرض.

ويجب أن يعلم الجميع: أن حسن الثياب، وحسن النعل، وحسن المظهر، ليس من الرياء، والدليل على ذلك ما رواه الإمام البخاري ومسلم أن النبي قال:لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل: يا رسول الله: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً، فقال النبي :الكبر بَطَرُ الحق، وغمط الناس.

أخوة الإسلام:

لقد انتشر الرياء في هذه الأيام بصورة لا ترضي الله ولا ترضي الرسول ، فنجد كثيراً من الناس غرهم حب الظهور، وأعماهم الحرص على محمدة الناس وثنائهم، فعبدوا الله رياء وسمعة، وطلبوا الدنيا بأعمال الدين، وتظاهروا بالصلاح كذباً ونفاقاً، فتعالوا معي لنتعرف على الأشياء التي يتراء بها المرائون.

أولاً: الرياء بالعبادة: فالمرائي يرائي بعبادته، فإذا ما ذهب المرائي ليصلي مثلاً، فهو يذهب إلى موضع الصلاة ليقال عنه: أنه كثير الصلاة، فإذا دخل المسجد ورأى غيره في المسجد اجتهد في الصلاة، ليس ابتغاءً لله ، ولكن رياءً، فيطيل القيام، ويمد الظهر، ويطيل في السجود والركوع، ويترك الالتفات، وإظهار الهدوء والسكينة، وتسوية القدمين واليدين.

وإذا أراد أن يتصدق تصدق تفاخراً ورياءً، ليقال عنه أنه متصدق أو خيِّرٌ، نجد المرائي في العبادة إذا اطلع عليه أحد خشع في

عبادته، وإذا وجد أنه لا يطلع عليه أحد رجع إلى عادته في العبادة، من الإسراع والالتفات وعدم الخشوع.

ثانياً: الرياء بالبدن: والرياء بالبدن يكون من جهتين:

الجهة الأولى: جهة الدين: وذلك بإظهار النحول والصفار؛ ليوهم بذلك شدة الاجتهاد، وعظم الحزن على أمر الدين، وغلبة خوفه من الآخرة، ويرائي بضعف الصوت، وغور العينين، وذبول الشفتين، ليستدل بذلك على الصيام، فروى الطبراني عن أبي هريرة أن سيدنا عيسى قال: **إذا صام أحدكم، فليدهن رأسه، ويرجل شعره، ويكحل عينيه** إنه يخاف عليهم أن يراءوا بما يظهر من بشرة وجوههم، الذي يدل على صيامهم.

الجهة الثانية: جهة الدنيا: فهم يراءون بالسمن، وصفاء اللون، وانتصاب الصلب، وذلك أيسر من الرياء في الدين، وهؤلاء قال الله فيهم للرسول : {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ} [المنافقون: ٤].

ثالثاً: الرياء بالهيئة والزي: فنجد المرائي يتراء بهيئته وزيه، فالرياء بالهيئة يكون بتشعيث شعر الرأس والهدوء في الحركة، وإبقاء أثر السجود على الوجه، ولبس الصوف وتشميرها إلى قرب الساق، وتقصير الأكمام، كل ذلك ليظهر المرائي أنه متبع لسنة الرسول ، ومقتد فيه بعباد الله .

وأما الرياء بالزي: فيكون بالثياب النفيسة، والمركب الرفيع، ليقال عنه: أنه يلبس أفضل الثياب وأحسنها.

رابعاً: الرياء بالقول: فنجد رياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة، وحفظ الأخبار والآثار، وإقامة الحجة عند المجادلة، وحسن الصوت بالقراءة وتحزينه والتباكي، ليدل على أنه خائف من الله .

خامساً: الرياء في المعاملة: فنجد الرياء في المعاملة بين الناس قد انتشر، حتى ألفوه وتعوده، فأصبح الغش مهارة، واللف والدوران والكذب والبهتان حنكة وسياسة، وأصبحت الصداقة والصحبة بين الناس نفاقاً ومخادعة، فلا يعرفك صديقك إلا لغرض، إن احتاج إليك لازمك، ورفعك إلى السماء، وإن استغنى عنك قطعك وأنزلك إلى الحضيض.

يقابلك فيبش لك الوجه، ويضحك ويمدحك في وجهك، ويذمك وينهش عرضك في غيبتك، لذلك تقطعت الروابط بين الناس، وتسمم الهواء بالرياء، حتى أصبحنا لا نجد في الأغلب تاجراً ولا صانعاً صادقاً، ولا بائعاً نزيهاً عفيفاً، ولا شريكاً أميناً، ولا متعبداً حسن القصد، طاهر النية، وتلك هي صفات الذين ضل سعيهم، وفسد حالهم، وكانوا من الخاسرين.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على كيفية العلاج من داء الرياء.

أولاً: أن يعرف الإنسان ربه حق المعرفة ويقدر قدره: فعلى الإنسان أن يعلم أن الله هو الرافع والخافض، وأنه هو المعز المذل، وأنه هو الذي يعلم السر وأخفى، فعلى الإنسان أن يعلم أن الله مطلع عليه، فلو لم ير العبد ربه فهو يراه ويطلع عليه، قال :{أَلَيْسَ الله بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: ٣٦].

ثانياً: أن يعرف العبد ما أعده الله للمرائين، وما أعده للمخلصين: وشتان بين هذا وذاك، فالمراءون قد أُعد لهم العذاب المقيم، والويل الشديد، والمخلصون قد أعد الله لهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فقال :{فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ* أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ* وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة: ١٧، ٢١].

ثالثاً: أن يُعَوِّدَ الإنسان نفسه إخفاء العبادات: مثل إغلاقه الأبواب ساعة ارتكاب فاحشة من الفواحش، قال :{إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [البقرة: ٢٧١].

رابعاً: التخلي عن صحبة من عُرفوا بالرياء وحب المدح: لأن المرء على دين خليله، فروى الحاكم وأحمد أن الرسول قال:الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ.

وعليه أن يصاحب المخلصين الموحدين؛ لأن يوم القيامة سيلوم كل صاحبه، كما قال المولى :{إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ الله أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

خامساً: الدعاء: فعلى المسلم أن يدعو المولى أن يقيه من الرياء، فروى أحمد والطبراني في معجمه الكبير أن الرسول قال:أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا الشِّرْكَ، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، فقالَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ يَا رَسُولَ الله، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ؟ قَالَ :قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا نَعْلَمُ.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله للمرائي:

هناك عقوبات دنيوية، وعقوبات أخروية، فأما العقوبات الدنيوية

ما يأتي:

أولاً: الرياء من صفات المنافقين: فقال :{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً} [النساء: ١٤٢، ١٤٣].

ثانياً: المرائي قرين الشيطان: فقال :{وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ باللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيماً} [النساء: ٣٨، ٣٩].

ثالثاً: عدم قبول العمل وإحباطه مطلقاً: فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا واللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٤٦].

فكذلك عمل المرائي، لا يستفيد منه شيئاً.

وقال :{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً} [الفرقان: ٢٣].

أي: أنه أحبط أعمالهم من أجل الرياء، حتى صارت بمنزلة الهباء.

رابعاً: الفضيحة في الدنيا: روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:مَنْ سَمَّعَ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي، يُرَائِي اللهُ بِهِ.

يروى أن رجلاً من بني إسرائيل وكان من العباد، وقد علم أن قوماً يعبدون شجرة، فأخذ فأساً وذهب ليقطعها، فقابله إبليس في الطريق إليها؟، فسأله: إلى أين أنت ذاهب؟ قال: إني ذاهب إلى الشجرة التي علمتُ أنها تعبد من دون الله ؛ لأقطعها، فقال له إبليس: لن تقطعها، فقال العابد: لا بد من قطعها، ثم قاتل العابد إبليس،

فصرعه، فلما رأى إبليس أن العبد قد صرعه بقوة إيمانه وإخلاصه، احتال عليه فقال له: إنك رجل فقير ومحتاج إلى المال، فارجع إلى محرابك، ودع أمر الشجرة لأحد غيرك، ولو شاء الله قطعها لأرسل رسولاً لقطعها، ثم قال له: ولك مني مقابل هذا ديناران كل ليلة، فاقتنع العابد بهذا، ثم عاد إلى محرابه، ففي الليلة الأولى وجد الدينارين، وفي الليلة الثانية وجد الدينارين، وفي الليلة الثالثة لم يجد شيئاً، فخرج غاضباً ليقطع الشجرة، فقابله إبليس فقال له: إلى أين؟ فقال: إني ذاهب إلى الشجرة لأقطعها، فقال له إبليس: لن تقطعها، فقال العابد: لا بد من قطعها، ثم قاتله، فصرعه إبليس، فتعجب العبد، ثم قال لإبليس: لماذا غلبتك أولاً، ثم غلبتني ثانياً؟ فقال إبليس: لأن غضبك أولاً كان لله ، وغضبك ثانياً كان للدينارين.

خامساً: براءة الله منه: روى ابن ماجه أن الله يقول في الحديث القدسي:**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري، فأنا من بريء، وهو للذي أشرك.**

أما العقوبات التي في الآخرة فيه ما يأتي:

أولاً: الفضيحة في الآخرة: روى الترمذي وابن حبان أن الرسول قال:**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عمله لله أحداً، فليطلب ثوابه من عنده، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك.**

ثانياً: **المرائي أول من تسعر به النار يوم القيامة**: روى مسلم والنسائي أن الرسول قال:**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيء، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ:**

تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ؛ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ؛ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

ثالثاً: الإذلال للمرائين: روى الطبراني في معجميه الأوسط والكبير أن الرسولُ قال:يُؤْمَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بناسٍ إِلَى الْجَنَّةِ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْهَا، وَاسْتَنْشَقُوا رَائِحَتَهَا، وَنَظَرُوا إِلَى قُصُورِهَا وَمَا أَعَدَّ الله لأَهْلِهَا فِيهَا، نُودُوا اصْرِفُوهُمْ عَنْهَا، لا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهَا، فَيَرْجِعُونَ بِحَسْرَةٍ مَا رَجَعَ الأَوَّلُونَ بِمِثْلِهَا، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لَوْ أَدْخَلْتَنَا النَّارَ قَبْلَ أَنْ تُرِيَنَا مِنْ ثَوَابِكَ، وَمَا أَعْدَدْتَ فِيهَا لأَوْلِيَائِكَ، كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا، قَالَ: ذَلِكَ أَرَدْتُ بِكُمْ إِذَا خَلَوْتُمْ بَارَزْتُمُونِي بِالْعِظَامِ، وَإِذَا لَقِيتُمُ النَّاسَ لَقِيتُمُوهُمْ مُخْبِتِينَ، تُرَاؤُونَ النَّاسَ بِخِلافِ مَا تُعْطُونِي مِنْ قُلُوبِكُمْ، هِبْتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تَهَابُونِي، وَأَجْلَلْتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تُجِلُّونِي، وَتَرَكْتُمْ لِلنَّاسِ وَلَمْ تَتْرُكُوا لِي، فَالْيَوْمَ أُذِيقُكُمْ أَلِيمَ الْعَذَابِ مَعَ مَا حَرَمْتُكُمْ مِنَ الثَّوَابِ.

رابعاً: أعد الله وادي في جهنم: فقال :{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون: ٤ - ٧].

وروى الطبراني في معجمه الكبير أن النَّبيِّ قالَ:إِنَّ فِي جَهَنَّمَ لَوَادِ، تسْتَعِيذُ جَهَنَّمُ مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعَ مِائَةِ مَرَّةٍ، أُعِدَّ ذَلِكَ الْوَادِي لِلْمُرَائِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، لِحَامِلِ كِتَابِ الله، وَلِلْمُصَّدِّقِ فِي غَيْرِ ذَاتِ الله، وَلِلْحُجَّاجِ إِلَى بَيْتِ الله، وَلِلْخَارِجِ فِي سَبِيلِ الله.

* * *

السبب السادس: الـزنا

الـزنا

أسبـاب عـذاب
القبـر

الـزنا

الحمد لله رب العـالمين: نحمده ونـستعينه ونـستغفره، ونعوذ بـالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنـا، إنـه من يهديـه الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلن تجد لـه ولياً مرشداً.

سبحانه: جعل حفظ الفروج من صفات المؤمنين، ورتب الثـواب العظيم على ذلك، فقال :{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: ١ - ١١].

وقـال :{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ الله كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ الله لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [الأحزاب: ٣٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريـك لـه: توعد الزنـاة بمضاعفة العذاب يوم القيامة، والخلود فيـه، صـاغرين مهـانين؛ لعظم جريمتهم وقبح فعلهم، فقال :{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا} [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : ضمن الجنة لمن حافظ على فرجه، فروى أحمد والحاكم وابن حبان أن الرسول قـال:اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا

إذا أؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيـديكم فـاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسـلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب عذاب القبر، ألا وهو: **الزنـا**، فـأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، فـإن الموضوع جد خطير، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله: بداية وقبل أن تناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقـة الأولى: إن الـشرع الحنيـف جـاء ليحـافظ علـى الكليـات الخمس وهي: الدين، والعرض، والنفس، والمال، والعقل، ولقد جعل الـشرع الحنيـف للعـرض حرمـة كحرمـة الـدم والمـال، ولقد أشـار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى مسلم وغيره أن الرسول قال: إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وأعراضـكم حَـرَامٌ عَلَـيْكُمْ، كَحُرْمَـةِ يَـوْمِكُمْ هَـذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا.

ولقد أحاط الشرع الحنيف العرض بسياج منيع من جميع جوانبه، فحرم كلَّ نافذة تطل عليه، ابتداءً من النظرة بالعين، وخَطرةٍ بالقلب، وهمسةٍ بـالأذن، ورنـةٍ بـالحلي، وألـزم الحجابَ صـوناً لـه، وحفاظـاً عليه، فقال : {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُـمْ عَلَـيْكُمْ أَلاَّ تُـشْرِكُوا بِـهِ شَـيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَتِـي حَـرَّمَ الله إِلاَّ بِالْـحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: ١٥١].

وقـال : {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَـا ظَهَـرَ مِنْهَـا وَمَـا بَطَـنَ وَالإِثْـمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَـلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣].

وعمل الإسلام بكل قوة على تطهير البيئة الإسلامية من أسباب الإغراء والفساد، حتى يُحَصِّنَ المسلمُ نفسه، ويبتعدَ كلُ إنسان فينا عن أي شيء يدنس عرضه وشرفه، وأمر كلَّ مسلم فينا أن يستعفَ حتى يجد القدرة على الزواج الحلال، فقال :{وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ الله مِن فَضْلِهِ} [النور: ٣٣] .

فليس من الإسلام أن تُتركَ البيئةُ تغري بالإثم وتغري بالفاحشة، ونضع الشاب أو الشابة في اللهب، ثم نقول له: لا تحترق.

الحقيقة الثانية: إن رقي النوع الإنساني، ونظافة الحضارةِ البشرية، ترتكزُ في المقام الأول على تحديد العلاقة بين الرجل والمرأة، والتسامي بها حتى تبلغَ قمتَها، وتؤتي ثمارها المباركة أسراً مترابطة، وأمماً قوية، ومجتمعاتٍ عفيفة، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً} [الفرقان: ٥٤].

وقال :{والله جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ الله هُمْ يَكْفُرُونَ} [النحل: ٧٢].

فليس من الرقي ولا من الحضارة أن يترك الحبل على الغارب بين الرجل والمرأة، وفي النهاية نقول: نحن أحرار، ليست الحرية كما يفهمها البعض أن يفعلَ الإنسانُ كلَّ ما تشتهيه نفسُه، ولكن الحرية الحقيقية أن يفعل الإنسان ما يجب عليه من أوامر شرعية.

فليس هناك حرية مطلقة في هذا الكون، فكل شيء له حدود، حتى الكواكب السيارة لها مساراتها ومداراتها، فقال :{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء: ٣٣].

وقال :{لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ

وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: ٤٠].

حتـى الطـائرات لهـا مـسابحها فـي الجـو، حتـى البـواخر فـي المحيطات لها مساراتها، كل شيء لا يمكن أن يكون حراً بإطلاق، لا بد من حدود وقيود، وإلا اصطدمت الأشياء بعضها ببعض، فالحرية المطلقة بهيمية حيوانية وليست من الإنسانية في شيء.

وإن الطريـق الوحيـد لإباحـة العلاقـة بـين الرجـل والمـرأة هـو الزواج، فقـال :{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المؤمنون: ٥، ٦].

وروى أبـو داود أن الرسـول قـال:اتَّقُـوا اللهَ فِي النِّـسَاءِ، فَـإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ الله، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ الله.

الحقيقة الثالثة: إن الزنا لا يجتمع مع الإيمان أبداً، فإذا وجد الزنـا انعدم الإيمان، وإذا وجد الإيمان انعدم الزنا، ولقد أشار الرسول إلـى هذه الحقيقة، فروى البخاري وغيره أن الرسول قـال:لَا يَـزْنِي الـزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ.

وروى البيهقي أن الرسول قال:إن الإيمان سربـال يـسربله الله مـن يشاء، فإذا زنى العبد نزع منه سربال الإيمان، فإن تاب رد عليه.

وروى الحـاكم أن الرسـول قـال:مـن زنـى وشرب الخمـر، نـزع الله منه الإيمان، كما يخلعُ الإنسانُ القميصَ من رأسه.

ومـن هنـا كـان الاعتـداء علـى أي فـرد مـن أفـراد المجتمـع عـن طريـق الزنـا، يعتبـر اعتـداءً علـى حـق المجتمـع كلـه، ولـو كـان لهذا الاعتـداء ثمـرة خاطئـة فسيتحملها المجتمـع كلـه، سـواء كانـت رذيلـة تظهـر، أو حمـلاً يولـد، ولـذلك نجد أن الله خـص حـد الزنـا مـن بـين الحـدود بخصـائص:

أولاً: القتل فيه بأشنع طريقة، وذلك عن طريق الرجم، إذا كـان

الزاني أو الزانية متزوجين، وإذا لم يكونا متزوجين فخفف الحد، فجمع بين العقوبة على البدن بالجلد، وعلى القلب بتغريبه عام كامل عن وطنه إلى مسافة القصر.

ثانياً: أن الله نهى عباده أن تأخذهم رأفة في دينه، بحيث تمنعهم من إقامة الحد عليهم، فإن الله من رأفته بعباده شرع حد الزنا.

ثالثاً: شهود جماعة من المسلمين إقامة الحد على الزاني والزانية، فقال :{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٢].

الحقيقة الرابعة: إن من الحيوانات من تأنف من الزنا وترفضه، بل الأعجب من هذا كله أن بعض الحيوانات تقيم حد الرجم على من زنا منها، فتأمل معي ذلك القرد الحيوان الأعجم، فمن المعلوم أن كل قرد له زوجة، لا يعتدي عليها قرد آخر، وهم يختلفون عن كثير من الحيوانات، فجاء في صحيح البخاري عن عيسى بن حطان قال: دخلت مسجد الكوفة، فإذا عمرو بن ميمون جالس، وعنده ناس فقال له رجل: حدثنا بأعجب شيء رأيته في الجاهلية.

قال: كنت في حرث لأهل اليمن، فرأيت قروداً كثيرة اجتمعن، قال: فرأيت قرداً وقردة اضطجعا، ثم أدخلت القردةُ يدها تحت عنق القرد واعتنقته، ثم ناما، فجاء قرد فغمزها من تحت رأسها، فاستلت يدها من تحت رأس القرد، ثم انطلقت معه غير بعيد، فنكحها، وأنا أنظر، ثم رجعتْ إلى مضجعها، فذهبتْ تُدخِل يدها تحت عنق القرد كما كانت، فانتبه القرد، فقام إليها فشم دبرها، فاجتمعت القرود فجعل يشير إليها، فتفرقت القردة، فلم ألبث أن جيء بذلك القرد بعينه، أعرفه، فانطلقوا بها وبالقرد إلى موضع كثير الرمل، فحفروا لهما حفيرة، فجعلوهما فيها، ثم رجموهما حتى قتلوهما، والله رأيت الرجم

قبل أن يبعث الله محمداً .

فإذا كانت القردة ترفض الزنا وتقيم حد الرجم على من زنا منهم، فما بالك أنت أيها الإنسان، يا من كرمك الله ، وخلقك فسواك فعدلك.

أخوة الإسلام:

لقد شدد الدين الإسلامي على جريمة الزنا ونظر إليها نظرة عدائية، فتعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من هذه الجريمة.

أولاً: جعل الشرع الحنيف الزنا من الكبائر:

بل من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله ، فروى البخاري ومسلم أن رجلاً قالَ: يَا رَسُولَ الله أيُّ الذَّنْبِ أكْبَرُ عِنْدَ الله؟ قالَ :أَنْ تَدْعُوَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ :ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ قالَ: ثُمَّ أيٌّ،؟ قالَ :ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ فَأنْزَلَ الله تَصْدِيقَهَا:{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} [الفرقان: ٦٩].

وروى أحمد والطبراني أن الرسول قال:**ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها الرجل في فرج لا يحل له.**

ثانياً: جعل الله الزنا قرين الشرك في سفالة المنزلة وفي الجزاء:

فقال :{الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٣] .

ويقول في الجزاء وهو يقرن بين الزنا وغيره من الموبقات:{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا} [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

ثالثاً: جعل الرسول الزنا سبباً في ظهور الأمراض:

فروى ابن ماجه أن الرسول قال:يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ.

رابعاً: جعل الرسول الزنا سبباً في إنزال العذاب:

فروى أحمد أن الرسول قال:لا تزال أمتي بخير ما لم يفشُ فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا، فأوشك أن يعمهم الله بعذاب.

خامساً: جعل الرسول الزنا سبباً في كثرة الموت:

فروى مالك والبيهقي أن الرسول قال:ما ظهر الغلولُ في قوم قط إلا أُلقِي في قلوبهم الرعبُ، ولا فشا الزنا في قوم قط إلا كثر فيهم الموتُ، ولا نقص قومٌ المكيال والميزان إلا قُطع عنهم الرزقَ، ولا حكم قومٌ بغير الحق إلا فشا فيهم الدم، ولا خَتَرَ قومٌ بالعهد " أي نقضوه " إلا سلط الله عليهم العدو.

سادساً: جعل الرسول الزنا من أشراط الساعة:

فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا.

سابعاً: جعل الله الزنا من أفحش الفواحش:

وأنه بئس الطريق، طريق الحسرة والندامة، وطريق الذل والخيبة، طريق من سلكه كان من الخاسرين، فقال :{وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا

إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً} [الإسراء: ٣٢].

قـال القرطبـي: قولـه :{وَلاَ تَقْرَبُـوا الزِّنَـا} أبلـغ مـن أن يقـول: ولا تزنوا، فإن معناه لا تدنوا من الزنا.

ولقائل يقول: لمـاذا حـرم الله الزنـا؟ أقـول: حـرم الله الزنـا: لأنـه يجمـع خـصـال الـشر كلهـا، مـن قلـة الـدين، وذهـاب الـورع، وفـساد المروءة، وقلة الغيرة، وأود الفضيلة.

حـرم الله الزنـا: لأنـه جريمـة فظيعـة، وجنايـة مزدوجـة، وفعلـة دنيئة، وعمل قبيح.

حرم الله الزنا: لأنه يدنس العرض والشرف، وينزع شعار العفة والطهر والفضيلة، ويلطخ فاعله بالعار والفضيحة.

حـرم الله الزنـا: لأنـه يُفسد نظـام البيـت، ويهـز كيـان الأسـرة، ويقطع العلاقة الزوجية، ويُعرض الأولاد لسوء التربيـة، ممـا يتسبب عنه التشرد والانحراف والجريمة.

حرم الله الزنا: لأنه يبدد الأموال، ويهتك الأعراض، ويؤدي إلى اختلاط الأنساب، ورمي اللقطاء في الطريق، دون شفقة ولا رحمـة، عرضة للموت والعدم.

حرم الله الزنا: لأنه يعرض صاحبه إلى غضب المنتقم الجبار، ويجره إلى عذاب جهنم وبئس المصير، فروى أبو يعلـى أن الرسـول قال:ما ظهر في قوم الزنا، إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله .

حـرم الله الزنـا: لأنـه يجلـب الهـم والحـزن والخـوف، ويجعـل الزانيـة بـين خطـرين، فـإن المـرأة إذا زنـت أدخلـت العـار علـى أهلهـا وزوجهـا، ونكست رؤوسـهم، فـإن حملـت مـن الزنـا وقتلـت ولدها، جمعت بين جريمتـي القتل والزنـا، وإن أمسكته أضـافت إلـى زوجها غير ولده.

إخـوة الإسلام:

لقد تسفل كثير من الناس في هذا الوقت من الزمان، فهاموا بالزنا، وفروا من ميدان الشرف والكرامة إلى بؤر الفساد والتلف، وأصبحوا عبيد شهواتهم وفروجهم، يصاحبون في الحرام، ويعتدون على الأعراض، ولا يستحيون من أحد، لا من الخالق ولا من المخلوق، ثم بعد ذلك يرتكبون جريمة الزنا، ولا يكتف الأمر عند هذا الحد، بل يتفاخرون بهذا العمل القبيح مع أن الرسول حذرنا من المجاهرة بالمعصية، فروى أبو نعيم أن الرسول قال: **إن من شرار الناس المجاهرين** قالوا: يا رسول الله، وما المجاهرون؟ قال: **الذي يذنب الذنب بالليل، فيستره الله عليه، فيصبح فيحدث به الناس، فيقول: فعلت البارحة كذا وكذا، فيهتك ستر الله عنه.**

وروى مسلم أن الرسول قال: **كل أمتي معافون إلا المجاهرون** قالوا: وما المجاهرون؟ قال: **الذي يفعل الفعلة بالليل ويبيت وقد ستره الله ، ويأتي الصباح ويقول: لقد فعلت البارحة كذا وكذا.**

هذا الصنف من الناس الذين يجاهرون بالمعصية قد أساؤوا إلى أنفسهم وإلى أمتهم، وأصبحوا حرباً عوناً على الأخلاق والشرف، وخطراً يهدد الفضيلة والحياء.

لقد خرج فريق من المسلمين على مبادئ الكرامة والأدب، وشذوا عن الطريق المستقيم، ولطخوا أنفسهم بعار الزنا، فأطاع المسلم نداء فرجه فوضعه في الحرام، واستجاب لدعوة شيطانه فتمرغ في الآثام، وزنا بالمرأة وجامعها بغير حق.

عجباً للزاني: يترك حلاله الطيب، ويتهافت على الحرام الخبيث.

عجباً للزاني: كرهه الشيطان في الحلال، وزين له الحرام، فتكالب عليه وجد في طلبه، واشتهته نفسه القذرة.

عجباً للزاني: إذا كان الإنسان منا يأنف من طعام قد سبقه إلى

غيره، فكيف لا يأنف من امرأة هي مورد الزنـا، وعرضـة للقاصـي والداني.

عجباً للزاني: كيف يدع امرأتـه الحلال التـي أخلصت لـه وأوقفت حياتها عليـه، ويذهب إلـى امرأة عـاهرة فاجرة بغيـة، لا علاقـة بينهـا وبينه إلا علاقة البهائم، بل أضل.

واسمع معي أخي المسلم إلى الرسول حيث يقول: مررت ليلـة أن أسري بي بقوم بين أيديهم لحم طيب في قـدر طيـب، ولحـم خبيـث في قـدر خبيث، ولكنهم يأكلون اللحم الخبيث المتعفن، ويتركون الطيـب الـشهي، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال جبريل : هؤلاء هم الزنـاة، الرجل تكون عنده المرأة الحلال فيتركها، ويأتي امرأة خبيثة، والمرأة يكون عنـدها الرجل الحـلال، فتقوم من عنده، وتـأتي رجـلاً حراماً خبيثاً، فتبيت عنده.

أخي المسلم: أيرضى أي إنسان فينا مهما كانت أخلاقه أن يعتدي أحد على حرمة زوجته، أو على حرمة أختـه، أو علـى عرض بنتـه، فإذا كان الإنسان منا لا يرضى لنفسه ذلك، فكيف يرضاه لغيره؟

روى البيهقي أَنَّ رَجُلاً أَتَى رَسُولَ الله فقَالَ: ائذَنْ لِي فِي الزِّنَـا، قَالَ: فَهَمَّ مَنْ كَانَ قُرْبَ النَّبيِّ أَنْ يَتَنَاوَلُوهُ، فقَالَ النَّبـيُّ :دَعُـوهُ ثُمَّ قَـالَ لَهُ النَّبيُّ :ادْنُهْ، أَتُحِبُّ أَنْ يُفْعَلَ ذَلِكَ بِأُخْتِكَ قَال: لاَ، قَالَ:فَبِابْنَتِكَ قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ بِكَذَا وَكَذَا، كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ: لاَ، فقَالَ لَهُ النَّبـيُّ :فَاكْرَهْ مَا كَـرِهَ الله، وَأَحِبَّ لأَخِيـكَ مَـا تُحِـبُّ لِنَفْسِكَ قَـالَ: يَـا رَسُولَ الله فَادْعُ الله أَنْ يُبَغِّضَ إِلَيَّ النِّسَاءَ قَالَ النبي :اللَّهُمَّ بَغِّضْ إِلَيْـهِ النِّـسَاءَ قَـالَ: فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ بَعْدَ لَيَالٍ، فقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا مِنْ شيء أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنَ النِّسَاءِ، فائذَنْ لِي بِالسِّيَاحَةِ، فقَالَ النَّبـيُّ :إِنَّ سِيَاحَةَ أمتي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله.

فهل انقطعت الصلة الدينيـة بين المسلمين؟ هل انحلت الروابط

بين الناس، حتى صار المسلم لا يشعر بألم أخيه، ولا يبالي بحرمته ولا بحقه؟

إن الله أنعم على عباده بنعمة المال والصحة، فنجد بعض الناس وبخاصة الشباب حاربوا الله وبدلوا هذه النعم واستعملوها في مبارزة ومحاربة الله ، فنجد بعض الشباب والرجال يوغرون الفتيات بالكلام المعسول والمال من أجل استدراجهم والوقوع في الزنا، حتى تقع الفتاة فريسة في أيديهم ويلغوا فيها ولوغ الكلاب المسعورة.

أتدرون ما جزاء الرجل الذي يبدل نعمة الله ويستعملها في المعاصي، اقرأ معي قول الله :{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ الله كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ القَرَارُ} [إبراهيم: ٢٨، ٢٩].

فمن اغتصب شرف امرأة يكون قد ارتكب عملاً لا يمكن إصلاحه بأي حال من الأحوال.

بالله عليكم خبروني: كيف يتجرأ الزاني ويختلي بامرأة أجنبية من غير حياء ولا خجل من الله ؟

بالله عليكم خبروني: بأي وجه يكشف الزاني عن عورة أخته المسلمة فيسلبها عرضها وشرفها وكرامتها؟

إن الزاني عند ارتكاب جريمة الزنا يستتر ويخاف أن يراه الناس على تلك الجريمة البشعة، أفلا يخاف الزاني من المنتقم الجبار؟ ألا يستحي الزاني من علام الغيوب؟

قال :{يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ الله وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ القَوْلِ وَكَانَ الله بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً} [النساء: ١٠٨].

فالله معك يا هذا أينما كنت وحيثما ذهبت، فالله لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، فإذا دخلت بيتك وأغلقت عليك

الأبواب فالله معك ويراك، حتى وإن تسترت بظلام الليل، فالله مطلع عليك ويراك، قال :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: ٧].

أخوة الإسلام:

لقد وضع الإسلام الحنيف حصوناً وأسواراً تمنع الإنسان من ارتكاب الزنا، فتعالوا معي لنتعرف على طرق الوقاية من الزنا.

أولاً: غض البصر: قال :{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣٠، ٣١].

قال بعض المفسرين: قدم الله غض البصر على حفظ الفروج؛ لأن النظر بريد الزنا، ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراز منه، فالنظر سهم مسموم من سهام إبليس اللعين.

ثانياً: تجنب الجلوس في الطرقات: فالجلوس في الطرقات من أكبر أسباب الانحراف، نظراً لتعلق البصر بالعاديات والرائحات، روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ قالُوا يَا رَسُولَ الله: مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ :فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ

الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ قالُوا: وَمَا حَقُّهُ، قَالَ :غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ.

ثالثاً: النهي عن مصافحة المرأة الأجنبية: إن الرسول حرم مصافحة الرجل للمرأة، فروى الطبراني أن الرسول قال: (لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لا تَحِلُّ لَهُ.

رابعاً: التحذير من الخلوة والاختلاط: روى البخاري ومسلم أن الرسول قال: لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم.

وروى الترمذي أن الرسول قال: لا يخلون رجلا بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان.

وروى أبو داود عن أم سلمة قالت: كان رسول الله إذا سلم - أي من الصلاة - مكث قليلاً، وكانوا يرون أن ذلك كي ينفذ الرجال قبل النساء.

وروى النسائي أن النساء كن إذا سلمن قمن، وثبت رسول الله ومن صلى من الرجال ما شاء الله ، فإذا قام رسول الله قام الرجال.

خامساً: الأمر بتحصن المرأة بالحجاب: فقال :{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً} [الأحزاب: ٥٩]

ووضع الإسلام شروطاً لزى المرأة من هذه الشروط: أن يكون واسعاً فضفاضاً لا يصف ولا يشف، وألا يكون معطراً، وألا يشبه ثوب الكافرات، وألا يكون زينة في نفسه، وألا يشبه ثوب الرجال.

وأما الدعوة إلى خلع الحجاب دعوة هدامة يحركها أعداء الإسلام، وأعوان الشيطان، فليحرص كل مسلم فينا إلزام زوجته وابنته وأخته بزي العفاف والحشمة، ولا يلتفت إلى نباح الكلاب.

ولتحرص كل مسلمة على ارتداء الزي الإسلامي، ولا تعبأ

بالدعاوى التي يطلقها أعداء الأمة الإسلامية، قال :{أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ والله يَدْعُو إِلَى الجَنَّةِ وَالْمُغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [البقرة: ٢٢١].

سادساً: صيانة العين والسمع عن المعاصي: مثل سماع الأغاني الماجنة، ومشاهدة الأفلام الهابطة، واقتناء المجلات التي تظهر العورات، وتكشف السوءات، واقتناء شرائط الفديو المخلة، قال :{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} [الإسراء: ٣٦]

سابعاً: الحض على الزواج: روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ: مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّه لَهُ وِجَاءٌ.

ثامناً: الاهتمام بتربية الأولاد والشباب: فتربية الأولاد والشباب على العقيدة السليمة في الله، وعلى أداء الصلوات، وبث روح الكراهية لأعداء الإسلام، ومجانبة المفسدين، وتأسيس الأطفال على حب الله ورسوله والمؤمنين، يعد صيانة كبيرة لهم، كما قال الرسول لابن عباس :احفظ الله يحفظك.

تاسعاً: مراقبة الله في السر والعلانية: فأفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان، وهذا قمة الأدب، قال :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: ٧].

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله للزاني، هناك عقوبات دنيوية، وعقوبات في القبر، وعقوبات أخروية، أما العقوبات الدنيوية فهي ما يأتي:

١ - بغض الله للزاني: روى النسائي أن الرسول قال:أربعة يبغضهم الله : البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر.

٢ - توريث الفقر: روى البيهقي أن الرسول قال:الزنا يورث الفقر.

٣ - عدم قبول دعاء الزاني: روى أحمد والطبراني أن الرسول قال:تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مُنَادٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفَرَّجَ عَنْهُ؟ فَلا يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلا اسْتَجَابَ الله لَهُ، إِلا زَانِيَةٌ تَسْعَى بِفَرْجِهَا أَوْ عَشَّارٌ.

٤ - الجلد إذا لم يكن الزاني متزوجاً: قال :{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ الله إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٢].

٥ - الرجم إذا كان الزاني متزوجاً: روى البخاري أن عمر بن الخطاب قال: " إِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ الله آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا، وَعَقَلْنَاهَا، وَوَعَيْنَاهَا، رَجَمَ رَسُولُ الله وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: والله مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ الله، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا الله، وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ الله حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتْ الْبَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الْحَبَلُ، أَوْ الاعْتِرَافُ".

أما العقوبات التي في القبر فهي: ما رواه البخاري أن الرسول قال:رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة... قَالا لِيَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى بناءٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ قَالَ، فَسَمِعْنَا لَغَطًا وَأَصْوَاتًا، قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا، قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ الله، مَا هَؤُلاءِ؟.... وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بناءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي.

أما العقوبات التي في الآخرة فهي ما يأتي:

١- عدم نظر الله إليه: روى مسلم والنسائي أن الرسول قال: ثَلاَثَـةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَـيْهِمْ وَلَهُـمْ عَـذَابٌ أَلِـيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ.

٢- اللعـن: روى البزار أن الرسول قـال: إن الـسماوات الـسبع والأرضين السبع لتلعن الشيخ الزاني، وإن فرج الزناة ليؤذي أهل النار نـتن ريحها.

٣- عدم دخول الزاني الجنة: روى الترمذي وابن حبان والحاكم أن الرسول قـال: ثلاثة لا يدخلون الجنـة: الـشيخ الـزاني، والإمـام الكـذاب، والعائل المزهو.

* * *

السبب السابع السحر

السحـر

أسبـاب عـذاب
القبـر

السحـر

الحمـد لله رب العـالمين: الـذي شـمل إحـسانه كـل حـي، فكيـف إنعامه؟ إنعامه ملأ الوجود وزاد، فكيف رحمته؟ رحمته وسعت كل شـيء، فكيـف جنتـه؟ جنتـه عرضـها الـسماوات والأرض، فكيـف عرشه؟ عرشه فوق السبع الطباق، فكيف وجهه؟ وجهه ذو الجلال والإكرام، فكيف هو؟ قال :{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ* وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السماوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزخرف: ٨٤، ٨٥].

سـبحانه: حفـظ عبـاده المخلـصين مـن همـزات الـشيطان، ومـن نزعـات المـضلين، ولـم يجعـل لإبلـيس اللعـين سـلطاناً علـى عبـاده المخلـصين،

فقال :{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ} [الحجر: ٤٢].

وقال :{فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

وقال :{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً} [الإسراء: ٦٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريـك لـه: بين لنا أن الساحر لن يكتب له الفلاح في الدنيا البتة، فقال :{وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه: ٦٩].

وأشهد أن سيدنا محمداً : بين لنا أن الصلاة لن تقبل لمدة أربعين يوماً ممن ذهب إلى عراف، فروى مسلم أن الرسول قال:مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخـوة الإسـلام

ما زال الحديث موصولاً في أسباب عذاب القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب عذاب القبر ألا وهو: **السحر**.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن تتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقـة الأولى: إن الله اختص لنفسه بأشياء، لا يجوز لنا نحن البشر أن نشاركه فيها أو نزاحمه فيها، ومن هذه الأشياء التي اختصها الله لنفسه علم الغيب، فالله قد جعل علم الغيب لنفسه فقط، فمن ادعى أنه يعلم الغيب فقد كفر بالله، فليس هناك موجود على وجه الأرض يشارك الله في علم الغيب، سواء أكان هذا الموجود نبياً مرسلاً، أو ملكاً مقرباً، أو ولياً صالحاً.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة فقال:{وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [الأنعام: ٥٩].

وقال :{قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السماوات وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ الله وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النمل: ٦٥].

وقال :{إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤].

وقال :{عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً *إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً * لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً} [الجن: ٢٦: ٢٨]

ولقد أشارت السنة النبوية إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الله: لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ، وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ.

ولكن على الرغم من هذه الحقيقة إلا أننا نرى في هذه الأيام قد كثر التهجمُ على الغيب، وصار علمُ الغيب صنعةً لكل عاطلٍ، ووظيفةً لكل دجالٍ طامعٍ.

فلقد انتشر الدجالون في مجتمعنا يتاجرون بالغيب، ويدعون معرفة المستقبل، والإطلاع على ما تأتي به الأيام، فيَسلبون العقولَ، ويُفسِدون العقائدَ، ويسرقون أموالَ الناس، ويأكلونها بالباطل.

الحقيقة الثانية: هل السحر حقيقة أم خيال؟ اختلف العلماء في حقيقة السحر هل هو حقيقة أم خيال إلى فريقين.

الرأي الأول: ذهب جمهور العلماء إلى أن السحرَ حقيقةٌ، فقال القرطبي: ومذهب أهل السنة والجماعة أن السحرَ ثابتٌ وله حقيقة، وقد اتفق على هذا أهلُ الحل والعقد، الذين ينعقد بهم الإجماع.

واستدل أصحاب هذا الرأي بقول الله :{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ

السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٠٢].

فقد أخبر الله في هذه الآية أن الشياطين يعلمون الناس السحر، وأن الناس يتعلمون منهم، فإذا لم يكن للسحر حقيقة فماذا يُعلِمون وماذا يتعلم الناس؟.

وقد أمرنا الله بالاستعاذة من السحر، فقال :{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق: ١ - ٥].

فلو كان السحر خيالاً ما أمر الله بالاستعاذة منه.

الرأي الثاني: ذهب أصحاب هذا الرأي إلى القول بأن السحر خيالٌ وليس حقيقة، واستدلوا بقول الله :{قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف: ١١٦].

وقال :{قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه: ٦٦].

وقالوا بأن السحرة لا يقدرون أبداً على قلب حقائق الأعيان، كتحويل الحصى إلى ذهب، أو كتحويل الورق إلى أموال، ولو كانوا يملكون ذلك، لكانوا أغنى الناس، وما تحايلوا على أكل أموال الناس بالباطل.

والحق الذي يجب أن يقال: أن السحر منه ما هو حقيقة، ومنه ما هو خيال لا حقيقة له، فالسحر الحقيقي هو الذي يعتمد فيه الساحر على الجن والشياطين، وعبادة النجوم والكواكب، وكلما ازداد

الساحر كفراً وزندقة، ازداد الجن والشيطان له طاعة.

وسحر الخيال الذي لا حقيقة له في الواقع مبني على الأخذ بالعيون، فترى الشيءَ على خلاف ما هو عليه في الحقيقة.

قال ابن كثير: وإن سحر سحرة فرعون كان من هذا النوع، وقد جاءت النصوص القرآنية بأنه كان تخيلاً وأخذاً بالعيون، فقال : {قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف: ١١٦].

وقال :{قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه: ٦٦].

الحقيقة الثالثة: هل سُحر النبي حقاً؟

نعم لقد سحر الرسول ، فروى البخاري ومسلم وغيرهما عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سُحِرَ النَّبِيُّ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ:يا عائشة أَشَعَرْتِ أَنَّ الله أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي، قالت عائشة : وما ذاك يا رسول الله؟.

قال :أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ، قَالَ: مَطْبُوبٌ (أي مسحور) قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟، قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي مَاذَا؟ قَالَ: فِي مُشُطٍ وَمُشَاطَةٍ (والمشاطة أي الشعر المتساقط من الرأس واللحية عند ترجيلهما) وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ (أي على الغشاء الذي يكون على الطلع) قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ.

فخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ، ثُمَّ رَجَعَ، فقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ:كأن ماءَها نُقاعةُ الحِناء، وكأن رُءُوسَ نخْلِها رؤُوسُ الشَّيَاطِينِ، فقُلْتُ: اسْتَخْرَجْتَهُ؟، فقَالَ :لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي الله، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، ثُمَّ دُفِنَتْ الْبِئْرُ.

ويجب أن يعلـم الجميـع: أن سـحر الرسـول لا يتعـارض البتـة مـع قـول الله :{والله يَعْـصِمُكَ مِـنَ النَّـاسِ} [المائدة: ٦٧]؛ لأن الرسـول معـصومٌ باتفـاق الفقهـاء فـي جانـب الرسـالة والتـشريع؛ لأن الله يقول:{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣، ٤].

وأما بالنسبة إلـى الأعراض البشرية كـأنواع الأمراض والآلام، والإصـابة فـي المعـارك، فهـذا لا يقـدح فـي مقـام النبـوة، ولا ينـافي العصمة، وجميع الأنبياء يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر جميعاً.

الحقيقة الرابعة: إن السحر ليس فيه فائدة البتة، بل هو ضـار علـى الساحر نفسه وعلى المسحور، ولقد أشار المولى إلـى هذه الحقيقة، فقال:{وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ} [البقرة: ١٠٢].

بل الأمر الذي يجب أن نعلمه ونحفظه: أن الساحر لا يستطيع أن يفيد أحداً، أو يضر شخصاً إلا بإذن الله ، ولقد أشار المولى إلى هذا الأمر، فقال:{وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ الله} [البقرة: ١٠٢].

وبيَّن النبـي هذا الأمر حتـى نكون علـى بينـة مـن أمـر الـساحر، روى الترمـذي أن ابـن عبـاس قـال: كنـت خلفـت رسـول الله يومـاً، فقـال:يا غلام: إني أعلمـك كلـمات، احفـظ الله يحفظـك، احفـظ الله تجـده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمـة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولـو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يـضروك إلا بـشيء قـد كتبـه الله عليـك، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ.

الحقيقة الخامسة: ما هو السحر؟ السحر كما قال ابن قدامة: هو عُقد ورقى وكلام يتكلم به الساحر، ويكتبه، أو يعمل شيئاً يـؤثر فـي بـدن المسحور أو قلبه، أو عقله، من غير مباشرة له، وللسحر حقيقة، فمنه مـا يقتـل، ومنـه مـا يُمـرض، ومـا يأخـذ الرجـل عـن زوجتـه فيمنعـه وطأها، ومنه ما يُفرق بين المرء وزوجه، ومـا يُبَغِّضُ أحدَهما إلـى

الآخر، أو يُحبب بين اثنين.

أخـوة الإسـلام:

لقد قام الشرع الحنيف بشن حملة مرعبة على السحر وأهله، فقد حكم القرآن الكريم على السحر بأنه كفر، بل حكم بالكفر على الساحر نفسه أيضاً، ووصف الله طريق السحر بأنه بئس الطريق، طريق الحسرة والندامة، طريق من سلكه عرض نفسه لغضب المنتقم الجبار، فقال :{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٠٢].

قال الإمام الذهبي: الساحر لا بد وأن يكفر؛ إذ ليس للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليُشرك بالله ، وترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حراماً فقط، وما يشعرون أنه الكفر.

قال ابن حجر: وقد استُدِل بهذه الآية على أن السحر كفر، ومتعلمه كافر، وخصوصاً إذا كان طريقه التعبد للشياطين والكواكب.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل نجد أن الله كتب عدم الفلاح البتة على الساحر، فقال :{قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ} [يونس: ٧٧].

وقال :{وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه: ٦٩].

بل أعلن الله التحدي للساحر وما يفعله، فحكم بالبطلان على عمله وعدم صلاحه، فقال :{فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ الله سَيُبْطِلُهُ إِنَّ الله لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: ٨١].

ولقد عد الرسول السحر من الأشياء المهلكة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا هُنَّ؟، قَالَ :الشِّرْكُ باللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ.

وفي حديث آخر عد الرسول السحر من الكبائر، فروى الطبراني أن الرسول قال رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَكَم الْكَبَائِرُ؟، قَالَ :هِيَ تِسْعٌ: أَعْظَمُهُنَّ الإِشْرَاكُ باللهِ، وَقَتْلُ الْمُؤْمِنِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ، وَالسِّحْرُ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ الْمُسْلِمَيْنِ، وَإِحْلالُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، قِبْلَتُكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، لا يَمُوتُ رَجُلٌ لاَ يَعْمَلُ هَذِهِ الْكَبَائِرَ، وَيُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، إِلا رَافَقَ مُحَمَّدًا بحبوحة جنةٍ، أبوابُها مصاريع الذهب.

وجعل الرسول تعلم السحر من الكبائر أيضاً، فروى ابن حبان أن الرسول قال:وإن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة: الإشراك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير الحق، والفرار في سبيل الله يوم الزحف، وعقوق الوالدين، ورمي المحصنة، وتعلم السحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم.

ولقد أعلن الرسول براءته من الساحر، فروى البزار والطبراني أن الرسول قال:ليس منا من تطير، أو تطير له، أو تكهن، أو تكهن له، أو سحر، أو سحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل حكم الرسول بعدم قبول الصلاة لمدة أربعين يوماً لمن ذهب للساحر، فروى مسلم أن الرسول

قال:مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.

بل حُكم عليه في حديث آخر بالكفر، فروى البزار وأبو يعلى بإسناد جيد موقوف عن ابن مسعود قال: " من أتى عرافاً، أو ساحراً، أو كاهناً، فسأله، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ".

وعلى الرغم من هذا كله: إلا أننا بمجرد أن نسمع عن أحد يعمل بالسحر، أو قد يعالج بعض الأمراض التي يعجز الطب عن علاجها، ويروج له دعاةُ السوء المأجورون وضعاف الإيمان، وينشرون بين الناس أن الشيخ الفلاني قد شفى فلاناً بتراب عتبة داره، أو وظف فلاناً بورقة من الشجرة، أو جعل العاقرَ التي لا تلد ولوداً، إلى غير ذلك من السخافات والخرافات التي لا يصدقها عقل، ولا يقرها دين.

عند ذلك نجد كثيراً من الناس ينهالون عليه، ويزدحمون على بابه، ويهرع إليه الجاهلون والجاهلات، والمتعلمون والمتعلمات من ضعاف العقول والإيمان، ونسى الجميع الله الذي يقول:{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} [النمل: ٦٢].

ونسى الجميع قول الله :{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦].

ونسى الجميع قول الله :{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠].

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على كيفية الوقاية من السحر.

أولاً: الاستعانة بالله :

فالواجب على كل مسلم يريد الوقاية من السحر عليه أن يستعين

بالله ، وأن يتوجه بقلبه إلى ملك الملوك، وجبار السماوات والأرض، فالله هو المرتجى، وهو الملجأ والملاذ، ولا حول ولا قوة إلا به، فمن اعتمد عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن استعان به أعانه على مصائب الدنيا والدين، فقال :{أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر: ٣٦].

وقال :{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: ٣].

قال ابن القيم: أن المدرس سأل تلاميذه كيف يستعيذون من كلب الحراسة؟ فقال أحدهم: أضربه حجراً، فقال الأستاذ: إذا يعاودك، أو يخطئه حجرك؟ فقال الآخر: أحمل في جلبابي أعداداً من الحجارة، كلما هم بالقرب مني ناولته واحداً تلو الآخر، فقال: لن تسلم منه، بل ستشتد عداوته لك، فقال الآخر النجيب الفاهم: أنادي على صاحب الغنم والكلب، وأطلب منه أن يأذن لي بالمرور من عنده، فقال المدرس: ذلكم الرأي الصائب، ألا من أراد منكم أن يدفع عن نفسه السحر وشره، فليستعذ بالله ، فالله أقدر وأجدر بدفعه عنك.

ثانياً: تحقيق العبودية لله :

فمن حقق العبودية لله وحده، فلا سلطان للشيطان عليه، فالعبادة تجب أن تكون لله وحده، سواء أكانت عبادة مالية كالذبح والنذر والزكاة والصدقة، وسواء أكانت عبادة بدنية كالصلاة والصيام، وسواء أكانت عبادة قلبية كالخشوع والخضوع والذل والمحبة والتوكل، وسواء أكانت عبادة قولية كالحلف والدعاء والاستعاذة، فهذه كلها عبادات يجب أن تصرف لله .

فمن حقق العبودية لله فلا يؤثر فيه السحر البتة، فها هو عمر ابن الخطاب كان الشيطان يهرب منه، فروى البخاري ومسلم أن سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ الله وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ

مِـنْ قُـرَيْشٍ يُكَلِّمْنَـهُ وَيَـسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَـةً أَصْـوَاتُهُنَّ، فَلَمَّـا اسْـتَأْذَنَ عُمَـرُ ، قُمْـنَ يَبْتَـدِرْنَ الحِجَـابَ، فَـأَذِنَ لَـهُ رَسُـولُ الله ، وَرَسُـولُ الله يَضْحَكُ، فقالَ عُمَرُ : أَضْحَكَ الله سِنَّكَ يَا رَسُولَ الله، قالَ : (**عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَـوْتَكَ ابْتَـدَرْنَ الْحِجَـابَ**)، قَالَ عُمَرُ : فَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلا تَهَبْنَ رَسُولَ الله ؟، قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ الله ، قالَ رَسُولُ الله : **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَـكَ الـشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ.**

ويروى أن رجلاً من بني إسرائيل وكان من العباد، وقد علم أن قوماً يعبدون شجرة، فأخذ فأساً وذهب ليقطعها، فقابله إبليس في الطريق إليها؟، فسأله: إلى أين أنت ذاهب؟ قال: إني ذاهب إلى الشجرة التي علمتُّ أنها تعبد من دون الله ؛ لأقطعها، فقال له إبليس: لن تقطعها، فقال العابد: لا بد من قطعها، ثم قاتل العابد إبليس، فصرعه، فلما رأى إبليس أن العبد قد صرعه بقوة إيمانه وإخلاصه، احتال عليه فقال له: إنك رجل فقير ومحتاج إلى المال، فارجع إلى محرابك، ودع أمر الشجرة لأحد غيرك، ولو شاء الله قطعها لأرسل رسولاً لقطعها، ثم قال له: ولك مني مقابل هذا ديناران كل ليلة، فاقتنع العابد بهذا، ثم عاد إلى محرابه، ففي الليلة الأولى وجد الدينارين، وفي الليلة الثانية وجد الدينارين، وفي الليلة الثالثة لم يجد شيئاً، فخرج غاضباً ليقطع الشجرة، فقابله إبليس فقال له: إلى أين؟ فقال: إني ذاهب إلى الشجرة لأقطعها، فقال له إبليس: لن تقطعها، فقال العابد: لا بد من قطعها، ثم قاتله، فصرعه إبليس، فتعجب العبد، ثم قال لإبليس: لماذا غلبتك أولاً، ثم غلبتني ثانياً؟ فقال إبليس: لأن غضبك أولاً كان لله ، وغضبك ثانياً كان للدينارين.

بل أعلن الله أن من حقق العبودية له وحده، فلا سبيل للشيطان

عليه، فقال :{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ} [الحجر: ٤٢].

وقال :{فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

وقال :{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً} [الإسراء: ٦٥].

ثالثاً: قراءة سورة البقرة:

فروى مسلم أن الرسول قال:لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ.

رابعاً: قراءة آية الكرسي إذا أويت إلى فراشك:

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ الله بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: والله لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ فقالَ النَّبِيُّ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ:أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ الله إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله ، قَالَ: دَعْنِي، فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فقَالَ لِي رَسُولُ الله :يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ:أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله، وَهَذَا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ الله بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟، قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى

فِرَاشِكَ فَاقرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ:{الله لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ الحَـيُّ القَيُّـومُ}حَتَّـى تَخْتِمَ الآيَة، فَإنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ الله حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله :مَا فَعَلَ أَسِـيرُكَ الْبَارِحَةَ؟، قُلتُ: يَا رَسُولَ الله زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي الله بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ :مَا هِيَ؟ قُلتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَة،{الله لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُـوَ الحَـيُّ القَيُّـومُ} وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ الله حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانَ أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ :أَمَـا إِنَّـهُ قَـدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْـرَة؟، قَالَ: لا، قَالَ:ذَاكَ شَيْطَانٌ.

خامساً: قراءة خواتيم البقرة:

وهما قول الله :{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَـنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَـيْنَ أَحَـدٍ مِّـن رُّسُـلِهِ وَقَـالُوا سَـمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ * لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْساً إِلاَّ وُسْـعَهَا لَهَـا مَـا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَـا لاَ تُؤَاخِـذْنَا إِن نَّـسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَـا رَبَّنَـا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَـلَى القَـوْمِ الكَـافِرِينَ} [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

لما رواه البخاري ومسلم أن الرسول قال:من قرأ بالآيتين من آخـر سورة البقرة في ليلة كفتاه أي من كل شر ومن الشياطين.

سادساً: قراءة المعوذات:

لما رواه البخاري عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا:{قُلْ هُوَ الله أَحَـدٌ} و{قُـلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ} و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّـاسِ} ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ

ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

وروى أبو داود والترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ الله لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ فقال:أَصَلَّيْتُمْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فقال:قُلْ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قالَ:قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ:قُلْ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله: مَا أَقُولُ؟ قَالَ:{قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ} وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله للساحر:

العقوبة الأولى: القتل:

فذهب جمهور الفقهاء إلى أن الساحر المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفراً، يُقتل ولا يستتاب، ولا تقبل توبته، لأنه أمر يستتر به كالزنديق والزاني، ولأن الله سمى السحر كفراً، فقال :{وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ} [البقرة: ١٠٢].

العقوبة الثانية: عدم استجابة الدعاء:

روى أحمد أن الرسول قال:كَانَ لِدَاوُدَ نَبِيِّ الله مِنْ اللَّيْلِ سَاعَةٌ يُوقِظُ فِيهَا أَهْلَهُ، فَيَقُولُ: يَا آلَ دَاوُدَ قُومُوا فَصَلُّوا، فَإِنَّ هَذِهِ سَاعَةٌ يَسْتَجِيبُ الله فِيهَا الدُّعَاءَ، إِلَّا لِسَاحِرٍ أَوْ عَشَّارٍ.

العقوبة الثالثة: براءة الرسول منه:

فروى البزار والطبراني أن الرسول قال:ليس منا من تطير، أو تطير له، أو تكهن، أو تكهن له، أو سحر، أو سحر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد .

العقوبة الرابعة: عدم المغفرة لذنوبه:

روى الطبراني في الأوسط والكبير أن الرسول قال:ثلاث من لم

يكن فيه واحدة منهن، فإن الله يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء: من مـات لا يشرك بالله شيئاً، ولم يكن ساحراً يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه.

العقوبة الخامسة: عدم دخول الجنة:

روى ابن حبان أن الرسول قال:لا يـدخل الجنـة مـدمن خمـر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم.

* * *

السبب الثامن: الظلم

الظلـم

أسبـاب عـذاب القبـر

الظلـم

الحمد لله رب العالمين: شعاع من رضاه يطفئ غضب ملوك أهل الأرض، ولمحة من غضبه تزهق الروح ولو انغمست في نعيم الدنيا، وقطرة من فيض جوده تملأ الأرض رياً، ونظرة بعين رضاه تجعل من الكافر ولياً.

سبحانه: شدد على الظالم سكرات الموت، فقال :{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: بين لنا في قرآنه نماذج لنهاية الظالمين، لنعتبرَ ونتعظ، فقال :{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [الفجر: ٦ - ١٣].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : حذرنا من دعوة المظلوم، فروى الحاكم أن الرسول قال:اتقوا دعواتِ المظلومِ، فإنها تصعد إلى السماء، كأنها شَرَارٌ.

وروى أحمد والترمذي أن الرسول قال:ثَلاَثَةٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُوم، تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَام، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ. فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام

ما زال الحديث موصولاً في أسباب عذاب القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب عذاب القبر ألا وهو: **الظلم**.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن الله ﷻ لما خلق السماوات والأرض خلقهما بالعدل، وأقام الدنيا كلها على أساس واحد، هذا الأساس هو العدل.

ومن هنا أوجب الله علينا جميعاً أن نتخلق بخلق العدل في كل مجالات الحياة، أمرنا الله بالعدل في الحكم بين الناس، فقال : {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً} [النساء: ٥٨].

أمرنا الله بالعدل في القول، فقال :{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: ١٥٨].

أمرنا الله بالعدل مع الأعداء، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨].

أمرنا الله بالعدل في الصلح بين الناس، فقال :{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: ٩].

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد، بل أمر الله أنبياءه بضرورة تطبيق العدل، فهذا سيدنا داود أمره الله بالعدل، فقال : {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ الله إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ الله لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص: ٢٦].

وهذا سيدنا محمد أمره الله بالعدل، فقال :{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ الله مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ الله رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الله يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [الشورى: ١٥].

فالواجب علينا جميعاً أن نحقق العدل في كل مجالات الحياة؛ لأن الحياة لن تستقيم، ولن يكون لها طعم، إلا إذا حققنا العدل في كل مجالات الحياة.

الحقيقة الثانية: إن الله عندما أراد أن يحرم الظلم لم يحرمه على العباد فقط، بل حرمه على نفسه أولاً، فروى مسلم أن الله قال:يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا... .

أي حكمت بتحريمه عليكم وهذا مجمع عليه في كل ملة، وانظر أخي المسلم إلى قول الله : (يا عبادي) وكلنا عبيد لله ، فالنداء شامل للأحرار والأرقاء، ولجميع الخلق من العقلاء، فالظلم حرام في كل الشرائع والملل، من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فالله قد اتصف بالعدل المطلق، فقال :{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧].

وقال :{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ} [الزلزلة: ٧، ٨].

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا نظلم أنفسنا، ويظلم بعضُنا بعضاً، فلا يكاد يخلُ مجالٌ من مجالات الحياة إلا وقد دخله الظلم، حتى أصابنا ما نحن فيه، وإن كل ما نحن فيه من أحداث سببه الظلم الواضح، فقال :{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠].

وقال :{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ الله لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ} [آل عمران: ١٨٢].

وقال :{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ} [الزخرف: ٧٦].

الحقيقة الثالثة: إن الظلم يتنوع إلى ثلاثة أنواع:

أولاً: ظلم الإنسان بينه وبين الله : وهذا المقصود منه الشرك بالله ، وأشار المولى إلى هذا النوع، فقال:{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣].

ثانياً: ظلم الإنسان نفسه: ولقد أشار المولى إلى هذا النوع فقال:{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} [فاطر: ٣٢] وقال :{قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي} [القصص: ١٦].

ثالثاً: ظلم بين الإنسان وغيره من الناس: ولقد أشار المولى إلى هذا النوع، فقال:{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى الله إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى: ٤٠ - ٤٢].

الحقيقة الرابعة: ما هو الظلم؟ الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، أو مجاوزة الحد، فقال :{وَتِلْكَ حُدُودُ الله وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ الله يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} [الطلاق: ١].

فمن تجاوز حدود الله فقد اتصف بالظلم، فهذا سيدنا آدم حينما

نهاه الله عن الأكل من الشجرة وهو في الجنة، فقال : {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأعراف: ١٩].

وحينما أكل آدم وحواء من الشجرة اتصفا بالظلم، فقال : {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: ٢٣].

أخوة الإسلام:

لقد حذرنا الشرع الحنيف من الظلم وأهله، ونظر إلى الظلم نظرة عدائية، فلقد وردت آياتٌ عديدة في القرآن الكريم تحذرنا منه، وتوضح عاقبته الوخيمة؛ لأنه في الدنيا بلاء كبير، وشر مستطير، وفي الآخرة خزي وندامة، فتعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع من الظلم وأهله.

اقرأ معي قول الله :{وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

فالله يخبر نبيه محمداً بأنه ليس غافلاً عما يعمله الظالمون، ولا مهملاً لهم، ولا يعاقبهم على صنعهم، بل هو يحصي ذلك عليهم ويعده عداً، انطلاقاً من قوله :{فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَداًّ} [مريم: ٨٤] ولكن:{يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ} أي: من شدة الأهوال يوم القيامة.

ثم ذكر كيفية قيامهم من قبورهم ومجيئهم إلى أرض المحشر، فقال:{مُهْطِعِينَ} أي: مسرعين، وقوله:{مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ} قال ابن عباس، ومجاهد وغير واحد: رافعي رءوسهم،{لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ} أي: أبصارهم ظاهرة شاخصة، يديمون النظر لا يطرفون لحظة؛ لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم، ولهذا

قال:{وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} أي: وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء؛ لكثرة الفزع والوجل والخوف، وهذا كله يدل على خطورة الظلم على صاحبه.

فلو علم الظالم أن الله مطلع عليه، ما ظلم أحداً، ولكنه غفل عن مولاه ، ثم لو يعلم الظالم أن مرده إلى الله ، وأنه سيقف أمام مولاه، وسوف يقتص منه، ما ظلم وما فكر في ظلم أحد من الناس.

وفي آية أخرى يبين الله أنه لا يوجد عذرٌ للظالم في ارتكاب ظلمه، فقال :{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر: ٥٢] وهذا تهديد ووعيد لمن تسول له نفسه في أن يظلم غيره، متعللاً بأي سبب من الأسباب.

وبين الله أن العذاب إذا نزل على الظالم فلن يستطيع أحدٌ أن يمنعه، فقال :{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٣].

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد، بل بين الله خطورة من يعين الظالم على ظلمه، فقال :{وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ} [هود: ١١٣].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، والتي بلغت ثلاثمائة خمس عشرة آية (٣١٥) في ثمان وخمسين(٥٨) سورة من سور القرآن الكريم.

وعلى نفس النهج جاءت السنة النبوية، وحذرت من الظلم وعاقبته، فبين لنا الرسول أن الظالم لن يفلت من عقاب الله ، فروى البخاري أن الرسول قال: (إِنَّ اللهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ) ثُمَّ قرأ قول الله :{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٣] ومعنى إذا أخذه لم يفلته، أي إذا أهلكه لا يرفع عنه الهلاكَ أبداً.

فقلنا يا رسول الله: بماذا تنصح أمتَك في الدنيا بخصوص الظلم، فقال : (مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ أَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ حِينَ لَا يَكُونُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، وَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ).

وفي حديث آخر يبين الرسول أن الظالم لن يدخل النار حتى يرد المظالم لأهلها، فروى البخاري وأحمد والحاكم أن الرسول قال:يُحْشَرُ الله الْعِبَادُ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا قالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قالَ : لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ قالَ: قُلْنَا: كَيْفَ؟ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي الله عُرَاةً غُرْلا بُهْمًا، قالَ :بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ قال: وتلا رسول الله قول الله :{الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ الله سَرِيعُ الحِسَابِ} [غافر: ١٧].

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنسوق بعض صور الظلم.

أولاً: أكل أموال الناس بالباطل:

إن الشرع الحنيف جعل حرمة المال كحرمة النفس، فروى ابن حبان أن الرسول قال:إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا.

فمن أكل أموال الناس بالباطل، أو بدون وجه حق، فقد ارتكب صورة من صور الظلم، وإلى هذه الصورة أشار المولى ، فقال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن

يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً} [النساء: ٢٩، ٣٠].

ويندرج تحت أكل أموال الناس بالباطل استغلال المنصب للمصالح الشخصية، والاستيلاء على المال العام، روى البخاري ومسلم أن الرَسُولَ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ يُدْعَى ابْنُ اللُّتَبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا ثُمَّ خَطَبَنَا فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، واللهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، إِلَّا لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ) ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ مرتين.

وهنا سؤال يطرح نفسه: ماذا سيقول آكل أموال الناس بالباطل لله يوم القيامة حينما يسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ فروى الترمذي أن الرسول قال: لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أربع: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعن شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ علمه ما عمل به.

ثانياً: أكل مال اليتيم:

إن الله ﷻ أمرنا جميعاً بالمحافظة على أموال اليتامى، وعدم تبديدها، أو تبديلها بالخبيث، أو المتاجرة بها فيما حرم الله ، فإن هذه الأموال أمانة عند ولي اليتيم سيسأل عنها بين يدي الله يوم القيامة، فقال : {وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} [النساء: ٢] وقال :{وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} [الأنعام: ١٥٢].

ومن حرص الشرع على مال اليتيم أوجب الله على الولي إن كان غنياً أن يستعفف عن الأكل من مال اليتيم، وإن كان فقيراً فله أن يأكل بالمعروف من غير إسراف ولا تبذير، ويكون ذلك في أضيق الحدود، فقال :{وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً} [النساء: ٦].

ويا لها من خاتمة جليلة:{وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً} فالله هو الرقيب علينا الشهيد على أعمالنا، ويحاسبنا على ما أظهرنا وما أسررنا في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

فمن أكل مال اليتيم بدون وجه حق، فقد ارتكب صورة من صور الظلم، وإلى هذا أشار المولى فقال:{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} [النساء: ١٠] فالواجب على كل مسلم فينا أن يحذر أكل مال اليتيم بدون وجه حق، فإن ذلك يعرضه لنار جهنم والعياذ بالله.

ثالثاً: المماطلة في أداء الدين:

إن الله شرع لنا التعامل بالدين، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ} [البقرة: ٢٨٢].

ولكن ينبغي على المسلم عند الاقتراض أن تكون نيته سداد هذا الدين عند المقدرة، فنية السداد عند الاقتراض تكون سبباً في إعانة الله على الأداء، فروى البخاري وغيره أن الرسول قال:مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ.

أما المماطلة في أداء الدين عند القدرة عليه ظلماً، وإلى هذا لصور من الظلم أشار الرسول ، فروى البخاري ومسلم أن الرسول

قال:مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ وروى أحمد أن الرسول قال:لِي الواجد يحل عرضه وعقوبته.

رابعاً: كتمان الشهادة:

إن الله جعل الشهادة لإثبات الحقوق، وأمرنا أن نقيم الشهادة له وحده، فقال :{وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لله} [الطلاق: ٢].

ولكن نجد بعض الناس لا يكذب في الشهادة، لكنه يكتمها، وربما كان كتمانها إضاعةً للحقوق، وربما كان في كتمانها انتصاراً للباطل، وربما كان في كتمانه للشهادة ضياعاً للدين والدنيا معاً، ومن هنا حذرنا المولى من كتمان الشهادة، فقال :{وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ والله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٨٣].

بل حكم المولى على كاتم الشهادة بأنه ارتكب أقبح أنواع الظلم، فقال :{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ الله وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: ١٤٠].

ويجب أن يعلم الجميع أن كتمان الشهادة يتساوى في الإثم والجرم مع شاهد الزور، فروى الطبراني أن الرسول قال:من كتم شهادة إذا دعي إليها، كان كمن شهد الزور.

فكم من حقوق ضُيعت، وكم من حرمات انتُهكِت، وكم من أعراض أُهينت، وكم من دماء سُفِكَت، وكم من أرواح أُزهقت، من أجل أناس كتموا الشهادة.

فإياك أخي المسلم أن تكون ممن يكتمون الشهادة، حتى لا تعرض نفسك لغضب المنتقم الجبار.

خامساً: الاستيلاء على أرض الغير بالزور:

فأي إنسان يستولى على أرض الغير بالزور، فقد ارتكب صورة

من صور الظلم، ويدخل في ذلك أيضاً: الأرض التي هي ملك للدولة، فهي أشد حرمة من أي أرض مملوكة للأشخاص، وقد بين الرسول العقوبة المترتبة على هذه الصورة من صور الظلم، فروى البخاري أن الرسول قال:مَنْ ظَلَمَ مِنْ الْأَرْضِ شَيْئًا، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ.

وروى الطبراني في معجمه الكبير أن الرسول قال:مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ.

وروى ابن حبان أن الرسول قال:من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه، طُوِّقَهُ من سبع أرضين.

سادساً: عدم الحكم بغير ما أنزل الله :

إن الله أنزل كتابه العزيز ليكون حكماً بين الناس، وأمر الله نبيه محمداً بالحكم به في كل مجالات الحياة، فقال :{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ الله وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً} [المائدة: ٤٨].

وقال :{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ الله وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ الله إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ الله أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٤٩، ٥٠].

أما من يمتنع عن تحكيم شرع الله فقد ارتكب صورة من صور الظلم، فقال :{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة: ٤٥].

سابعاً: الاعتداء على المساجد وترويع أهلها ومنع من يدخلها للعبادة:

إن الله جعل المساجد لعبادته، فقال :{وَأَنَّ المَسَاجِدَ لله فَلاَ تَدْعُوا مَعَ الله أَحَداً} [الجن: ١٨].

أما من يعتدي على حرمة المساجد، ويقوم بترويع أهلها، ويمنع الناس من أداء العبادة فيها، تحت أي مسمى، فقد ارتكب صورة من صور الظلم، فقال :{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة: ١١٤].

ثامناً: الرجل الذي لا تطيق زوجته العشرةَ معه وهو يمسكها عناداً:

فالله جعل الزواج سكناً ومودة ورحمة، وذلك لينعم الإنسان بالحياة الهادئة، فقال :{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم: ٢١] وأمرنا بحسن العشرة، فقال :{فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: ٢٢٩].

أما إذا استحالت العشرة بين الزوجين فيكون الطلاق هو الخلاص، فقال :{وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعاً حَكِيماً} [النساء: ١٣٠].

أما إذا أمسك الزوج زوجته عند استحالة العشرة عناداً فقط، فقد ارتكب صورة من صور الظلم، فقال :{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِنَ الكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٣١].

تاسعاً: أن يستأجرَ الإنسانُ أجيراً في عمل ولا يعطيه أجراً:

إن الرسول حثنا على إعطاء الأجير حقه مقابل استيفاء العمل، فروى البيهقي والطبراني أن الرسول قال:أَعْطُوا الأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ.

أما من يخالف ذلك ويستوفي العمل من الأجير ولا يوفيه أجرته،

فقد ارتكب صورة من صور الظلم، فروى أحمد والبيهقي وابن حبان أن الرَسُولَ قـال:قَالَ الله : ثَلاثَةٌ أَنَا خَـصْمُهُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ، وَمَـنْ كُنْـتُ خَصْمُهُ خَصَمْتُهُ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَـدَرَ، وَرَجُـلٌ بَـاعَ حُـرًّا فَأَكَـلَ ثَمَنَـهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوفِهِ.

فأي شخص استأجر أجيراً للعمل عنده، ثم استوفى منه العمل، ولم يوفه الأجرة المتفق عليها، فيكون ظالماً مستحقاً لعقاب الله .

عاشراً: ألاّ يكون الكفؤ المناسب في المكان الذي يليق به ويستحقه:

إن الإسلام حثنا جميعاً على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وهذا ما حدث من الرسول في الهجرة النبوية وفي كل غزواته، فتم النجاح لأعماله كلها، أما إذا لم يوضع الكفؤ في المكان الذي يستحقه بحجة أنه ليس من نسب معيّن، أو من جماعة معيّنة، أو من عشيرة معيّنة، فيوضع الرجل غير المناسب في المكان الذي لا يناسبه، فهذا من الظلم، فيتصرّف بقوت الناس ومصيرهم وفق هواه، فيكون عندها ضالاً مضلاً.

ولا يقتصر هذا على الدول فقط، بل إن بعض المؤسسات، والحركات غالباً ما يكون فيها رجل غير مناسب وفي غير مكانه.

وإن هذا الظلم لما يتحقق ينتج عنه النوع الآخر من الظلم، وهو التصرّف في ملك الغير؛ لأن الأول أصلاً ليس بالكفاءة التي تؤهله أن يكون في مكانه، فيتصرّف في ملك وحقوق الآخرين ظلماً أو جهلاً أو تسلّطاً.

ولقد جعل النبي هذا الظلم علامة من علامات الساعة، فروى البخاري وأحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ الله يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ:أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ قَالَ: هَا

أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ :فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَـةُ فَـانْتَظِرْ الـسَّاعَةَ قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ :إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ.

ومن هنا بتنا نجد في الأمة من يتصرّف بمقدراتها وشعوبها وحياتها، وهو أصلاً ليس أهلاً لذلك، ولا يمثل الأمة في شيء.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله للظالم، فهناك عقوبات دنيوية، وعقوبات أخروية.

أما العقوبات الدنيوية فهي ما يأتي:

أولاً: محق البركة وخراب البيوت: فقال :{فَتِلْـكَ بُيُـوتُهُمْ خَاوِيَـةً بِـمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [النمل: ٥٢].

ثانياً: الهلاك والانتقام: قال :{فَأَوْحَى إِلَـيْهِمْ رَبُّهُـمْ لَـنُهْلِكَنَّ الظَّـالِمِينَ} [إبراهيم: ١٣] فأهلك الله قوم نوح بالطوفان، فقال : {وَلَقَدْ أَرْسَـلْنَا نُوحـاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَـنَةٍ إِلاَّ خَمْـسِينَ عَامـاً فَأَخَـذَهُمُ الطُّوفَـانُ وَهُـمْ ظَالِمُونَ} [العنكبوت: ١٤].

وقال :{وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُـمُ الـشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ * وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَـا كَـانُوا سَـابِقِينَ * فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الـصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت: ٣٨ - ٤٠].

ثالثاً: التشديد على الظالم سكرات الموت: فقال :{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُـسَكُمُ الْيَـوْمَ تُجْـزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى الله غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَـسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

رابعاً: الخيبة: قال الله :{وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً} [طه: ١١١]

خامساً: عدم محبة الله : قال الله :{إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى: ٤٠]

أما العقوبات الأخروية فهي ما يأتي:

أولاً: اللعن: قال :{وَنَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ} [الأعراف: ٤٤].

وقال :{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر: ٢٥].

ثانياً: القصاص يوم القيامة: روى البخاري وأحمد والحاكم أن الرسول قال:يُحْشَرُ الله الْعِبَادُ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ :لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ؟ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي الله عُرَاةً غُرْلا بُهْمًا، قَالَ : بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ قال: وتلا رسول الله قول الله :{الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ اليَوْمَ إِنَّ الله سَرِيعُ الحِسَابِ} [غافر: ١٧].

ثالثاً: العذاب الأكبر: قال :{وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً} [الفرقان: ١٩] وهذا على وجه الإجمال، ثم فصل الله هذا العذاب الكبير، فقال :{وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً} [الكهف: ٢٩].

رابعاً: المكوث في النار: قال :{وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ

عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِياً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِياًّ}
[مريم: ٧١، ٧٢].

* * *

السبب التاسع: الغش

الغش

أسباب عذاب القبر

الغش

الحمدُ لله رب العالمين: ذي الجلال والإكرام، وشارع الحلال والحرام، الذي له ملكُ السماوات والأرض، وله في عبادِه حقُّ المنْع والفرض، أحمدُه بما هو له أهلٌ من الحمدِ، وأُثني عليه، وأستغفرُه من جميعِ الذنوبِ وأتوبُ إليه، وأؤمنُ به وأتوكّلُ عليه، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له.

سبحانه: أشهد له بالوحدانية، وأقر له بالربوبية، فلا إله إلا هو، ولا معبود بحق سواه، جلَّ في علاه، فقال :{ذَلِكَ بِأَنَّ الله هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ الله هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ} [الحج: ٢٦].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: أعلن الحرب على كل من تسول له نفسه أكل أموال الناس بالباطل، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيراً} [النساء: ٢٩، ٣٠].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا الفرق بين من كانت الدنيا همه، وبين ما كانت الآخرة همه، فروى مالك وابن ماجه والطبراني في معجمه الأوسط أن الرسول قال:مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ: فَرَّقَ الله عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ: جَمَعَ الله لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، الذين كانوا يتركون تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام، فعاشوا في الدنيا سعداء، وماتوا كرماء، وأورثهم ربهم الجنة يرزقون فيها بغير حساب.

أما بعد: إخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب عذاب القبر، ألا وهو: **الغـــش**، فـأعيروني القلـوب والأسـماع والأبـصار، والله أسـأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنـه ولـي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينـا أن نقف علـى بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: إن استقامة الحياة واستقرارها يتوقف علـى طلب الرزق الحلال، وابتغاء المال الطيب، وهو مطلب عام وضروري، بل هو مطلب ملح أمرنا الله به، فقال:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّـمَا يَـأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

وأوجب الرسول على كل مسلم طلب الرزق الحلال، فروى الطبراني أن الرسول قال:طَلَبُ الحلال واجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.

ومما يدل علـى وجوب طلب الحلال، أن الرسول بيّن لنـا أن الفرد يضع في فمه تراباً أفضل مما يضع في فمه مالاً حراماً، فروى أحمد أن الرسول قال:وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَذْهَبَ إِلَى الْجَبَلِ فَيَحْتَطِبَ، ثُمَّ يَأْتِيَ بِهِ يَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهُ فَيَأْكُلَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، وَلَأَنْ يَأْخُذَ تُرَابًا فَيَجْعَلَهُ فِي فِيهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِي فِيـهِ مَـا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ.

ومما يدل على خطورة أكل الحرام أن الرسول جعله سبباً في عدم استجابة الدعاء، فروى مسلم أن الرسول قال:أَيُّهَا النَّـاسُ: إِنَّ الله طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} وَقَالَ :{يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} ثُمَّ ذَكَرَ :الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ

أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ.

فمن أجل هذا كله: يجب على كل مسلم أن يتحرى الحلال، وأن يبتعد عن الحرام، بل يجب أن يبتعد عن أي شبهة تؤدي إليه، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ.

الحقيقة الثانية: إن الشرع الحنيف قد شن حملة مرعبة على أصحاب الضمائر الفاسدة، والنفوس العفنة، التي لا تراقب ربها لا سراً ولا علانية، وتوعد كلَّ من تسول له نفسه الغش.

أولاً: أعلن القرآن الكريم الحرب على الغشاش، وتوعده بنار جهنم، فقال :{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ} [المطففين: ١ - ٦].

فأين يذهب هؤلاء الغشاشون والله رقيب عليهم، وكتابهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فقال :{وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} [الكهف: ٤٩].

وقال :{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ} [القمر: ٥٢، ٥٣].

ثانياً: جعل الشرع الغش من باب أكل أموال الناس بالباطل، ولقد

نهى الله عنه، وتوعد بالنار لمن يفعل ذلك، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيراً} [النساء: ٢٩، ٣٠].

ثالثاً: جعل الشرع الغش كبيرة من كبائر الذنوب، تدل على ضعف الإيمان بالله ، وقلة مراقبته في السر والعلانية، ولذا فهو من أعمال المنافقين الذين يظلمون الناس، ولقد توعد الله بالعذاب الأليم لمن يفعل ذلك، فقال :{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى: ٤٢].

رابعاً: جعل الشرع الغش من علامات النفاق؛ لأنه مبني على الكذب، فروى مسلم أن الرسول قال:ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ.

خامساً: أعلن الرسول الحرب على الغشاش، فأعلن براءته منه، فروى مسلم أن الرسول قال:من غشنا فليس منا.

الحقيقة الثالثة: إن كل الكائنات الحية ما عدا الإنس والجن ترفض الغش وتأباه؛ لأن الله فطرها على الصدق، فهي تسبح بحمد ربها، وتعرف لربها حقه وقدره، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السماوات وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ والله عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} [النور: ٤١].

وقال :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السماوات وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ وَمَن يُهِنِ الله فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: ١٨].

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

أَنَّ رَسُولَ الله قـالَ: إِنَّ رَجُلًا حَمَلَ مَعَهُ خَمْرًا فِي سَفِينَةٍ يَبِيعُهُ، وَمَعَهُ قِرْدٌ، قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا بَاعَ الْخَمْرَ شَابَهُ بِالْمَاءِ، ثُمَّ بَاعَهُ، قَـالَ: فَأَخَـذَ الْقِـرْدُ الْكِـيسَ فَصَعِدَ بِهِ فَوْقَ الدَّقَلِ - الخشبة التي يمد عليها شراع السفينة - قَـالَ: فَجَعَلَ يَطْرَحُ دِينَارًا فِي الْبَحْرِ وَدِينَارًا فِي السَّفِينَةِ، حَتَّى قَسَمَهُ.

فهذا القرد وهو حيوان معروف بالذكاء، يرمي حق الرجل البـائع فـي السفينة، ويرمـي حـق المـاء فـي المـاء، وانظـر الآن إلـى أسـواقنا فنجدها قد امتلأت بالفسقة الفجرة، الذين يتـاجرون بصحة الإنسان، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ويفسدون في الأرض، فكم من سلعة فاسـدة روج لهـا الأفـاكون، وكـم مـن أدويـة مغشوشة تـستر عليهـا المجرمـون، وكـم مـن بـضائع مـضروبة تنتـشر فـي طـول الـبلاد وعرضـها تبـاع علـى أنهـا مـن أجـود الأنـواع، وامتـد الغش فـي كـل مجالات الحياة، فلا نكاد نرى مجالاً من مجالات الحياة إلا والغش قد دخله، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

الحقيقة الرابعة: لماذا حرم الله الغش؟ أقول: حرم الله الغش؛ لأن الغـش يخـالف الفطـرة الـسليمة، فهـو مـرض ملعـون إذا تخلـل جـسم مجتمـع تآكلـت أطرافـه، وتـصدع بنيانـه، وكـان عاقبـة أمـره خـسراً، وبالتالي لا يطمئن الفرد على نفسه، ولا على حقوقه، فالغش لا يظهر إلا في مجتمع أصابه اعتلال في الضمير، وضمور في الإيمان.

أخـوة الإسـلام:

إن للغـش مجـالات كثيـرة، تعـالوا معـي لنتعـرف علـى مجـالات الغش.

النوع الأول: غش الإمام الرعية:

وهذا النوع من أخطر أنواع الغش، ولقد أشار الرسول إلـى هذا النوع، فروى البخاري ومسلم واللفظ له أن الرسول قـال: ما مِنْ عَبْـدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَـرَّمَ الله عَلَيْـهِ

الجَنَّةَ.

وروى البخاري أن الرسول قال:**ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يحطها بنصحه، إلا لم يجد رائحة الجنة.**

وإذا نظرنا إلى الشرع الحنيف نجد أنه حمَّل الإمام - رئيس الدولة - المسئولية الكاملة، فيجب عليه أن يكون ناصحاً أميناً للرعية، ومرشداً لها، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ... .

وليس هذا مقصور على الإمام، بل كل من يتولى أمر رعية له داخل معنا، فالرجل مسؤول عن رعيته، أو من تحت ولايته، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

حتى المرأة فإنها راعية في بيت زوجها، والخادم أيضاً، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

قال ابن عمر : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ:وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

ويتحقق غش الرعية بما يأتي:

١ - الكذب: فالكذب لا يجتمع مع الإيمان أبداً، فإذا وجد الإيمان في قلب العبد خرج الكذب، وإذا وجد الكذب خرج الإيمان، ولقد أشار المولى إلى ذلك: فقال :{إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله وَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ} [النحل: ١٠٥].

وأشار الرسول إلى ذلك أيضاً، فروى مالك عن صفوان بن سليم: أنه قيل لرسول الله : أيكون المؤمن جباناً؟، قال :نعم قيل: أيكون المؤمن بخيلاً؟، قال :نعم فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟، قال

:لا أي لا يجتمع الإيمان والكذب أبداً؛ لأنه إن ظن أن كذبه يجوز على الناس ويخدعهم، أفيظن أنه يجوز الكذب على علام الغيوب؟.

فالكذب باب من أبواب النفاق، وعلامة على خبث النية، روى مسلم أن الرسول قال:ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ.

وروى الطبراني في معجمه الكبير أن الرسول قال:ثَلاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ الله : مَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَغَنِيٌّ بِخَيْل.

٢ - عدم تحكيم شرع الله : فالإمام الذي لا يحكم شرع الله بحجة أن تطبيق الشريعة لا يفيد الآن، أو ليس وقته، فهذا من باب غش الرعية، فقال :{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء: ٦٥].

وقال :{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة: ٤٥].

٣ - عدم تعيين الأكفاء: روى الحاكم أن الرسول قال:من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فأمر عليهم أحداً محاباة، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، حتى يدخله جهنم.

فكل راع يجب أن يبتعد عن غش رعيته؛ لينال رضا الله في الدنيا والآخرة، وأي راع يغش رعيته عليه أن يسمع لقول الرسول في الحديث الذي رواه الطبراني:أيما راع غش رعيته، فهو في النار.

وروى الطبراني في معجمه الكبير أن الرسول قال:مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ، إِلا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ.

النوع الثاني: الغش في البيع والشراء:

يظن كثير من التجار أن الغش يجلب الرزق، وهذا ظن فاسد؛ لأن الأرزاق لن تكون بالغش ألبتة، وإنما الأرزاق كالآجال، مقررة

من عند الله ومقدرة، فالضعيف له رزق مقدر، والقوي له رزق مقدر أيضاً.

ويتحقق الغش في البيع والشراء بما يأتي:

١ - **التطفيف في الكيل والميزان**: ولقد شدد الشرع على تحقيق العدل في الوزن والكيل، فقال :{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥].

وقال :{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ * أَلاَّ تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا المِيزَانَ} [الرحمن: ٧ - ٩].

وروى الترمذي والحاكم أن الرسول قال لأصحاب الكيل والميزان: **إِنَّكُمْ قَدْ وُلِّيتُمْ أَمْرًا فِيهِ هَلَكَتِ الأُمَمُ السَّالِفَةُ**.

ولقد شدد الله الوعيد لمن يغش في الميزان، فأعد الله وادياً في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره، فقال :{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ} [المطففين: ١ - ٦].

جاء في كتاب الكبائر للذهبي: أن أحد سلفنا الصالح قال: دخلت على مريض وقد نزل به الموت، فجعلت ألقنه الشهادة، ولسانه لا ينطق بها، فلما أفاق قلت له: يا أخي ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها؟، قال: يا أخي لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها، فقلت له: بالله أكنت تزن ناقصاً؟، قال: لا والله، ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر صحة ميزاني.

فهذا حال من لا يختبر صحة ميزانه، فكيف حال من يغش في الميزان.

٢ - **إخفاء عيب السلعة**: فالبائع الذي يخفي عيب السلع، أياً كان

نوع السلعة، يكون قد ارتكب صورة من صور الغش.

وإلى هذا الصورة من صور الغش يشير إليها الرسول في درس عملي لينتنا نتعلمه كلنا وخاصة ولي الأمر، روى مسلم عن أبي هريرة قال: مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فقالَ:مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ وذلك بلهجة كلها غضب، وكان الرسول لا يغضب إلا في الحق َولله .

فإذا الرجل يرد عليه، وقد علاه الخجل: لقد أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله أي المطر، ولما أيقن رسول الله بحرج الرجل، قال له في رفق وحلم:أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَي يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّى.

فإذا كان الرسول قد نفي عن هذا التاجر الذي وضع اليابس أعلى والذي أصابه بلل أسفل الإيمان، فما بالنا بالذين يروجون سلعتهم التي انتهى تاريخ صلاحيتها من أسماك، أو لحوم، أو أدوية، أو غير ذلك، مما يؤدي إلى هلاك المجتمعات صحياً واقتصادياً؛ لإصابتهم بالأمراض الفتاكة؟!.

إنهم يفعلون ذلك لأجل ماذا؟ لأجل دراهم معدودة، لأجل أن تكثر أموالهم، وتزداد ثرواتهم، ثم يردون بعد ذلك إلى عذاب غليظ، فقال :{نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان: ٢٤].

وقال :{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الله غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ* مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

٣ - الكذب في البيع والشراء: فيحلف التاجر كاذباً؛ ليروج سلعة، فيكون من الفجار، روى أحمد والحاكم أن الرسول قال:إن التجار هم الفجار، قيل: يا رسول الله، أليس الله قد أحل البيع؟ فقال الرسول :بلى، ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون.

وروى الترمذي أن الرسول قال:**يا معشر التجار فرفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال لهم:إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً، إلا من اتقى الله وصدق.**

وروى الحاكم عن أبي سباع قال: اشتريت ناقة من دار واثلة بن الأسقع ، فلما خرجتُ بها أدركني واثلة وهو يجر إزاره، فقال: يا عبد الله اشتريت؟ قلت: نعم، قال: بَيَّن ذلك ما فيها، قلت: وما فيها إنها لسمينة ظاهرة الصحة؟.

قال: أردت بها سفراً، أو أردت بها لحماً؟، قلت: أردتُ بها الحج، قال : فارتجعها، فقال صاحبها: ما أردتَ إلا هذا، أصلحك الله تفسد علي؟.

قال: فإني سمعت رسول الله يقول:**لا يحل لأحد أن يبيع شيئاً إلا بين ما فيه، ولا يحل لمن علم ذلك إلا بينه.**

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِن ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلاً بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بالله لأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلاَّ لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ.**

وإنما ذكر بعد العصر؛ لأنه كان آخر وقت البيع في زمانهم؛ حيث لم تكن الأسواق مضيئة أثناء الليل.

واسمع إلى ما قاله المولى في هذا الشأن:**{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** [آل عمران: ٧٧].

٤ - **خلط الشيء بما ليس منه**: وذلك كمن يقوم بخلط اللبن بالماء، وهذا النوع قد يكون منتشراً في الوقت الحالي، روى البيهقي أن أبا

هريرة مر بإنسان يحمل لبناً، قد خلطه بالماء يبيعه، فقال له أبو هريرة : " كيف لك إذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن "

٥ - **التصرية**: ويكون ذلك بمنع حلب الشاة يوماً كاملا حتى يجتمع اللبن في ضرعها، فيتوهم المشتري أنها ذات لبن كثير، فيشتريها على هذا الأساس، ثم بعد ذلك يتبين له غير ذلك، والرسول نهى عن هذا النوع من الغش، فروى البخاري وغيره أن الرسول قال:لَا تُصَرُّوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ، فَمَنْ ابْتَاعَهَا بَعْدُ، فَإِنَّهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْتَلِبَهَا، إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ، وَإِنْ شَاءَ رَدَّهَا وَصَاعَ تَمْرٍ.

٦ - **العبث في عقود التسجيل**: وذلك بالنسبة للعقارات والأطيان، فقد يستطيع الإنسان منا أن يبدل ويغير في عقود التسجيل، وذلك للتحايل على القانون؛ ويستولي بعد ذلك على الشيء دون وجه حق، وإن استطاع الإنسان أن يبرأ نفسه أمام ساحة القضاء في الدنيا، فإنه لا يستطيع أن يبرأ نفسه أمام علام الغيوب يوم القيامة، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلاَ يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ.

النوع الثالث: الغش في الامتحان:

وهذا النوع من أنواع الغش مرض العصر، ووباء الوقت، الذي عمَّ وطمَّ، واعتقده الناس حلالاً، واستندوا لمعاذير أوهن من بيت العنكبوت، مع أن مفاسده لا تخفى على ذوي العقول القويمة، والفطر السليمة، فمن مفاسده ما يأتي:

إعانة الطالب على الانحراف، وتشجيعه على الإهمال، والاعتماد على الغير.

فقدان الثقة في المدرس (القدوة) الذي سهل له طريق الغش.

تخريج دفعات فاشلة، لا ترفع للأمة رأساً.

إعانة الطالب على التهاون بالدراسة والمدرسة، والقائمين عليها.

مساواة الطالب المجتهد بالطالب الفاشل، وهذا يهز ميزان العدالة في الأرض، وصدق الله إذ يقول:{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ} [الزمر: ٩].

إعانة المدرس على إهمال الشرح طوال العام، معتمداً على غش الطالب آخر العام، إلى غير ذلك من المفاسد، ولا يلتفت لقول بعض الجاهلين: المساواة في الظلم عدل، فالمساواة في الظلم ظلم.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على كيفية العلاج من مرض الغش.

أولاً: مراقبة الله في السر والعلانية: فالواجب على كل مسلم عليه أن يراقب الله في السر والعلانية، فقال :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: ٧].

وقال :{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: ٨٠].

وإن مراقبة الله من صفات المؤمنين، فقال :{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ١٣٥]

واسمع معي إلى النموذج من سلفنا الصالح والذي نتعلم منه كيف حققوا مراقبة الله في السر والعلانية، يقول عبد الله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب إلى مكة، فعرسنا ببعض الطريق - نزلنا للراحة - فانحدر علينا راعٍ من الجبل، فقال عمر بن الخطاب : يا راعي الغنم، بعنا شاة من هذا الغنم، فقال: إني مملوك، فقال له

عمر ابن الخطاب : قل لسيدك أكلها الذئب، فقال له العبد: فأين الله ؟.

فبكى عمر ، وأخذ يقول: فأين الله ؟، ثم غدا إلى سيد الراعي، فاشترى منه هذا العبد وأعتقه، وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

ثانياً: أن يعلم الإنسان أن عليه شهوداً يشهدون عليه يوم القيامة: فالله جعل علينا شهوداً يشهدون على أفعالنا، ويراقبون جميع تحركاتنا.

أما الشاهد الأول: فهو الأرض الذي نعيش عليها ونأكل منها، وننام عليها، ونطيع الله عليها، ومنا من يعصي الله عليها، وفي هذا يقول الله :{إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا *وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا*بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا} [الزلزلة: ١ - ٥].

وأما الشاهد الثاني: فهم الملائكة الذين يكتبون علينا أعمالنا، ويسجلون علينا سيئاتنا وحسناتنا، فقال :{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار: ١٠ - ١٢].

وأما الشاهد الثالث: فهي الجوارح التي هي من نعم الله علينا، فقال :{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يس: ٦٥].

وقال :{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الخَاسِرِينَ * فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ}

[فصلت: ١٩ - ٢٤].

وأما الشاهد الرابع: هو الله ، فقال :{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [الشورى: ٥٣].

ثانياً: الرضا بما قسمه الله : فالرضا بالمقسوم عبادة، فلن يستطيع الإنسان مهما أوتي من مكر وذكاء أن يزيد من رزقه شيئاً، روى أحمد عن أبي هريرة أن الرسول قال:مَنْ يَأْخُذُ مِنْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِن.

قَالَ: قُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ:اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ الله لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرْ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ.

ثالثاً: الكسب من الحلال والإنفاق في حلال: فطلب الأكل من حلال فرض على كل مسلم، لما رواه الطبراني أن الرسول قال:طلب الحلال واجب على كل مسلم.

وروى البيهقي أن الرسول قال:الدنيا خضرة حلوة، من اكتسب فيها مالاً من حلِّه، وأنفقه في حقه أثابه الله عليه، وأورده جنته، ومن اكتسب فيها مالاً من غير حله، وأنفقه في غير حقه، أحله الله دار الهوان، ورب متخوض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة، يقول الله: كلما خبت زدناهم سعيراً.

رابعاً: التحذير من أكل الحرام: روى أحمد أن الرسول قال:من اشترى ثوباً بعشرة دراهم، وفيه درهم من حرام، لم يقبل الله صلاة مادام عليه.

وروى أبو يعلى والبزار والطبراني والبيهقي أن الرسول قال:لا

يدخل الجنة جسد غذي من حرام.

خامساً: النظر في عيش الرسول : روى البخاري ومسلم أن أبا هريرة قال: والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع نبي الله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة، حتى فارق الدنيا.

وروى الترمذي أن الرسول قال:عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهب، قلت: لا يارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك.

سادساً: أن يعلم الإنسان أنه سيسأل على ماله بين يدي رب العالمين يوم القيامة: روى الترمذي أن الرسول قال:لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسَةٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَشَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ مَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ، فماذا يقول الغشاش لربه يوم القيامة.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله لمن يحترف مهنة الغش.

أولاً: العقوبات الدنيوية:

١ - براءة الرسول من الغشاش: روى مسلم أن الرسول قال:من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا.

٢ - محق البركة: فقال :{فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [النمل: ٥٢].

وروى البخاري أن النبي قال:الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا.

٣ - عدم الهداية: قال :{وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ} [يوسف: ٥٢].

٤ – نفي الإيمان: روى أحمد أن الرسول قال: لا إيمان لمن لا أمان له، ولا دين لمن عهد له، فالغشاش خائن لنفسه، خائن لدينه، خائن لمجتمعه.

٥ – تشديد سكرات الموت: فقال :{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

٦ – الخيبة: قال الله :{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً} [طه: ١١١].

٧ – عدم محبة الله : قال الله :{إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى: ٤٠].

ثانياً: العقوبات الأخروية:

١ – إحباط العمل: روى ابن ماجه أن الرسول قال: لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ فَيَجْعَلُهَا الله هَبَاءً مَنْثُورًا، فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا لِكَيْ لاَ نَكُونُ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ، فقالَ :أَمَا إِنَّهُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ الله انْتَهَكُوهَا.

٢ – الخزي في أرض المحشر: فقال :{وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة: ١٢].

٣ – النار: روى أبو داود والطبراني في معجميه الكبير والصغير أن الرسول قال: مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَالْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ.

وروى الطبراني أن الرسول قال: أيما راع غش رعيته فهو في النار.

* * *

السبب العاشر: الغيبـة

الغيبـة

أسبـاب عـذاب القبـر

الغيبـة

الحمد لله رب العالمين: الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة؛ لعلكم تشكرون.

سبحانه: يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون، وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: نهانا عن الغيبة، فقال : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}** [الحجرات: ١٢].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً بين لنا موقف الذين يغتابون الناس، فروى أحمد أن الرسول قال: مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ جبريل : هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاس، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ. فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب عذاب القبر، ألا وهو: **الغيبـــة**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن تناول موضوعنا اليوم يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: إن اللسان من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وهو نعمة تستحق أن نشكر الله عليها، وهو دليل على قدرة الله ، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السماوات وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} [الروم: ٢٢] وقال :{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ} [البلد: ٨، ٩].

فالله خلق اللسان ليذكره به الإنسان، ويستخدمه في طاعته ، ويتبادل به الرأي مع بني جنسه، ويعبرَ به الإنسانُ عما يدور في فؤاده.

فاللسان هو المترجم لما حواه الجنان، يُزْرَعُ بقوله الحسناتُ والسيئاتُ، وهو أطيب عضو مع القلب إذا طابا، وأخبث عضو مع القلب إذا فسدا.

جاء في البداية والنهاية لابن كثير: " أنه قيل للقمان الحكيم: اذبح شاة، وأحضر أطيب ما فيها " فذبحها، وأحضر القلب واللسان، ومرت أيام وقيل له: اذبح شاة، وأحضر أخبث ما فيها، فذبحها، وأحضر القلب واللسان.

فقيل له: طلبنا منك أطيب عضوين فأحضرت القلب واللسان، وطلبنا منك أخبث عضوين، فجئت بالقلب واللسان، فقال: هما أطيب ما في البدن إذا طابا، وأخبث ما فيه إذا خبثا.

ولذلك قال فاروق الأمة : (المرء بأصغريه: قلبه ولسانه) لم يقل بماله، ولا بسلطانه، ولا بحسبه ونسبه، وإنما بقلبه وبلسانه.

فالواجب على كل إنسان أن يستخدم لسانه فيما أحل الله ، وأن

ينزه لسانه عما حرم الله ، ولا يعرض نفسه لغضب المنتقم الجبار؛ لما رواه البخاري ومسلم أن الرسول قال:**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت.**

الحقيقة الثانية: إن استقامة الأعضاء متوقفةٌ على استقامة اللسان، وإن اعوجاج الأعضاء متوقفٌ على اعوجاج اللسان، ولذلك نجد أعضاء جسد الإنسان تنصح اللسان كل يوم، وتأمره بالالتزام.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى الترمذي وابن خزيمة وصحح الحديث الشيخ الألباني أن الرسول قال:**إذا أصبح ابنُ آدم: فإن الأعضاء تذكرُ اللسان، وتقول له: اتق الله فينا فإنما نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا.**

وروى أحمد أن الرسول قال:**لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُه، ولا يدخل الجنة رجلٌ لا يأمن جارُه بوائقه.**

ولقد بين لنا الرسول أن النجاة في المحافظة على اللسان، فروى الترمذي أن عقبة بن عامر قال للرسول : ما النجاة؟ فقال الرسول :**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك.**

بل إن الرسول بين لنا أن إسلام الفرد لا يكمل ولا يصح إلا إذا حافظ الإنسان على لسانه، وسلم المسلمون من لسانه، فروى البخاري أن الرسول قال:**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.**

وكل ذلك لخطر الكلمة التي تخرج من اللسان، فبكلمة واحدة يدخل الفرد دين الله ، وبكلمة واحدة يخرج الفرد من دين الله ، وبكلمة واحدة ينال الفرد رضا الله ، وبكلمة واحدة ينال الفرد سخط الله ، وبكلمة واحدة تحل امرأة، وبكلمة واحدة تحرم المرأة، وبكلمة واحدة يسعد حزين، أو يحزن سعيد، وبكلمة واحدة ترمى امرأة شريفة عفيفة، بكلمة واحدة يمزق الشمل، ويتفرق الأحبة، فكل كلمة

تخرج من الإنسان هو مؤاخذ بها، قال :{مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨].

وروى الترمذي أن معاذ بن جبل قال للرسول : يا نبي الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم؟ فقال الرسول :**ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يَكبُّ الناسَ في النار على وجوههم، إلا حصائدُ ألسنتهم** وفي رواية:**على مناخرهم**.

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في النار سبعين خريفاً**.

الحقيقة الثالثة: ما هي الغيبة؟ الغيبة هي: أن تذكر الغير بصفة يكرهها، وتنسبَ إليه ما يُحقره في أعين الناس، وتصفه بقبيح ولو كان فيه.

روى مسلم وغيرُه عَنْ أبى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله قالَ:**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟** قالُوا: الله وَرَسُولُهُ أعْلَمُ، قالَ :**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ** قِيلَ: أفرَأَيْتَ إنْ كَانَ فِي أخِي مَا أقُولُ؟ قالَ :**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَقَدْ بَهَتَّهُ** ومعنى بهته: أي افتريت عليه الكذب.

الحقيقة الرابعة: إن الغيبة تتنوع إلى خمسة أنواع هي ما يأتي:

أولاً: غيبة في البدن: وذلك أن يقول الإنسان: فلان أعمش، أو أعور، أو أحول، أو أقرع، أو قصير، ونحو ذلك من الأمور التي تسيء إلى صاحبها.

فروى أبو داود أن السيدة صفية دخلت على الرسول تريد حاجة لها، فلما خرجت، قالت عائشة للرسول : حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، تَعْنِى قصيرَةً، فقالَ :**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**.

ثانياً: غيبة في النسب: كأن تذكر نسب الغير على جهة التنقيص من شأنه، كأن تقول: فلان خسيس، أو فاسق، أو أبوه زبال، أو تقول:

فلان فلاح، تقصد أنه ليس إنساناً حضارياً، بل متخلف.

ثالثاً: غيبة في الخُلق: كأن تقول: فلان سيئ الخلق، أو فلان بخيل، أو متكبر، أو فلان سريع الغضب، أو تقول: هو إنسان جبان، أو لا شخصية له.

رابعاً: غيبة في شؤون الشخص الدينية: كأن يقول في مجلس إخوانه: لقد أحزنني ما حدث لصديقنا فلان، فنسأل الله أن يهديه، وهذا النوع من أخبث أنواع الغيبة، لأنه كاذب في نفسه.

خامساً: غيبة تتعلق بأمر دنيوي: كأن تقول على شخص: فلان كثير النوم، أو فلان يأكل كثيراً، أو ثيابه قذرة، أو نحو ذلك.

وقد تحصل الغيبة بالقلب، وذلك سوء الظن بالمسلمين، والظن هو التهمة بغير سبب، ومن غير دليل، وقد نهانا الله عن سوء الظن بغير دليل، أو بمجرد أوهام تقع في هواجس النفس، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات: ١٢].

وقد حذرنا الرسول منه أيضاً، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا.

أخوة الإسلام:

لقد حذرنا الشرع الحنيف من الغيبة، وأخذ موقفاً عدائياً من الغيبة وأهلها، وشدد في النهي عن هذا الخلق الذميم، الذي يعرض صاحبه لغضب المنتقم الجبار، فتعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من الغيبة.

أولاً: تشبيه المغتاب بالكلب:

قال :{وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: ١٢].

فلقد شبه الله المغتاب في هذه الآية بالكلب، والكلب هو الحيوان الوحيد الذي يأكل لحم أخيه بعد موته، فالأسد لا يفعلها، وكذلك الذئب، حتى الثعلب يشمئز منها ولا يفعلها، لا يفعلها إلا الكلب.

فيا له من تشبيه عجيب، يجعل النفس تنفر، ويجعلها تشمئز، فمن الذي يمكن أن يفعل ذلك، إنه المغتاب، ذلكم الشخص الذي يخوض في أعراض الناس.

ثانياً: الغيبة لها ريحة منتنة:

روى أحمد عن جابر قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ، فَارْتَفَعَتْ رِيحُ جِيفَةٍ مُنْتِنَةٍ، فقَالَ رَسُولُ الله :أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ.

وقيل لبعض الحكماء: ما الحكمة في أن ريح الغيبة ونتنها كانت تتبين على عهد رسول الله ، ولا تبين في يومنا هذا؟ قال: لأن الغيبة قد كثرت في زماننا، فامتلأت الأنوف منها، فلم تتبين الرائحة، وهي النتن، ويكون مثال ذلك: مثل رجل دخل دار الدباغين، لا يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام، ويشربون الشراب، ولا تتبين لهم الرائحة؛ لأنه قد امتلأت أنوفهم منها، كذلك أمر الغيبة في يومنا هذا.

ثالثاً: الغيبة أشد نتانة من جيفة الحمار:

روى البيهقي عن أبي هريرة أن الرسول لما أمر برجم ماعز، سَمِعَ رَجُلَيْنِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَلَمْ تَرَ إِلَى هَذَا الَّذِي سَتَرَ الله عَلَيْهِ، فَلَمْ تَدَعْهُ نَفْسُهُ حَتَّى رُجِمَ رَجْمَ الْكَلْبِ، فَسَارَ رَسُولُ الله شَيْئًا، ثُمَّ مَرَّ بِجِيفَةِ حِمَارٍ، فقَالَ:أَيْنَ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، قُومَا فَانْزِلاَ، فَكُلاَ مِنْ جِيفَةِ هَذَا الْحِمَارِ قالاَ: غَفَرَ الله لَكَ يَا رَسُولَ الله، وَهَلْ يُؤْكَلُ مِثْلُ هَذَا؟ قَالَ :فَمَا نِلْتُمَا مِنْ أَخِيكُمَا آنِفًا شَرٌّ مِنْ هَذَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ الآنَ لَفِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يَنْغَمَّسُ فِيهَا.

رابعاً: الغيبة أشد من الزنا:

روى ابن أبي الدنيا وابن حبان أن الرسول قال: **إياكم والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا، فإن الرجل يزني ويتوب، فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يُغفر له حتى يغفرَ له صاحبُه.**

خامساً: الغيبة أربا الربا:

روى الطبراني وأبو داود أن الرسول قال: **الربا اثنتان وسبعون باباً، أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم.**

وتأمل معي أخي المسلم هذا الموقف الذي يدل على خطورة الغيبة، وأنها داء ذميم يجب على المسلم أن يقلع عنه، فروى أبو داود أن السيدة صفية دخلت على الرسول تريد حاجة لها، فلما خرجت، قالت عائشة للرسول : حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، تَعْنِي قَصِيرَةً، فقالَ :لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ.

أي أن هذه الكلمة من شدة خطورتها لو تجسدت وطرحت في ماء البحر، لتغير لونه، وهذا كناية عن شدة خطرها وفسادها.

فهذه كلمة واحدة من السيدة عائشة تفعل هذا الفعل وتؤثر هذا التأثير، فما أدراكم بما يفعله المغتابون اليوم، وألسنتهم لا تكل ولا تمل من الغيبة، فأي بحار تمزج كلماتهم لو مزجت بها؟ وأي مياه تنتن؟ وأي طيب عيش يفسدون؟!

وعلى الرغم من هذا كله: إلا أنه قد اشتغل كثير من الناس بالغيبة، فلا يتسامرون في مجالسهم، ولا يتفكهون إلا بذم أشخاص بأعينهم، يهتكون أستارهم، ويكشفون عوراتهم، ويتهجمون في غيبتهم على أعراضهم، ويبحثون عن العيوب فيُنشرونها، ويُفتشون عن المساوئ فيُظهرونها، كأن الله خلق لهم اللسان ليأخذوه تسلية ومنجلاً يحصدون به سيرة الناس، ويجعلونه مقرضاً يقطع لحوم

البشر، ويمزق أعراضهم.

فلقد انتشرت الغيبة في كل مكان، انتشرت في الأسواق بين الشباب والشيوخ، انتشرت في المقاهي وجميع مجالسنا، ولا أبالغ إذا قلت لكم: أن الغيبة منتشرة في بيوت الله ، ومواضع الصلاة، تسمع بعض الناس وقد أطلقوا اللسان في تمزيق أعراض المؤمنين بالغيبة والبهتان، ونقل الكلام من فلان إلى فلان، بقصد الافتنان والتسلية في أعراض الناس.

ويجب أن يعلم الجميع: أن الذي ينشغل بالغيبة ما هو إلا خبيث النفس، أو جبان، ثقيل طبعه على الناس، خفيف عمله في الميزان يوم القيامة، فقال :{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً} [الكهف: ١٠٣ - ١٠٦].

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على الأمور الباعثة على الغيبة.

إن الأمور الباعثة على الغيبة كثيرة منها ما يأتي:

أولاً: موافقة الأقران: أو مجاملة الرفقاء، ومساعدتهم، فإنهم يتفكهون في الأعراض، رأى هذا أنه إذا أنكر عليهم، أو قطع كلامهم، استثقلوه ونفروا عنه، فيساعدهم، ويرى أن ذلك من حسن المعاشرة، لكنه لو تدبر قول الله :{الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ المُتَّقِينَ} [الزخرف: ٦٧] لانتهى عن موافقة الأقران في الغيبة.

ثانياً: التشفي والغيظ: فيعدد المغتاب المساوئ التي في خصمه؛ لحقده الشديد عليه، فكلما هاج حقده وغضبه، تشفى بغيبة صاحبه.

ثالثاً: الحسد: وذلك عندما يجد الناس يثنون على شخص لحبهم له، فيدب الحسد في قلبه ويتحرك، فيتمنى زوال ذلك، فيقدح فيه، ولو علم الجاهل أن حب الناس وثناءهم لشخص إنما هو من عند الله ، لانتهى عن الغيبة.

رابعاً: اللعب والهزل: فيذكر غيره بما يضحك الناس به على سبيل المحاكاة، مثل محاولة إظهار خفة الدم، وإظهار المرح بتقليد الأشخاص، وإظهار هفواتهم، كما يحدث في عامة مجالسنا، حتى إن بعض الناس يكون كسبه من هذا.

خامساً: إرادة رفع نفسه بمدحها، وتنقيص غيره بذمها: كمن ذكر عنده رجل فذكر في المجلس شرفه، وعلمه، فيقول: إلا أن فهمه ركيك، وفيه كذا وكذا، ويوسوس له الشيطان أن هذا من باب النصيحة، ولو كان صادقاً في النصيحة لنصحه سراً.

وهذا خلل في إيمان الفرد، وشرخ كبير في إسلامه، والرسول قد حذرنا من هذا، فروى مسلم أن الرسول قال:**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ.**

وصدق الشاعر إذ يقول:

إن شئت أن تحيا سليماً من الأذى ::: وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ ::: فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت لك مساوئاً ::: فصنها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ::: وفارق ولكن بالتي هي أحسن

واحذر أخي المسلم أن تكون شريكاً للمغتابين، وذلك يكون بالجلوس معهم وقت الغيبة، والإصغاء لهم على جهة التعجب، فيزداد حينئذ نشاطهم في الغيبة، وأنت لا تدري أن التصديق والإصغاء

للغيبة غيبة، بل إن الساكت على الغيبة شريك هو الآخر للمغتاب، ولن يتخلص من هذه الشركة فيها إلا بإنكاره بلسانه وبقلبه، فينهى صاحب الغيبة عنها، بأن يخوض في حديث آخر، فإن عجز فعليه أن يفارق المجلس، ولا ينفعه أن يقول بلسانه: اسكت وقلبه مشته لاستمراره.

وهذا مستنبط من قول الله :{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: ٦٨].

أخوة الإسلام:

إذا كان الشرع الحنيف قد حرم الغيبة، إلا أنه قد أباحها في عدة حالات، فتعالوا معي لنتعرف على الحالات التي يجوز فها الغيبة.

أولاً: الظلم: فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان أو القاضي، وغيرهما ممن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: فلان ظلمني، أو أكل حقي، أو أخذ مالي، أو أرضي، قال :{لاَ يُحِبُّ الله الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ الله سَمِيعاً عَلِيماً} [النساء: ١٤٨].

ثانياً: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب: فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره عنه، كمن يرى أن موظفاً يأخذ رشوة فأبلغ مديره لكي يردعه عن هذا العمل، فيجوز بشرط أن يكون هدفه الحقيقي التوصل إلى إزالة المنكر، لا فضيحته، ولا أن يشهر به، وإلا كانت غيبة محرمة.

روى البخاري في الأدب عن أبى هريرة : قال رجل يا رسول الله إن لي جاراً يؤذيني، فقال :**انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق** فانطلق فأخرج متاعه، فاجتمع الناس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جارٌ يؤذيني، فذكرت للنبي فقال:**انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق** فجعلوا

يقولون: اللهم العنه، اللهم اخزه، فبلغه، فأتاه فقال: ارجع إلى منزلك، فوالله لا أؤذيك.

ثالثاً: الاستفتاء: فيقول للمفتي: ظلمني فلان بكذا وكذا، أو يسأله: كيف أتوصل إلى حقي من فلان؟ والأفضل أن لا يذكر اسماً، وإن ذكر ذلك جاز، فروى البخاري ومسلم: أَنَّ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إلا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لا يَعْلَمُ، فَقَالَ :**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ**.

رابعاً: نصيحة المسلم عند التشاور: وذلك عندما يأتيك إنسان ليأخذ رأيك في شاب يريد أن يخطب ابنته، فتنصحه، لما رواه البيهقي عَنْ فَاطِمَةَ أَنَّ رَسُولَ الله قَالَ لَهَا فِي عِدَّتِهَا مِنْ طَلاَقِ زَوْجِهَا:فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ أَخْبَرْتُهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ وَأَبَا جَهْمٍ ♦ خَطَبَانِى، فَقَالَ رَسُولُ الله :**أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، انْكِحِي أُسَامَةَ** قَالَتْ: فَكَرِهْتُهُ، فَقَالَ :**انْكِحِي أُسَامَةَ**. فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ الله فِيهِ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ بِهِ.

خامساً: أن يكون المغتاب مجاهراً بالفسق والفجور: كشارب الخمر، ومصادرة أموال الناس، لما رواه البخاري عن عائشة أن رجلاً استأذن على الرسول ، فقال:**ائذنوا له، بئس أخو العشيرة**.

فلما دخل الرجل، ألان له الرسول القول، فقالت عائشة يا رسول الله، قلتَ له الذي قلت، فلما دخل ألنتَ له القول؟ فقال :**يا عائشة: إن شر الناس منزلة يوم القيامة، من تركه الناس اتقاء شره** فقد دل الحديث على جواز غيبة أهل الفسق المجاهرين به.

سادساً: التعريف: وذلك إذا كان الإنسان معروفاً بلقب كالأعمش، أو الأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرهم، جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك

كان أولى.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله للمغتابين، فهناك عقوبات دنيوية، وعقوبات في القبر، وعقوبات أخروية.

أما العقوبات الدنيوية فهي ما يلي:

أولاً: الفضيحة في الدنيا: روى الطبراني وابن حبان أن الرسول قال: **يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لا تُؤْذُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ.**

ثانياً: عدم قبول الأعمال: روي أن الرسول قال: **إن الحفظة تصعد بعمل العبد، وله نور كشعاع الشمس، حتى إذا بلغ السماء الدنيا، والحفظة تستكثر عمله وتزكّيه، فإذا انتهى إلى الباب، قال الملك الموكل بالباب: اضربوا هذا العمل وجه صاحبه، أنا صاحب الغيبة، أمرني ربي أن لا أدع عمل من يغتاب الناس يتجاوزني إلى ربي.**

ثالثاً: إحباط العمل: روى أحمد والحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فُلانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: **هِيَ فِي النَّارِ.**

أما العقوبة التي في القبر فهي ما يأتي:

أولاً: الابتلاء بالعذاب في القبر: روى أبو يعلى في مسنده أن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي في مسير، فأتى على قبرين يعذب صاحباهما، فقال: **أما إنهما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان يغتاب الناس، وأما الآخر: فكان لا يتأذى من بوله.**

ثانياً: قطع لحم الوجه والصدر: روى أحمد أن الرسول قال: **مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ**

هَـؤُلَاءِ يَـا جِبْرِيـلُ؟ قـالَ جبريل : هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَـأْكُلُونَ لُحُـومَ النَّـاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ.

أما العقوبات التي في الآخرة في ما يأتي:

أولاً: الهلاك في الآخـرة: ويكون ذلك بدخول النـار من وادٍ خـاص بهم، قـال :{وَيْلٌ لِّكُـلِّ هُمَـزَةٍ لُّمَـزَةٍ * الَّـذِي جَمَـعَ مَـالاً وَعَـدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَـا أَدْرَاكَ مَـا الْحُطَمَـةُ* نَـارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَـيْهِم مُّؤْصَـدَةٌ * فِي عَمَـدٍ مُّمَـدَّدَةٍ} [الهمزة: ١ - ٩].

فالويل وادي في جهنم لمن ذكر عيوب النـاس في غيبتهم، وهو الهمز، واللمزة هو الذي يلمز الناس ويعيبهم في وجوههم.

ثانياً: الحبس على جسر مـن جـسور جهـنم: روى البيهقـي أن الرسـول قـال:من رمى مسلماً بشيء يريد شينه، حـبس يـوم القيامـة عـلى جـسر مـن جسور جهنم، حتى يخرج مما قال.

ثالثاً: أكل الجيف في النار: روى أحمد أن الرسول نَظَرَ فِي النَّارِ، فَإِذَا قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجِيَفَ، فَقَالَ :مَنْ هَؤُلَاءِ يَـا جِبْرِيـلُ؟ قـالَ جبريل : هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النـاس.

وأخيـراً ما كفارة الغيبة؟

الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف علـى مـا فعلـه، ثـم يستحل المغتاب ليحله، فيخرج من مظلمته، وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله.

فـإن تعـذر اللقـاء بـين الاثنـين؛ لبعـد المـسافة المكانيـة، وشـق الوصول إليه، أو لسبب موت أصاب المظلوم، أو ستؤدي المصارحة إلـى ضـرر أشـد؛ نظراً لـسوء خلـق المظلـوم، أو ضـيق أفقـه، فيكفـي للمغتـاب النـدم والتوبـة، والثنـاء والـدعاء لمـن اغتابـه؛ رفعـاً للحـرج،

والمشقة تجلب التيسير، والله أعلم.

فإن انتفت هذه المعاذير فالواجب على المغتاب الاستحلال؛ لما رواه البخاري وأحمد واللفظ له أن الرسول قال:مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ أَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ حِينَ لَا يَكُونُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، وَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ.

* * *

السبب الحادي عشر: القتـل

القتـل

أسبـاب عـذاب القبـر

القتـل

الحمد لله رب العـالمين: الـذي أحسن كل شـيء خلقـه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، قليلا ما تشكرون.

سبحانه: أراد لعباده الخير والبر، وطلب من عباده إقامة منهج العدل والفضيلة، فقال :{صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} [البقرة: ١٣٨].

وقال :{أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠].

وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه: أوجب علـى القاتـل الاستسلام لأمر الله ، والانقياد للقصاص المشروع، إذا أراد ولي الدم ذلك، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: ١٧٨].

وفائدة قوله :{ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ} أن أهل التوراة كان لهم القتل، ولم يكن لهم غير ذلك، وأهل الإنجيل كان لهم العفو، ولم يكن لهم قود ولا دية، فجعل الله ذلك تخفيفاً لهذه الأمة، فمن شاء قتل، ومن شاء أخذ الدية، ومن شاء عفا.

ومعنى قوله :{فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي: قتل بعد أخذ الدية وسقوط الدم، قاتل وليه، قال الحسن: كان الرجل في الجاهلية إذا قتل قتيلاً، فرَّ إلى قومه، فيجيء قومُه فيصالحون بالدية، فيقول وليُّ المقتول: إني أقبل الدية؛ حتى يأمنَ القاتلُ ويخرجَ، فيقتله، ثم يرمي إليهم بالدية.

وأشـهد أن سـيدنا ونبينـا محمـداً : بين لنـا أن زوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن، فروى مسلم والترمذي والنسائي أن الرسول قال:لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ رجُلٍ مُسْلِمٍ.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام

ما زال الحديث موصولاً في أسباب عذاب القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب عذاب القبر ألا وهو: القتـل، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقـة الأولى: إن الله كرم الإنسان تكريماً عظيماً، حيث خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ العَالِينَ} [ص: ٧١ - ٧٦].

ولم يكتف الأمر عند هذا الحد، بل أنزل الله له الكتبَ والرسلَ، ووضع له شريعةً محكمةً، تضمن له الحقوقَ، وتحقق له السعادةَ في الدنيا والآخرة، فقال :{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً* وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً

مُّسْتَقِيماً * وَمَن يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً * ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ الله وَكَفَى بالله عَلِيماً} [النساء: ٦٦ - ٧٠].

وروي في الحديث القدسي أن الله يقول: يا عبادي إني أتممت عليكم نعمتي، وأرسلت إليكم الرسل الكرام؛ لتعرفوا أحكام شريعتي، فلماذا تعرضون عني، وأنا الغني الكريم، فوعزتي وجلالي لو أطعتموني، لنصرتكم على أعدائكم، ولو استعنتم بي في الشدائد، لأعنتكم، ولكنكم عصيتموني، فأعرضت عنكم، فوقعتم في الذل والعذاب المهين.

وإن أول حق، وأعظم حق ضمنته الشريعة الإسلامية لكل إنسان على وجه الأرض، أياً كان هذا الإنسان، سواء أكان مسلماً أم غير مسلم، هو حق الحياة، فقال :{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: ١٥١].

وقال :{وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي القَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً} [الإسراء: ٣٣].

فالله وحده خالق الحياة وواهبها، ولا ينبغي لأحد البتة مهما كانت سلطته، أن يسلب هذه الحياة من أحد، إلا بأمر الله ، في نطاق الحدود التي شرعها الله ، ولا يسلب الروحَ إلا خالقُها، فهو عليم بهم، خبير بما يُصلحهم ويُفسدهم، فقال :{أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ} [الملك: ١٤].

الحقيقة الثانية: إن الدين الإسلامي سوى بين الدم والمال في الحرمة، فحرمة الدم كحرمة المال، ورتب العقاب الشديد على من

يعتدي على النفس بدون حق شرعي.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيراً} [النساء: ٢٩، ٣٠].

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ الله السماوات وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟)، قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ :أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ : أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟، قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ :أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ : فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟، قُلْنَا الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ :أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كفاراً أو ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبْلِغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ.

فالواجب على كل مسلم أن يعلم علم اليقين أن حرمة الدم لا تقل عن حرمة المال، وأن الاعتداء على النفس يوجب النار، فقال : {وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيراً} [النساء: ٢٩، ٣٠].

الحقيقة الثالثة: إن الله جعل الدماء أول ما يقضى فيها من حقوق العباد يوم القيامة، ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى البخاري ومسلم وغيرهما أن الرسول قال:أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ.

وروى النسائي أن الرسول قال:أولُّ ما يحاسب عليه العبدُ الصلاة، وأن أولَّ ما يُقْضَى بين الناس في الدماء.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرمة الدماء عند الله ، وأنها ليست رخيصة، يسفكها من شاء، في أي وقت شاء، بل هي عظيمة عند الله ، ولذلك جعلها الله أول ما يقضى فيها من حقوق العباد يوم القيامة.

فإذا قامت القيامة، وقام الناس جميعاً لرب العالمين، ووقفوا في أرض المحشر حفاة عراة غرلاً، وقد دنت الشمس من الرؤوس، وتصبب العرق على قدر الأعمال، وزفرت جهنم وزمجرت، وقد جيء بها ولها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، وتطايرت الصحف، ونصبت الموازين، فقال :{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧].

ونودي عليك، فقرع النداء قلبَك، وارتعدت فرائصُك، واضطربت جوارحُك، وتغير لونُك، وجاءت الملائكة يسوقونك إلى الله .

حتى إذا وقفت بين يدي أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، أخذتَّ صحيفتك التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة، وفي هذا يقول المولى :{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} [الكهف: ٤٩].

ينادى عليك أيها القاتل المجرم، يا من سفكت دماء الموحدين بالله ، فتأتي فرداً عارياً لا سلطان لك، ولا مال معك، لتفتدي به، وقد أحاط بك من كل ناحية من قتلتهم في الدنيا، وقد تعلقوا بك، وأوداجهم

(عروقهم) تشخب (تسيل) دماً، ويقولون لله : سل هذا القاتل فيم قتلنا؟.

ولقد أشار الرسول إلى ذلك، فروى النسائي وأحمد عن ابن عباس عن النبي قال:يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه في يده، وأوداجه تشخب دماً، يقول: يا رب قتلني، حتى يدنيه من العرش.

قال: فذكروا لابن عباس التوبة، فتلا هذه الآية:{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً} [النساء: ٩٣].

قال ابن عباس : ما نُسخَتْ منذ نَزلتْ، وأنىَّ له التوبة.

وروى مسلم أن الرسول قال:أتدرون من المفلس؟، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال :إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَن يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ.

الحقيقة الرابعة: لقد حدد لنا الشرع الحنيف ثلاث حالات لا رابع لهن، يجوز فيها قتل النفس، ولقد بين لنا الرسول الحالات التي يجوز فيها القتل، فروى البخاري ومسلم وغيرهما أن الرسول قال:لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنِّي رَسُولُ الله، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنْ الدِّينِ، التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ.

فأما الحالة الأولى: فهي القصاص العادل، فتطبيق القصاص حياة للمجتمع كله، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٨، ١٧٩].

نعم في القصاص حياة! حياة بردع هؤلاء الذين يفكرون مجرد التفكير في الاعتداء على الناس، وحياة بكف أهل المقتول عن الثأر، الذي قد لا يقف عند القاتل، بل يتعداه إلى أهله ممن لا ذنب لهم ولا جريمة.

وحياة يأمن فيها كل فرد على نفسه؛ لأنه يعلم يقيناً أن هناك قصاصاً عادلاً، ينتظر كل من يتعدى حدود الله .

الحالة الثانية: التي يجوز فيها القتل بالرجم، فهي للثيب الزاني الذي رزقه الله الحلال الطيب، فيذهب يرتع في مستنقع الرذيلة العفن، ويقتل العزة والكرامة.

الحالة الثالثة: تكون لمن ترك دينه، وارتد بعد أن منَّ الله به عليه، فالردة بالإجماع سبب لإباحة دم المسلم، فروى البخاري وأحمد أن الرسول قال: **من بدل دينه فاقتلوه**.

فهذه هي الحالات الثلاث التي تبيح قتل المسلم على يد ولي الأمر، أو من ينوب عنه، وهذا أمر مجمع عليه بين الفقهاء.

أما فيما عدا هذه الحالات فإنه لا يجوز أبداً قتل النفس، بل إن الأمر جد خطير، وكيف لا؟، وقد قال المولى :{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً} [النساء: ٩٣].

أخوة الإسلام:

لقد قام الشرع الحنيف بشن حملة مرعبة على جريمة القتل ومرتكبها، فتعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من القتل ومرتكبه.

أولاً: القتل من الكبائر بعد الشرك بالله : فقال :{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ

يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَـالُوا سَـلاماً * وَالَّـذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَـنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَامـاً * وَالَّـذِينَ إِذَا أَنفَقُـوا لَمْ يُـسْرِفُوا وَلَمْ يَقْـتُرُوا وَكَـانَ بَـيْنَ ذَلِـكَ قَوَامـاً * وَالَّـذِينَ لاَ يَـدْعُونَ مَـعَ الله إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَـرَّمَ الله إِلاَّ بِالْـحَقِّ وَلاَ يَزْنُـونَ وَمَـن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَـةِ وَيَخْلُـدْ فِيـهِ مُهَانـاً} [الفرقان: ٦٣ - ٦٩].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور.

ثانياً: القتل من الموبقات: فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟، قَالَ:الـشِّرْكُ بالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْـحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَـا، وَأَكْـلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ.

ثالثاً: حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة: روى ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو قال: رأيت رسول الله يطوف بالكعبة، ويقول:ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه.

رابعاً: توعد الله للقاتل بالنار: فقال :{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَـدَّ لَـهُ عَـذَاباً عَظِيماً} [النساء: ٩٣].

وروى الترمذي أن الرسول قال:لو أن أهلَ السماء وأهلَ الأرض اشتركوا في دم مؤمن، لأكبهم الله في النار.

خامساً: توعد الله القاتل بالعذاب: روى البيهقي أن ابن عباس قال: قُتِل بالمدينة قتيلٌ على عهد النبي لم يُعلم من قتله، فصعد النبيُّ المنبرَ فقال:أيها الناس: قُتِل قتيلٌ وأنا فيكم، ولا يُعلَم من قتله، لو اجتمع

أهلُ السماء والأرض على قتل امرئ، لعذبهم الله ، إلا أن يفعل ما شاء.

سادساً: اليأس من رحمة الله : روى ابن ماجه والأصبهاني أن الرسول قال:من أعان على قتل مؤمن، ولو بشطر كلمة، جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله .

وفي رواية الأصبهاني: قال سفيان بن عيينة هو أن يقول: اق، يعني لا يُتِم كلمة اقتل.

سابعاً: لا يغفر الله للقاتل: روى أبو داود وابن حبان أن الرسول قال:كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت مشركاً، أو يقتل مؤمناً متعمداً.

ثامناً: زوال الدنيا أهون من قتل مؤمن: فروى مسلم والترمذي والنسائي أن الرسول قال:لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم.

تاسعاً: قتال المسلم كفر: فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.

عاشراً: قتل النفس بغير حق قتل الناس جميعاً: وفي ذلك ما فيه من تغليظ الجرم، وبشاعة الذنب، فقال :{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} [المائدة: ٣٢].

فإذا علمنا أن قتل المؤمن أعظم من زوال الدنيا، وأنه كقتل الناس جميعاً، علمنا خطورة وفظاعة القتل العمد، بما لا يمكن للغة البشر أن تصفه.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أعلن الرسول الحرب على من قتل نفسه منتحراً بأي طريقة تكون، وحكم عليه بأنه مخلد بالنار،

فروى البخاري ومسلم أن الرسول قـال:مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَـنْ تَحَـسَّى سُـمًّا فَقَتَـلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّـدًا فِيهَـا أَبَـدًا، وَمَـنْ قَتَـلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ، يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَـا أَبَدًا.

وروى البخـاري ومـسلم أن الرسـول الْتَقَـى هُـوَ وَالْمُـشْرِكُونَ فَـاقْتَتَلُوا، فَلَمَّـا مَـالَ رَسُـولُ الله إِلَـى عَـسْكَرِهِ، وَمَـالَ الآخَـرُونَ إِلَـى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله رَجُلٌ لا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلا فَاذَّةً إِلا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلانٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله :أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ الله ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله، قَالَ :وَمَا ذَاكَ؟.

قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله : عِنْدَ ذَلِكَ:إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

أخـوة الإسـلام:

إن القتل يتنوع إلى أنواع عديدة، فتعالوا معي لنتعرف على أنواع القتل.

أولاً: القتـل العمـد: وهو أن يتعمد الشخص قتل الغير بما يقتل

غالباً، وهذا ما حدث في أحداث الخامس والعشرين من يناير، وكذلك ما يحدث الآن في بعض البلاد العربية، كسوريا، وليبيا، واليمن، وغيرها من بلاد المسلمين الذي يحدث فيها هذا القتل، وهذا النوع ورد فيه الوعيد الشديد، وهو المقصود بقول الله :{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً} [النساء: ٩٣].

وما حدث من قتل من المسؤولين وما يحدث الآن أيضاً، يذكرنا مما كان يفعله فرعون في قومه، فقال :{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٣].

ولقد أوجب الله في هذا النوع من القتل القصاص، فقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: ١٧٨].

أما إذا عفا ولي الدم عن القصاص، فتجب الدية، وتكون مغلظة، في مال الجاني، وتكون حالة، وتكون مثلثة، وهنا سؤال يطرح نفسه وهو: هل للقاتل العمد توبة؟.

اختلف العلماء في هذه المسألة، فلقد روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلتُ فيها إلى ابن عباس ، فسألتُه عنها، فقال هذه الآية:{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً} [النساء: ٩٣].

فقال: هي آخر ما ترك، وما نسخها شيءٌ.

وفي رواية للنسائي يقول سعيد: قرأت على ابن عباس آية الفرقان:{وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله

إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً} [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

قال ابن عباس : هذه مكية، نسختها آيةٌ مدنية.

وذهب أصحاب الرأي الثاني: أن القاتل المتعمد إن تاب، تاب الله عليه؛ لأن الأخذ بظاهر قول الله :{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً} [النساء: ٩٣]، ليس بأولى من الأخذ بظاهر قول الله :{إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود: ١١٤].

وقول الله :{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [الشورى: ٢٥].

وقول الله :{إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بالله فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً} [النساء: ٤٨].

واقرأ معي قول الله :{وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى الله مَتَاباً} [الفرقان: ٦٨ - ٧١].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟، فَقَالَ: لاَ، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟، فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ الله ، فَاعْبُدِ الله مَعَهُمْ، وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ

مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى الله ، وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى، فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ.

ثانياً: القتل بالتسبب: وذلك كأن فعل الشخص فعلاً كان سبباً في القتل، كمن شهد زوراً على شخص، فأدت هذه الشهادة إلى القتل، وكذلك من وضع سماً لغيره، فمات، وكذلك التعذيب الذي يجري في أقسام الشرطة، ومباحث أمن الدولة، ويؤدي إلى الموت، فهذا قتل بالتسبب، وحكمه حكم القتل العمد في كل شيء.

ثالثاً: القتل الخطأ: وهو أن لا يقصد الإنسان قتل غيره، بأن يضربه بشيء لا يقتل غالباً، كمن ضرب ولداً ليؤدبه، أو ضرب تلميذاً ليعلمه، أو ضرب غيره بآلة لا تقتل غالباً، وهذا النوع أشار إليه

المولى :{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً} [النساء: ٩٢].

ففي هذه الآية بيان لثلاث حالات للقتل الخطأ:

الحالة الأولى: أن يقع القتل على مؤمن أهله مؤمنون في دار الإسلام، وفي هذه الحالة يجب تحرير رقبة مؤمنة، ودية مسلمة إلى أهله، فأما تحرير الرقبة المؤمنة، فهي تعويض للمجتمع المسلم عن قتل نفس بعتق نفس مؤمنة أخرى.

وأما الدية فتسكين لثائرة نفوس أهل القتيل، وشراء لخاطرهم، بعدما فُجعوا في قتيلهم، وتعويض لهم عن بعض ما فقدوه، إلا أن

يصدقوا، ويتنازلوا عن الحق تسامحاً وتعاطفاً.

الحالة الثانية: أن يقع القتل على مؤمن وأهله محاربون للإسلام في دار الحرب، ففي هذه الحالة يجب تحرير رقبة مؤمنة؛ لتعويض النفس المؤمنة التي قُتِلتْ، لكن لا يجوز دفع الدية لقوم القتيل المحاربين، حتى لا يستعينوا بها على قتال المسلمين، إذ لا مكان ولا مجال هنا لاسترضاء أهل القتيل؛ لأنهم محاربون وأعداء للإسلام والمسلمين.

الحالة الثالثة: أن يقع القتل على مؤمن، أو على غير مؤمن قومه معاهدون، أي لهم عهد هدنة، أو عهد ذمة، ففي هذه الحالة يجب أن تدفع الدية إلى أهله المعاهدين، ولو لم يكن المقتول مؤمناً؛ لأن عهدهم مع المؤمنين يجعل دماءهم مصونةً كدماء المسلمين، ويجب على القاتل أيضاً تحرير رقبة مؤمنة.

إخوة الإسلام:

إذا مات القاتل دون أن يتوب، ولم يعترف بجريمته، ولم يدفع الدية لأولياء الدم، أو لم يقتص منه، فهناك عقوبات أعدها الله له، فتعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله للقاتل في هذه الحالة.

أولاً: العقوبات الدنيوية:

١ - **القتل كبيرة من الكبائر**: روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور.**

٢ - **عدم قبول الأعمال**: روى أبو داود أن الرسول قال:**من قتل مؤمناً فاعتبط بقتله، لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.**

ومعنى:**فاعتبط بقتله** الذين يقاتلون في الفتنة، فيقتل أحدهم فيرى أحدهم على أنه على هدى، لا يستغفر الله .

٣ - عدم المغفرة: روى أبو داود والحاكم أن الرسول قال:كل ذنب عسى الله أن يغفرَه، إلا من مات مشركاً، أو مؤمن قتل مؤمناً متعمداً.

ثانياً: العقوبات الأخروية:

١ - اليأس من رحمة الله : روى ابن ماجه والأصبهاني أن الرسول قال:من أعان على قتل مؤمن، ولو بشطر كلمة، جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه آيس من رحمة الله .

٢ - اللعن والغضب والنار: قال الله :{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً} [النساء: ٩٣].

وروى البخاري ومسلم وأحمد عن أبي بكرة أن الرسول قال:إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ، فقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟، قَالَ :إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ.

قال العلماء: هذا إنما يكون كذلك، إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل، إنما يقتتلان على عداوة بينهما، أو عصبية، أو طلب دنيا، أو رئاسة، أو علو، فأما من قاتل أهلَ البغي على الصفة التي يجب قتالهم بها، أو دفع نفسه، أو حريمه، فإنه لا يدخل في هذه؛ لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه، غير قاصد قتل صاحبه، إلا إن كان حريصاً على قتل صاحبه.

٣ - لا يشم رائحة الجنة: روى البخاري أن الرسول قال:من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً.

٤ - حمل لواء الغدر يوم القيامة: روى ابن ماجه أن الرسول قال:من أمَّن رجلاً على دمه فقتله، فإنه يحمل لواء غدر يوم القيامة.

٥ - يوكل به حيوان يأخذه إلى نار جهنم: روى أحمد والبزار أن

الرسول قـال:يخرج عنق من النار يتكلم يقول: وكلت اليوم بثلاث: بكـل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلها آخر، ومن قتل نفساً بغير حـق، فينطـوي عليهم، فيقذفهم في حمراء جهنم.

وأخيراً أقول للقاتل:

مثّل وقوفك يوم العـرض عُريانـاً ::: مستوحشاً قلق الأحـشاء حيرانـاً
والنار تلهب من غيظ ومن حنـق ::: على العصاة وربُّ العرش غضباناً
اقرأ كتابك يا عبدُ علـى مَهـلٍ ::: هل ترى فيه حرفاً غيرَ مـا كانـا
فلما قرأت ولم تنكر قراءته أقررتَ ::: إقرار من عرَف الأشـياء عرفانـا
نادى الجليلُ خذوه يـا ملائكـتي ::: وامضوا بعبد عصى للنار عطـشاناً
المشركون غداً في النـار يلتـهبوا ::: والمؤمنون بـدار الخلـد سـكاناً

* * *

السبب الثاني عشر: الكبر

الكبر

أسـبـاب عـذاب
القبـر

الكبر

الحمد لله رب العالمين: الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون.

سبحانه: أراد لعباده الخير والبر، وطلب من عباده إقامة منهج العدل والفضيلة، فقال :{صِبْغَةَ الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} [البقرة: ١٣٨].

وقال :{أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل العظمة إزاره، والكبرياء رداءه، ورتب العقاب الشديد على من يريد أن ينازعه فيهما، فروى الحاكم أن الله يقول في الحديث القدسي:العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما أخذته ولا أبالي.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن الكبر يمنع صاحبه من دخول الجنة، فروى مسلم أن الرسول قال:لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبُه حسناً، ونعلُه حسناً، فقال :إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق - دفعه ورده - وغمض - احتقار - الناس.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع جناية خطيرة من الجنايات التي يرتكبها الإنسان، مع جناية تسبب الحرمان من الجنة وتوجب النار، مع جناية

تسبب الهلاك والدمار لمن يرتكبها، أتدرون ما هي؟ إنها الكبر، أعاذني الله وإياكم منها.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسال أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن تناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن موازين العباد عند الناس تختلف عن موازين العباد عند الله ، فقد يكون العبد عزيزاً في أعين الناس وهو عند الله في أخبث المنازل، وقد يكون العبد حقيراً في أعين الناس وهو عند الله في أعلى المنازل.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى البخاري عن سهل بن سعد أنه قال: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ الله فقالَ:مَا تَقُولُـونَ فِي هَـذَا؟ قَالُوا: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا والله حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ الله ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله :مَا رَأْيُـكَ فِي هَـذَا؟ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله: هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله : هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا.

وروى مسلم أن الرسول قال:رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره.

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:إنه ليأتي الرجلُ العظيمُ السمينُ يوم القيامة، فلا يزن عند الله جناح بعوضة.

وإذا كان الأمر كذلك: فلا داعي لأن يفتخر مسلم على أخيه المسلم، ولا داعي لأن تفتخر مسلمة على أختها المسلمة، فإن مقادير العباد لا يعلمها إلا الله .

فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: ١١].

الحقيقة الثانية: إن الله حرم علينا الكبر وحذرنا منه، وتوعد لمن تخلق بهذا الخلق الذميم بالوعيد الشديد، فقال :{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} [الأعراف: ١٤٦].

وقال :{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} [غافر: ٣٥].

وفي نفس الوقت نجد أن الرسول حذرنا منه، فروى الطبراني في الأوسط أن الرسول قال:إياكم والكبر، فإن الكبر يكون في الرجل ، وإن عليه العباءة.

ولقد حرم الله الكبر من أجل تنقية القلوب من الأحقاد والضغائن، ومن أجل نشر المحبة والإخاء والتآلف بين المسلمين.

ولقد رتب الشرع العقاب الشديد على من تخلق بهذا الخلق الذميم، فروى مسلم أن الرسول قال:بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم.

وروى أبو داود والترمذي أن الرسول قال:من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار.

فالواجب علينا جميعاً أن نحذر من الوقوع في تلك الآفة، فإن

عاقبة الكبر غير محمودة في الدنيا والآخرة.

فروى مسلم أن الرسول قال: **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقالُ ذرة من كبر.**

وروى أبو داود وابن ماجه وابن حبان أن الله يقول: **العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني شيئاً منهما عذبته.**

الحقيقة الثالثة: إن المتكبر من أشر الناس عند الله ، ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى أحمد عن حذيفة قال: كنا مع النبي في جنازة فقال: **ألا أخبركم بشر عباد الله الفظ المستكبر....**

فالمتكبر هو الذي أراد الله أن يضله، فجعل صدرهَ ضيقاً حرجاً، كأنما يصعدُ في السماء.

المتكبر يكرهه جميع الناس، وينفرون منه، ويفرون منه فرارهم من الأجرب، ويهربون من لقائه هروبهم من الثعبان؛ لأنه في نظرهم أثقل من الجبل، وأنه أبغض إلى قلوبهم من المرض.

أتدري يا من تدعي الكبر ماذا يقال لك وأنت نائم على خشبة الغسل عرياناً؟ يقال لك: أين سمعك ما أصمك؟ أين بصرك ما أعماك؟ أين سمعك ما أخرسك؟ أين صوتك الشجي ما أسكتك؟ أين ريحك الطيب ما غيرك؟ أين مالك ما أفقرك؟

فإذا ما وضع في القبر نادى منادٍ من قبل الله : يا ابن آدم: جمعتَّ الدنيا أم الدنيا جمعتك؟ يا ابن آدم: تركتَّ الدنيا أم الدنيا تركتك؟ يا ابن آدم: استعددتَّ للموت أم المنية عاجلتك؟ يا ابن آدم: خرجتَّ إلى الدنيا بلا ذنب، وعدتَّ إلى الدنيا وكلك ذنوب.

فإن رزقك الله الجمال فلا يحملك هذا الجمال على أن تتكبر على غيرك؛ لأن الجمال عرض زائلُ لا يدوم أبداً.

وإن رزقك الله المالَ فاحذر من أن يحمِلك هذا المال على التكبر؛

لأن الدنيا بكل ما فيها متاع زائل، لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

وإن كنت من أسرة عريقة النسب والجاه، فلا تتفاخر على من حولك بهذا الجاه والنسب والحسب؛ لأن النسب الحقيقي هو التقوى، وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة، فلا ينفعك إلا عملك الصالح.

وصدق الله إذ يقول:{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: ١٠١].

فاحرص أخي المسلم على سلامة قلبك من الكبر والحقد والحسد، ومن سائر الآفات التي تُمْرِضُ القلب، وتُبْعِدُه عن الله ، وانشغل بإصلاح نفسك ونجاتها من عذاب الله ، فإنه لا ينفعك غداً بين يدي الله إلا عملُكَ الصالح.

الحقيقة الرابعة: ما هو الكبر؟ الكبر هو التعالي والتعاظم على الغير.

وقد يكون هذا التعالي على الله ، وهذا أفحش أنواع الكبر، وهو منتشر بين الأمراء والرؤساء، كالنمروذ، إذ استنكف أن يكون عبداً لله ، فادعى الربوبية، فقال :{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ الله الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ الله يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ والله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ٢٥٨].

وكذلك فرعون تكبر على الله ، واستنكف أن يكون عبداً لله ، فادعى الألوهية، وفي هذا يقول المولى :{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ} [القصص: ٣٨ - ٤٢].

وقد يكون التعالي على الله بعدم الانصياع لأوامره، كرفض السجود له، فقال :{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً} [الفرقان: ٦٠].

وقد يكون التعالي والتعاظم على رسل الله: وذلك بأن يمتنع البشر عن اتباع الرسل، ولقد صور لنا القرآن الكريم التكبر على الرسل، فقال :{ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ * فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ * فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ} [المؤمنون: ٤٤ - ٤٧].

وقال :{وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ} [المؤمنون: ٣٤].

وتكبرت قريش على الرسول ، فقال :{وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣١، ٣٢].

وقد يكون التعالي والتعاظم على البشر: وذلك بأن يعتقد الإنسان المتكبر أنه أفضل خلق الله ، وأعظم ما في الوجود.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على الأشياء التي يحصل بها الكبر (أو يتكبر بها الإنسان).

أولاً: التكبر بالعلم:

فأول شيء يتكبر به الإنسان هو العلم، وما أسرع الكبر إلى العلماء، فلا يلبث العالم أن يتعزز بعلمه، فيستشعر في نفسه جمال العلم وكماله، ويستعظم الناس ويستحقر الناس ويستجهلهم، ويتوقع أن يبدؤه بالسلام.

وهذا من أخطر أنواع الكبر؛ لأن الناس يقتدون بأفعاله، ويقلدون سلوكه، لأنه قدوة لهم، وإذا كان كذلك: كان مثالاً سيئاً، وقدوة رديئة.

والعالم المتكبر ينصرف الناس عنه، وينفضون من حوله، فلا يُنتفع بعلمه، إلا من يوافقه على هواه، ومن كان هذا شأنه فلا فائدة من علمه، فيأمر الناس بالتواضع وهو أبعد الناس عنه.

روى البخاري وأحمد أن الرسول قال: **يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه، فيدور كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون: يا فلان! ما شأنك؟ ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه.**

وروى مسلم أن الرسول قال: أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ......... وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ....

ثانياً: التكبر بالمال:

وهذا النوع يجري بين الملوك في خزائنهم، وبين التجار في بضائعهم، وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم، فيستحقر الغني الفقير، ويتكبر عليه، ويقول له: أنت مكدٌّ ومسكين، وأنا لو أردتُّ لاشتريت مثلك، ومن أنت؟ وما معك؟ وأنا ما أنفقه في يوم تنفقه أنت في سنة.

ونسي هذا المتكبر بماله أن المال عارية، ربما سلبه الله منك في أقل من لمح البصر، مثل ما حكى الله في قصة أصحاب الجنتين، فقال: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ

شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَكِنَّاْ هُوَ اللهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً * فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً} [الكهف: ٣٢ - ٤١].

لقد أرسل الله عليها حسبانا من السماء، وهو المطر المزعج الباهر الذي يقتلع الزرع والأشجار، فأصبحت تراباً أملس لا نبات فيه، فقال :{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً * هُنَالِكَ الوَلايَةُ للهِ الحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً} [الكهف: ٤٢ - ٤٤].

وروى مسلم أن الرسول قال:**أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه....** وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

أما علم المتكبر بماله أنه سيوف يموت ويترك ماله كله، وسوف يحاسب عليه يوم القيامة؟ أما نسي هذا المتكبر أنه لو أصابته آفة، أو علة، أو مرض، ما أفاده ماله، وربما أنفقه وضيعه على علاجه ولم يبرأ.

فهذا هارون الرشيد دخل عليه ابن السماك وصادف ذلك أنه كان

يرفع كوباً من الماء ليشربه، فقال له: اسمح لي أن تؤجل هذه الشربة قليلاً حتى أسألك، قال هارون: سل، قال: إذا مُنِعتْ منك الشربة فبكم تشتريها؟ قال هارون: بنصف ملكي، قال: فاشرب هنيئاً، فلما شرب هارون، قال له: فإذا مُنعتْ فيك يا سيدي، فبكم تدفع لإخراجها؟ قال ملكي كله، فقال: ملك لا يساوي شربة ماء، يا سبحان الله!

ثالثاً: التكبر بالحسب والنسب:

فصاحب النسب الشريف يستحقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه عملاً وعلماً.

روى النسائي والبيهقي أن رسول الله قال:**انتسب رجلان على عهد موسى ، فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان، حتى عدَّ تسعةً، فمن أنت لا أم لك؟ فقال: أنا فلان ابن الإسلام، فأوحى الله إلى موسى : أن قل لهذين المنتسبين: أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة، فهم في النار وأنت عاشرهم.**

إن النسب الشريف هو الذي يترتب عليه آثار صالحة تدل على رفعته وكرامته، أما من يتكبر ويظلم، ويؤذي عباد الله ويحتقرهم، فإنه لا يكون من عنصر طيب، ولا من أصل كريم غالباً.

أما علم هذا المتكبر بالنسب والحسب أن الإسلام أزال الفوارق والطبقات، ولم يفرق بين أبيض وأسود، ولا بين الحبشي والرومي، إلا بالعمل الصالح والتقوى.

فروى الترمذي وصحح الحديث الشيخ الألباني: لما فتح رسول الله مكة، ودخل المسجد الحرام، وأقبل إلى الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طاف بالبيت وفي يده قوس، وحول البيت وفوقه ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بالقوس، ويقول:**{وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً}** [الإسراء: ٨١].

ولما حان وقت الصلاة أمر الرسول بلال بن رباح أن يصعد فيؤذن على الكعبة، وأبو سفيان بن حرب، وعتاب بن أسيد،

والحارث بن هشام، جلوس بفناء الكعبة.

فقال عتاب: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم، فيسمع ما يغيظه، وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً، وقال أبو سفيان بن حرب: إني لا أقول شيئاً، لو تكلمتُ لأخبرتْ عني هذه الحصباءُ، فيخبره به رب السماء.

فأتى جبريل رسول الله وأنزل عليه قول الله :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣].

رابعاً: التكبر بالجمال:

وهذا النوع من التكبر يكثر وجوده بين النساء، فنجد المرأة تتكبر على غيرها من بني جنسها بالجمال.

إن الجمال نعمة من الله ، يعطيه لمن يشاء، ولكن يجب المحافظة على هذه النعمة، ولا نتكبر بها، وهناك من الرجال من يتكبر بهذا النوع، ولكنه قليل في الرجال عنه في النساء.

أما علم المتكبر بجماله أن الطاووس أجمل منه؟ أما علم ذلك الغافل أن الجمال معرض للزوال بسبب الأمراض؟ أما علم المتكبر بجماله أن الرجيع في أمعائه، والبول في مثانته، والمخاط في أنفه، والوسخ في أذنيه، والدم في عروقه، والصديد تحت بشرته، والصنان تحت إبطه، أما علم هذا المتكبر أنه يغسل الغائط في اليوم أكثر من مرة.

أما علم هذا المتكبر أنه خرج من مجرى البول مرتين، مرة ماء مهيناً، ومرة طفلاً صغيراً لا حول له ولا قوة؟

أما علم هذا المتكبر أنه أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو مع ذلك يحمل العذرة؟

أما علم أن هذا الجمال سيبلى ويصير جيفة، فتتفتت أعضاؤه، وتنخر عظامه؟ ويأكل الدود أجزاءه؟

خامساً: التكبر بالقوة والصحة:

فمن الناس من يتكبر بالصحة والقوة التي أنعمه الله بهما، فيأكل حق الضعيف، ويستولى على أموال الناس بالظلم والعدوان معتمداً على قوته، وهذا رجل جاهل؛ لأنه ظن أن القوة هي مقياس الرجولة بين الناس.

لقد نسي هذا المتكبر أنه لو كان معيار الرجولة هو القوة لكان هناك من الحيوانات ما هو أفضل منه، كالفيل مثلاً، أو الحمار، أو البغل.

ولكن المدار على العقل، فبه يصل الإنسان إلى معرفة ربه وخالقه، وبه يسير الإنسان سيراً حسناً، وهو الذي يجنب صاحبه المضار والمهالك.

وانظر إلى من تكبر بالقوة ماذا كانت عاقبته، قال :{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ} [فصلت: ١٥، ١٦].

سادساً: التكبر بالعبادة والعمل:

فمن الناس من يتكبر بعمله وعبادته، فيعتقد أن الناس كلهم هلكى وهو الوحيد الذي سينجو، وهو لا يعلم أنه هو الهالك، تحقيقاً لقول الرسول في الحديث الذي رواه مسلم:**إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم.**

أما علم هذا المتكبر بعمله وعبادته، أنه مهما عمل وعبد الله فلا يستطيع أن يؤدي شكر نعمة واحدة من نعم الله عليه؟

ولو وضع الإنسان منا عبادته كلها في كفة، ونعمة واحدة من النعم التي أنعم الله بها عليه في كفة أخرى، لرجحت كفة النعمة الواحدة.

ويجب أن يعلم الجميع: أن الإنسان منا لن يدخل الجنة بعمله، فروى البخاري أن الرسول قال:**لن يدخل أحدكم الجنة بعمله** قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال :**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته.**

سابعاً: التكبر بالجاه والمنصب:

فمن الناس بمجرد أن ينعم الله بنعمة المنصب أو الجاه تجده يتكبر على غيره من البشر، ألا فليعلم هذا المتكبر أن المنصب زائل، وأن الأيام دول، ولو كانت المناصب تدوم لأحد ما وصلت إليك، وما وصلت إليها.

يقول الأصمعي: لقد رأيت رجلا يطوف حول الكعبة، وكان بين يديه خدام وعبيد يبعدون الناس عن طريقه، ويسوقونهم بين يديه، فنظرت إلى الرجل، فإذ هو متكبر يكاد يخرج من جلده تكبراً، فتعجبت من ذلك كثيراً، وبعد أعوام قليلة، رأيت هذا الرجل بعينه يجلس في مزبلة حقيرة فوق جسر بغداد، فدنوت منه وقلت له: يا سيدي ألست صاحب الجنود والحراس حول الكعبة بالأمس؟ قال: نعم، فقلت له: وما الذي سيرك على هذا؟ قال: تكبرت حيث تواضع الناس، فوضعني الله حيث يَترفَّعُ الناس.

يقول الأصمعي: فوليت وأنا أقول: فاعتبروا يا أولى الأبصار.

* * *

السبب الثالث عشر: الكبر

الكبـر

أسبـاب عـذاب القبـر

الكبـر

الحمـد لله رب العـالمين: الـذي شـمل إحـسانه كـل حـي، فكيـف إنعامه؟ إنعامه ملء الوجود وزاد، فكيف رحمته؟ رحمته وسعت كل شـيء، فكيـف جنتـه؟ جنتـه عرضـها الـسماوات والأرض، فكيـف عرشـه؟ عرشـه فـوق الـسبع الطبـاق، فكيـف وجـه؟ وجـه ذو الجـلال والإكرام، فكيف هو؟ قال :{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السماوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزخرف: ٨٤، ٨٥].

سبحانه: يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون، وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه: بين لنـا أن الحـسرة والندامة تكون للمتكبر يوم القيامة، فقال :{أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ الله وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ* أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ الله هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ المُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ المُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الكَافِرِينَ * وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى الله وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٥٦ - ٦٠].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن الكبر يمنع صاحبه من دخول الجنة، فروى مسلم أن الرسول قال: لا يدخل الجنةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كبر فقال رجل: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبُه حسناً، ونعلُه حسناً، فقال :إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق - دفعه ورده - وغمض - احتقار - الناس.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام.

مـازال الحـديث موصـولاً مـع جنايـة الكبـر، فـأعيروني القلـوب والأسـماع والأبـصار، والله أسـال أن يجعلنـي وإيـاكم ممـن يـستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن تناول موضـوعنا اليوم، يجب علينـا أن نقف علـى بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: مـا هي الأسباب التـي تدعو إلـى الكبـر؟ أو تحمل الإنسان علـى الكبر؟ الأسباب التي تدعو الإنسان إلى الكبر ثلاثة:

أولاً: العُجْـب: وهو أن يُعْجـب الإنـسانُ بنفسه، أو بعمل قـام بـه، فالعُجْبُ يورث الكبرَ، وقد يُعْجبُ الإنسان بعمل هو مخطئٌ فيـه، كما يُعْجبُ بعمل هو مصيبٌ فيه.

ولقـد حـذرنـا الرسـول مـن العجـب، فـروى البـزار أن الرسـول قال:لو لم تُذنِبُوا لخشيتُ عليكم ما هو أكبر منه: العُجْب.

ولقد دخل العُجْبُ فـي قلـوب المسلمين فـي غزوة حنين، فدارت علـــيهم الـــدائرة فـــي أول المعركـــة، إلا أن الله ثبـــت رســـوله، فيقـول :{لَقَدْ نَصَرَكُمُ الله فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ الله مِنْ بَعْدِ ذَلِـكَ عَـلَى مَـن يَشَاءُ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ٢٥ - ٢٧].

ولقد بين لنا الرسول أن العجبَ من المهلكات، فروى الطبرانـي أن الرسول قال:ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.

ثانياً: الحقد والحسد: فالحقد والحسد يحملان الإنسان على التكبر، كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله أو أعلى منه، فقد يحقد إنسان على غيره أو يحسده فيحمله على أن يتكبر عليه.

والشرع قد نهانا عن الحسد، فلقد طلب الله من رسوله أن يتعوذ من الحسد، فقال :{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ* وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [العلق: ١ - ٥].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا.**

ثالثاً: الرياء: فهو أيضاً يدعو إلى أخلاق المتكبرين، حتى إن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه، وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد، ولكن يمتنع من قبول الحق منه، ولا يتواضع له في الاستفادة منه خيفة أن يقول الناس: إنه أفضل منه، فيكون الباعث على التكبر عليه الرياء المجرد، ولو خلا مع نفسه لكان لا يتكبر عليه.

ولقد حذرنا المولى من الرياء، فقال:{مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: ١٥، ١٦].

وقال :{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ*وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ} [الماعون: ٤ - ٧].

الحقيقة الثانية: إن الله أمرنا بعبادته وطاعته، وفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وحدَّ حدوداً لمصالح عباده، ووعد على الالتزام بشرعه الجنة، وعلى مخالفته النار، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{تِلْكَ حُدُودُ الله وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ * وَمَـن يَعْـصِ الله وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [النساء: ١٤، ١٥].

فإذا جمحت نفسُ الإنسان وارتكبت الذنب فتح الله لها باب التوبة والاستغفار، فقال :{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى الله لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَـةٍ ثُـمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ الله عَلَيْهِمْ وَكَانَ الله عَلِيماً حَكِيماً} [النساء: ١٧].

أما إذا أصرت النفسُ على معصية الله وأبت إلا أن تغشى حماه، وتتجاوز حدوده كالتكبر على الناس، فلا بد من كبح جماحها بإنزال العقوبة عليها؛ ليتحقق للأمة الأمن والطمأنينة، فالعقوبة هي أمان للمجتمع كله، فقال :{وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٩].

الحقيقة الثالثة: إن القصص القرآني الذي ساقه الله لنا ليس من باب الترف، ولا من باب التسلية، بل ساقه الله من أجل العبرة والعظة، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال : {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف: ١١١].

وقال :{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق: ٣٧].

ولكن للأسف الشديد حولنا القصص القرآني إلى مجرد تسلية فقط، ولا نأخذ العبرة ولا العظة منه، فأصابنا ما نحن فيه، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وصدق الله إذ يقول:{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠].

إخـوة الإسلام:

تعالوا معي لنسوق بعض النماذج للمتكبرين من خلال القرآن الكريم.

النموذج الأول: قارون:

يقول :{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي القُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ الله الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٧٦، ٧٧].

فقارون قد منَّ الله عليه بنعمة المال، والتي أصبحت بعد ذلك عليه نقمة عظيمة؛ لأنه خالف شرع الله ، ولم يستعمل النعمة فيما أحل الله ، ولذلك يقول الله :{فَبَغَى عَلَيْهِمْ} [القصص: ٧٦] أي تكبر وتطاول.

ولذلك لما طلبوا منه زكاة ماله، قال لهم، كما حكى القرآن:{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي} [القصص: ٧٨].

فماذا كانت نهاية بغيه وتكبره على من حوله؟ أنفعه ماله؟ أنفعته كنوزه؟ أنفعه علمه؟ أنفعته حيله ودهاؤه؟ كلا، والله لم ينفعه ماله، فقال :{وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى} [الليل: ١١].

لقد نصحه قومه، وقالوا له: لا تغتر، ولا تبغ ولا تتكبر،{إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ} [القصص: ٧٦].

لكنه ردَّ قولهم، ولم يسمعْ لنصحهم، ولم يُذعِن لموعظتهم، فكانت عاقبته الخسف والعذاب إلى يوم القيامة، ثم بعد ذلك يكون في النار.

ولم تنفعه كنوزه، ولا علمه، ولا دهاؤه، فكانت نهايته هي نهاية كل متكبر، هي نهاية كل متعال، نهاية كل باغ، نهاية كل متطاول وجاحد، قال :{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن

دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ} [القصص: ٨١].

وهكذا تكون نهاية كل متكبر بماله، فإذا أنعم الله على الإنسان بنعمة المال، فلا بد أن ينسب الفضلَ كله لله ، فإذا لم ينسب الفضل لله يكون قد تكبر بماله، وفعل كما فعل قارون، حينما قال: أوتيته على علم عندي.

وإذا امتنع صاحب المال عن أداء حقوق الله المتعلقة بماله كالزكاة والصدقات والكفارات والنذور، فهذا أيضاً تكبر بنعمة المال.

فانظر إلى حالنا اليوم: فكم من غني منع زكاة ماله، وكم من غني حرم السائل من حقه، وكم من غني بخل بماله على الفقراء والمساكين، فكل هذا من التكبر بالمال، فليحذر كل صاحب مال فينا أن يصنع ما صنعه قارون، حتى لا تكون نهايته كنهاية قارون.

النموذج الثاني: فرعون:

هذا الرجل الذي أنعم الله عليه بنعمة السلطان والجاه، فكان له قصوره، وكان له أمواله، وكان له عقاراته، ولكنه قابل ذلك كله بالنكران والجحود لله رب العالمين، فادعى لنفسه الربوبية والألوهية.

ويتضح كبر فرعون بسلطانه وجاهه حينما رأى رؤيا في منامه، وفسرها له كهنته بأنه سوف يولد مولود ذكر، سوف يكون سبباً في القضاء على ملكه وسلطانه، فماذا فعل؟

صار يذبح كل مولود يولد من الذكور، وهذا من الكبر، ولقد صور لنا القرآن ذلك، فقال :{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٤].

لكن حكمة الله وإرادته فوق كل إرادة، فحفظ الله موسى ونجاه من الذبح، وتربى موسى في قصر فرعون، ورباه هو

بنفسه، لكي يكون سببا في نفاذ ووقوع قضاء الله .

وبعد ما أرسل الله موسى بالرسالة، وكانت مهمته مع فرعون إخراج بني إسرائيل فقط، فقال :{فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى} [طه: ٤٧].

فدخل موسى على فرعون ليبلغه بالرسالة الجديدة، فتكبر فرعون بسلطانه وجاهه، فقال :{وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ* قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ* فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السماوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ* قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ* قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ* وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ} [الشعراء: ١٠ - ٣٧].

وقال :{وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي

هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ} [الزخرف: ٥١ - ٥٤].

فكانت نهايته كما قال المولى :{فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ} [الزخرف: ٥٥، ٥٦].

النموذج الثالث: إمام المتكبرين إبليس اللعين:

وهذا هو زعيم المتكبرين، وأشقى الأشقياء، ذلكم المحروم الذي منَّ الله عليه بأن جعله وهو من الجن، مصاحباً للملائكة الأطهار، فكان يتعبد معهم، ولما خلق الله آدم وأمر الملائكة بالسجود لآدم وكان من بينهم، وكان السجود سجود تحية، وكان بأمر الخالق الحكيم ، فماذا كان شأنه؟ وماذا كان حاله؟ قال :{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٣٤].

ولما امتنع إبليس اللعين عن السجود لآدم علل ذلك بقوله: أنا خير منه، فقال :{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} [الأعراف: ١٢] فماذا كان مصيره؟

لقد طُردَ من رحمة الله ومن جنته، وصار من المبعودين، وأُهبَطَ من الملأ الأعلى إلى الأرض، فقال :{قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} [الأعراف: ١٣].

وقال :{قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف: ١٨].

أخوة الإسلام:

لقد وضع العلماء وسائل للعلاج من الكبر، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الوسائل والتي تكون علاجاً للمتكبر.

أولاً: أن يعرف الإنسان ربه حق المعرفة:

فالإنسان منا لا بد أن يعرف ربه حق المعرفة، فهو المعز، وهو المذل، وهو مالك الملك، وملك الملوك، فقال :{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ٢٦].

وعلى الإنسان أن يعلم أن صفة الكبر لن تكون إلا لله ، فقال :{هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الحشر: ٢٢، ٢٣].

وعلى الإنسان أن يعلم أن العظمة لا تنبغي إلا لله ، فروى الحاكم أن الله يقول في الحديث القدسي:العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما أخذته ولا أبالي.

ثانياً: أن يعرف الإنسان حقيقة نفسه:

فعلى العبد أن يعرف أنه عبد ضعيف ذليل، لا يليق به إلا أن يخضع لله ، وأن يذل نفسه لربه ، فقال :{قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ} [عبس: ١٧ - ٢٢].

وقال :{هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً} [الإنسان: ١، ٢].

وقال :{فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ* إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} [الطارق: ٥ - ٨].

ثالثاً: المواظبة على أخلاق المتواضعين:

فعلى المسلم أن ينظر في سيرة المتواضعين، وأن أستاذ المتواضعين هو الرسول ، فيجب على كل مسلم أن يقتدي بالرسول في التواضع، فقال :{قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ

يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً} [الأحزاب: ٢١].

رابعاً: النظر في سير المتكبرين:

فيرى ما حدث لقارون، وما حدث لفرعون، وما حدث لإبليس اللعين، وما حدث لعاد وثمود.

فقال :{وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ * وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت: ٣٨ - ٤٠].

وقال :{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ * وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ العَذَابِ الهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [فصلت: ١٥ - ١٧].

وقال :{كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ} [القمر: ١٨، ٢٠].

خامساً: أن يعلم المسلم أن ميزان التفاضل عند الله هو التقوى:

روى الترمذي وصحح الحديث الشيخ الألباني: لما فتح رسول الله مكة، ودخل المسجد الحرام، وأقبل إلى الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طاف بالبيت وفي يده قوس، وحول البيت وفوقه ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بالقوس، ويقول:{وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً} [الإسراء: ٨١] .

ولما حان وقت الصلاة أمر الرسول بلال بن رباح أن يصعد فيؤذن على الكعبة، وأبو سفيان بن حرب، وعتاب بن أسيد، والحارث بن هشام، جلوس بفناء الكعبة.

فقال عتاب: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم، فيسمع ما يغيظه، وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً، وقال أبو سفيان بن حرب: إني لا أقول شيئاً، لو تكلمتُ لأخبرتْ عني هذه الحصباءُ، فيخبره به رب السماء.

فأتى جبريل رسول الله وأنزل عليه قول الله :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣].

سادساً: الاعتذار لمن تكبر عليه:

وهذا ما حدث مع أبي ذر، فقد عير بلالاً بأمه، فقال له: يا ابن السوداء، فقال له الرسول :أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية... فاعتذر إليه أبو ذر ، ووضع خده في التراب لكي يعفو عنه.

أخوة الإسلام:

إن الله قد أعد للمتكبر عقوبات شديدة ومتنوعة، فتعالوا معي لنتعرف على هذه العقوبات التي أعدها الله للمتكبر.

أولاً: العقوبات الدنيوية:

١ - عدم محبة الله :

قال :{إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ} [النحل: ٢٣].

وقال :{وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: ١٨].

ويكفي عقاباً للمتكبر أن الله يحرمه من محبته، ولك أن تتخيل إنساناً يعيش في هذا الكون مع أن خالق الكون يكرهه ولا يحبه، فإذا

حُرِم العبد من محبة الله فقد حُرِم من الخير كله.

٢ - صرف الله المتكبر عن آياته:

قـال :{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} [الأعراف: ١٤٦].

ولك أن تتخيل مدى الشقاء والضنك والتعاسة الذي يعيش فيهم الإنسان المتكبر الذي صرفه الله الهداية عنه.

٣ - الطبع على القلب:

قـال :{الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ الله بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ الله عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} [غافر: ٣٥].

٤ - عدم قبول الأعمال:

قال :{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} [الأعراف: ٤٠] قال ابن عباس : لا يصعد لهم عمل صالح.

٥ - تشديد سكرات الموت:

فلقد صور لنا القرآن حال المستكبرين عند الموت والسكرات، فقال :{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غمرات المَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى الله غَيْرَ الحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

٦ - الخسف:

روى البخاري أن الرسول قال:بينما رجلٌ ممن كان قبلكم يجرُ إزارَه من الخيلاء، خُسِفَ به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة.

وهذا ما حدث لقارون، فقال :{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ الله وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ} [القصص: ٨١].

ثانياً: العقوبات الأخروية:

١ - الحسرة يوم القيامة:

قال :{أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٥٦ - ٦٠].

٢ - الحشر في صورة مهينة:

روى الترمذي أن الرسول قال:يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيُساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار، يُسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال.

٣ - عدم كلام الله للمتكبر:

روى مسلم أن الرسول قال:ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر.

٤ - عدم دخول المتكبر الجنة:

قال :{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} [الأعراف: ٤٠، ٤١].

وروى مسلم أن الرسول قال:لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً، فقال :إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق -

دفعه ورده - وغمض - احتقار - الناس.

٥ - النار مثوى كل متكبر:

قـال :{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠].

وتأمل معي أخي المسلم هذا المشهد المهيب الذي يصف حال المستكبرين عند دخولهم النار، قال :{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَابِ عَلَى الكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٧١، ٧٢].

فيا لها من خاتمة سيئة لأهل الكبر، الذين أبوا أن يكونوا عباداً لله ، بل الأعجب من هذا كله، أن النار تلتقطهم من أرض المحشر كما يلتقط الطير الحبَّ، فروى الترمذي وأحمد أن الرسول قال: **يخرج عنق من النار يوم القيامة، له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين.**

* * *

السبب الرابع عشر: الكذب

الكذب

أسباب عذاب القبر

الكذب

الحمد لله رب العالمين: الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون.

سبحانه: حكم على الكذّاب بسواد الوجه يوم القيامة، فقال : {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٦٠].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: كتب الفضيحة للكذاب على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فقال :{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨].

فأي حسرة بعد هذه الحسرة؟ وأي ندامة بعد ما فضحوا في الآخرة، ونادى كلُ الخلائق عليهم بالإشارة: هؤلاء هم الذين كانوا يكذبون في الدنيا على الله وعلى عباده.

وأشهد أن سيدنا محمداً : حكم على الكذاب بالنفاق، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع أول سبب من أسباب العذاب في القبر، ألا وهو: الكـــذب، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن تناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن الله خلق السماوات والأرض بالحق، وأشار إلى هذه الحقيقة في القرآن الكريم، فقال :{وَمَا خَلَقْنَا السماوات وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر: ٨٥].

ومن أجل أن يستمر هذا الحق في الكون كله، أمرنا الله بالصدق، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتبَ عند الله صديقاً.**

فالواجب على كل مسلم أن يبني حياته على الصدق، فلا يقول إلا صدقاً، ولا يعمل إلا صدقاً، فالصدق خلقٌ عظيم، يجمع بين خصال الخير كلها، وهو بناء الدين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان.

وهو خلق من أخلاق الأنبياء، فقال :{وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ} [مريم: ٤١].

وقال :{وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياًّ} [مريم: ٥٤].

ولقد مدح الله المؤمنين الذين اتصفوا بالصدق، فقال :{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ الله الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

الحقيقة الثانية: إن الكذب لا يجتمع مع الإيمان أبداً، فإذا وجد

الإيمان في قلب العبد خرج الكذب، وإذا وجد الكذب خرج الإيمان، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة: فقال :{إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله وَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ} [النحل: ١٠٥].

وأشار الرسول إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى مالك عن صفوان ابن سليم: أنه قيل لرسول الله : أيكون المؤمن جباناً؟ قال : نعم قيل: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال :نعم فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال :لا أي لا يجتمع الإيمان والكذب أبداً؛ لأنه إن ظن أن كذبه يجوز على الناس ويخدعهم، أفيظن أنه يجوز الكذب على علام الغيوب؟

فالكذب باب من أبواب النفاق، وعلامة على خبث النية، روى مسلم أن الرسول قال:ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ.

فالكذب خلق تنفر منه الطباع السليمة، والقلوب المؤمنة، قالت عائشة : ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول من الكذب، ولقد كان الرسول يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب، فيما تنجلي من صدره، حتى يعلم أنه أحدث لله منها توبة.

فالكذب من أقبح القبائح، ويُسقِط كرامة الشخص، ويُضيع شرفه، ويُحِط من هيبته، ويُذهبُ الثقة به، وهو من الخيانة، روى أحمد وأبو داود أن الرسول قال:كبرت خيانة أن تحدث أخاك هو لك مصدق، وأنت له كاذب.

الحقيقة الثالثة: إن كل الكائنات الحية ما عدا الإنس والجن تذم الكذب، وترفضه وتأباه؛ لأن الله فطرها على الصدق، فهي تسبح بحمد ربها، وتعرف لربها حقه وقدره، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السماوات وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ والله عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} [النور: ٤١].

وقال :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السماوات وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ وَمَن يُهِنِ الله فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: ١٨].

فهذا هدهد سليمان حين سأله بعد ما حضر، وكان سليمان يتفقد الطير فلم يجد الهدهد، فتوعده بالعذاب الأليم، فقال : {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ * لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} [النمل: ٢٠، ٢١].

فلما جاء الهدهد بادر بعرض عذره، وخاطبه خطاباً هيجه به على الإصغاء إليه، والقبول منه، فقال :{فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} [النمل: ٢٢].

فوصف الهدهد الخبر بأنه يقين صادق، لا شك فيه ولا ريب، ولا كذب فيه، ثم كشف عن حقيقة الخبر كشفاً مؤكداً، بأدلة التأكيد، فقال :{إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ الله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ} [النمل: ٢٣، ٢٤] .

فأراد نبي الله سليمان أن يختبر الهدهد، فقال له كما قال المولى :{قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الكَاذِبِينَ} [النمل: ٢٧].

فتأمل أخي الحبيب كيف فطر الله الهدهد على الصدق والصراحة، فلم ينافق، ولم يكذب حتى ينجو بنفسه من الوعيد الذي توعده به سليمان ، بل لازم الحق والصدق، فأنجاه الله .

فإذا كان الهدهد لا يكذب، فما بالك أنت أيها الإنسان، يا من كرمك الله ، وخلقك فسواك فعدلك.

الحقيقة الرابعة: ما هي دواعي الكذب؟

أولاً: اجتلاب النفع واستدفاعَ الضُّر: فيرى الكذابُ أن الكذبَ أسلم وأغنم، فيُرَخِّص لنفسه الكذب، طمعاً في ذلك.

ثانياً: أن يعتقدَ الإنسانُ أن يكون حديثُه مُستعذباً، وكلامُه يُستظرف: فيستحلي الكذب، وذلك مثل: النكت، والقصص الخيالية، كألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة.

ثالثاً: أن يقصد الإنسان بالكذب التشفي من عدوه: فيصفه بقبائح يخترعها عليه، وبأوصاف ينسبها إليه.

رابعاً: حب الترؤس: وذلك أن الكاذب يرى له فضلا على المخبَر له بما أعلمه، فهو يتشبه بالعالم الفاضل في ذلك.

خامساً: العادة: فيكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه، حتى ألفها، فصار الكذب له عادة.

سادساً: اعتقاد الفرد أن الله لن يحاسبه على هذا الكذب: وهذا مخالف تماماً لقول الله : {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨].

إخوة الإسلام:

إن للكذب أنواعاً عديدة، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الأنواع.

النوع الأول: الكذب على الله :

وينقسم هذا النوع إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يجعل الإنسان مع الله إلهاً آخر: وهذا ما حدث مع النصارى، الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فقال : {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: ٧٣].

وهذا أيضاً ما فعله اليهود، فقال : {وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ الله ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ الله أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: ٣٠].

القسم الثاني: أن يكذِّب الإنسانُ الله فيما أخبر به: وهذا ما حدث من الجماعة التي تنكر البعث، فروى البخاري والنسائي واللفظ له، إن الله يقول في الحديث القدسي:كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له أن يشتمني، فأما تكذيبه إياي: فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي: فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحداً.

القسم الثالث: أن يحرم الإنسان ما أحل الله ، أو يحلل ما حرمه الله : فقال :{قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنـزَلَ الله لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ الله أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى الله تَفْتَرُونَ} [يونس: ٥٩].

وقال :{وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى الله الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ} [النحل: ١١٦].

النوع الثاني: الكذب على الرسول :

ويدخل في الكذب على الرسول كل ما ابتدعه الجهال، وأقحموه في دين الله ، من محدثات لا أصل لها، عدها العوام ديناً، وما هي بدين.

ولقد نبه الرسول أمته إلى مصادر هذه البدع المنكرة، وحذرنا جميعاً من الانقياد إلى تيارها، وأمر المسلمين بضرورة التمسك بالقرآن والسنة.

فروى مسلم أن الرسول قال:يكون في آخر أمتي أناس دجالون كذابون، يُحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يُضلّونكم ولا يُفتنونكم.

ولقد بين لنا الرسول جزاء الذي يكذب عليه، فروى البخاري أن الرسول قال:إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.

وهذا وعيد شديد من الرسول لمن يُحدِّثُ بحديث يكذب فيه متعمداً على الرسول، كمن يضع الحديث.

النوع الثالث: الكذب على الناس:

ويدخل في نطاق الكذب على الناس ما يأتي:

أولاً: قذف البرآء بما لم يفعلوا: فالإنسان عندما يقذف غيره بتهمة لم يرتكبها، كقذف المؤمنات المحصنات بالزنا، فهذا نوع من أنواع الكذب على الناس، فقال :{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٤١].

ثانياً: شهادة الزور: فمن شهد زوراً فقد اتصف بالكذب، ولقد حذرنا الرسول من شهادة الزور، فروى البخاري أن الرسول قال:**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً** قالوا: بلى يا رسول الله، قال الرسول :**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئاً ألا وقول الزور** فما زال يكررها، حتى قلت: ليته سكت.

ثالثاً: اليمين الغموس: وهو من أقبح صور الكذب، الكذب الذي يؤكد ويوثق باليمين، وهو الحلف بالله ؛ لتوثيق الكلام الكاذب.

وهذه اليمين الكاذبة الفاجرة هي اليمين الغموس، وسميت بذلك؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم الكبير، ثم تغمسه في نار جهنم.

روى البخاري وأحمد أن الرسول قال:**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**.

وروى البخاري ومسلم أن أعرابياً جاء إلى الرسول فقال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال :**الإشراك بالله** قال: ثم ماذا؟ قال : **اليمين الغموس** قلت: وما اليمين الغموس؟ قال :**الذي يقتطع بها مال امرئ مسلم**.

رابعاً: الكذب في البيع والشراء: وذلك بالغش والخيانة والغدر، فيحلف التاجر كاذباً؛ ليروج سلعة، فيكون من الفجار، روى أحمد والحاكم أن الرسول قال: **إن التجار هم الفجار** قيل: يا رسول الله، أليس الله قد أحل البيع؟ فقال الرسول : **بلى، ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون.**

وروى الترمذي أن الرسول قال: **يا معشر التجار** فرفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال لهم: **إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً، إلا من اتقى الله وصدق.**

خامساً: الكذب على الأولاد: وذلك أن يكذب الأب على ابنه، أو الأم على ولدها، ولهذا نجد أن الرسول حذر أولياء الأمور من الكذب على الأولاد، روى أبو داود عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوماً، ورسول الله قاعد في بيتنا، فقالت: ها، تعال أعطيك! فقال لها الرسول : **وما أردت أن تعطيه؟** قالت: أعطيه تمراً، فقال لها الرسول : **أما إنك لو لم تعطه شيئاً، كُتبت عليك كذبة.**

سادساً: الأمثال الشعبية التي تحرض على الكذب: فهناك أمثال شعبية تحث الإنسان على الكذب ومنها:

المثل الأول: كذب مساوي، ولا صدق مفعكش: فهذا المثل قول هراء، يتعارض مع ما حث عليه الشرع من ضرورة التحلي بالأخلاق الفاضلة من الصدق والبر، وفيه دعوة صريحة لإباحة الكذب، وهذا المثل مخالف لما أمر به الله ، فقال : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}** [التوبة: ١١٩].

وأحب أقول: كيف يكون حال المسلمين لو أن الناس اتخذوا هذا المثل قاعدة صريحة في تعاملاتهم اليومية؟ فهل ترغب أخي المسلم يا من تنطق بهذا المثل أن يخدعك أحد الناس بكذب مقبول؟ والرسول قد حذرنا من هذا، فروى أحمد وأبو داود أن الرسول

قال:كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً، هو لك مصدق، وأنت به كاذب.

المثل الثاني: اتمسكن لحد مـا تـتمكن: هذا المثل تافه رخيص؛ لأنـه يحض على الكذب، وعلى الرياء، ويحثك على أن تكون ذا وجهين، تأتي هذا بوجه، وذاك بوجه آخر، وقد ذم القرآن الكريم هذا الصنف من النـاس، فقـال :{يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ القَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً} [النساء: ١٠٨].

أخـوة الإسلام:

لقد رخص الشرع في أمور معينـة، فتعالوا معي لنتعرف على الأمور التي يجوز فيها الكذب.

الحالـة الأولى: الكـذب بـين المتخاصـمين: وذلك من أجل الصلح بينهما، روى البخاري ومسلم أن الرسول قـال:لـيس الكـذاب الـذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً، أو يقول خيراً.

ومعنى: (ينمي خيراً) أي يذيع أقوالاً فيها بعض الكذب؛ للإصلاح بين الناس، ولإزالة ما بينهم من عداوة.

ثانياً: الكذب على العدو في حالـة الحـرب: وذلك لتضليله، ولإيقاعه في فخ من فخاخ الخداع الحربي، روى مسلم وأبو داود عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: لم أسمع النبي يرخص في شيء من الكذب مما تقول الناس إلا في الحرب، والإصلاح بين النـاس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها.

جاء في البداية والنهاية: أن الرسول لما سار إلى بدر نزل قريباً منهـا، وهنـاك وقـف علـى شـيخ، فـسأله عـن قـريش، وعـن محمـد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتمـا، فقـال الرسـول :إذا أخبرتنـا أخبرنـاك قـال: وذاك بـذاك، ثـم قـال

الشيخ: إنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا بالمكان الذي فيه الرسول وأصحابه، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، بالمكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره، قال: فمن أنتما؟ فقال الرسول :من ماء ولم يكذب الرسول ، وإنما أوهم الرجل، فوقف الرجل مبهوتاً يحدث نفسه، أم من ماء العراق؟ أم من ماء كذا؟

لذلك يقول عمران بن حصين : إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب.

الحالة الثالثة: الرجل يحدث زوجته أو تحدثه: روى الترمذي أن الرسول قال:يا أيها الناس: ما يحملكم أن تتابعوا على الكذب، كتتابع الفراش في النار، الكذب كله على ابن آدم حرام، إلا في ثلاث خصال: رجل كذب على امرأته ليرضيها، ورجل كذب في الحرب، فإن الحرب خدعة، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله للكذاب.

أولاً: العقوبات الدنيوية:

١ – عدم قبول شهادة الكذاب: لأنه غير مؤتمن، وبالتالي لا تقبل شهادته، قال :{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ} [النور: ٤١].

٢ – نفي الإيمان عن الكذاب: قال :{إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله وَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ} [النحل: ١٠٥].

٣ – عدم الفلاح: قال :{وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا

حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَـذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النحل: ١١٦، ١١٧].

٤ – عدم الهداية: قال :{إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُـوَ كَـاذِبٌ كَفَّـارٌ} [الزمر: ٣].

٥ – محق البركـة: فالرسول بين لنا أن الكذب في البيع والشراء يزيل البركة، فروى البخاري أن الرسول قال:البيعان بالخيار ما لم يفترقا، فإن صدق البيعان وبينا، بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما فعسى أن يربحا ربحاً ما، ويمحق بركة بيعهما، اليمين الفاجرة منفقة للسلعة، ممحقة للكسب.

٦ – النفـاق: روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان.

٧ – الفسق: قال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَـأٍ فَتَبَيَّنُـوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦].

٨ – سـواد القلـب: روى مالك أن الرسول قال:لا يـزال العبـد يكذب، ويتحرى الكذب، فتنكت في قلبه نكتةٌ سوداء، حتى يسود قلبُه، فيُكتبُ عند الله من الكاذبين.

ثانياً: العقوبات التـي في القبر:

أن يعذب بكلوب من حديد في شدقيه، روى البخاري ومسلم عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قالَ: كَانَ النَّبِيُّ إِذَا صَلَّى صَلاةً أَقبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فقالَ:مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ مَا شَاءَ الله، فَسَأَلَنَا يَوْمًا فقالَ:هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ قُلنَا: لا، قَالَ:لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَيُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّـوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَـذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ.... قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالا: أَمَّـا الَّـذِي رَأَيْتَـهُ يُـشَقُّ شِـدْقُهُ

فَكَذَّابٌ، يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثالثاً: العقوبات الأخروية:

١ - الفضيحة على رؤوس الخلائق يوم القيامة: فالله يكشف يوم القيامة عن حقيقة الكذاب يوم القيامة، أما الملائكة والأنبياء والصالحين، وكل الخلائق، حتى الجن، قال :{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨].

٢ - سواد الوجه يوم القيامة: قال :{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٦٠].

٣ - اللعن: قال :{فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} [آل عمران: ٦١].

٤ - الهلاك في النار: روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار.

٥ - عدم دخول الكذاب الجنة: روى البيهقي والطبراني أن الرسول قال:ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني، والإمام الكذاب، والعائل المزهو.

* * *

السبب الخامس عشر: النفاق

النفاق

أسـباب عـذاب القبـر

النفاق

الحمد لله رب العالمين: الذي خلق آدم من طين فسواه، ورد إلى يعقوب بصره حين ابيضت عيناه، وقال لحبيبه محمد :{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ} [النحل: ١٢٧].

الملك ملكه، والحكم حكمه، والأمر أمره، إنما أمره بين الكاف والنون إذا قال للشيء كن فيكون.

سبحانه: أعد الجنة والرحمة لمن أطاعه، وأعد النار وسخطه لمن عصاه، فقال :{إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى} [طه: ٧٤ - ٧٦].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: بين لنا أن رأسَ مال المنافقين المكرُ والخديعةُ، فقال :{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: ٨ - ١٠].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : بين لنا أن الخيانة، والكذب، والغدر، والفجر في الخصومة، من صفات المنافقين، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.

فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام

ما زال الحديث موصولاً في أسباب عذاب القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب عذاب القبر ألا وهو: **النفاق**.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا:

الحقيقة الأولى: إن الإنسان منا في هذه الأيام يسمع كثيراً عن قضية زراعة الأعضاء، وهي قضية مثارة لسنا بصدد الحديث عنها، وإنما بصدد النظر إليها من منظور إسلامي، إننا نرى أناساً يدفعون أموالاً طائلة من أجل زراعة كلية، أو من أجل زراعة كبد، أو من أجل أن يضع قرنيةً في عينيه.

ولكن المسلم في هذه الأيام في أشد الحاجة إلى زراعة قلب، ولكن ليس أي قلب، إننا نريد قلباً يخاف ويخشى الله ، نريد قلباً أسس على قول الله :**{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}** [النساء: ٦٥].

نريد قلباً يتصف صاحبُه بقول الله :**{رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ الله أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ والله يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}** [النور: ٣٧، ٣٨].

ولقائل يقول: لماذا نحن في حاجة ملحة إلى زراعة قلبٍ لكل مسلم؟ أقول: لأن جُلَّ القلوب التي في صدور المسلمين قد غزاها النفاق، وتمكن منها، فلا يكاد أن نرى قلباً خالياً من النفاق.

ولقد أشار الرسول إلى ذلك، فروى أحمد وأبو داود أن الرسول قال: لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ.

الحقيقة الثانية: إن النفاق من أخطر الأمراض التي يُبتلى بها الإنسان، لماذا؟ لأن أخطر الأمراض في عالم الطب هي الأمراض التي لا أعراض لها، فهناك أمراض لها آلام تُحتمل ليست خطيرة؛ لأنها تُكتشَف في وقت مبكر، ومن السهل وضع العلاج الملائم لها.

ولكن أخطر الأمراض هي التي لا يصاحبها ارتفاع حرارة، ولا آلام مبرحة، إنما هي أمراض تتسلل تسللاً بطيئاً، إلى أن تستفحل فجأة، وعندئذ يستحيل معها الدواء.

والنفاق من هذه الأمراض التي تتسلل تسللاً بطيئاً، وتستفحل فجأة، وربما أدى ذلك إلى صعوبة الدواء، إن لم يكن مستحيلاً.

فالإنسان قد يُمتلئ منه وهو لا يشعر، وهذا أخطر ما في النفاق أن المرء قد يُمتلئ منه وهو لا يدري.

بل الأعجب من هذا: أن كثيراً من المسلمين إذا حدثته عن النفاق والمنافقين، فإنهم يذكرون أول وهلة عبد الله بن أبي ابن سلول والمنافقين على عهد الرسول ، أو يلتفت بنظره إلى غيره من الناس، وإذا نظر إلى نفسه قال: إنني مؤمن خالص، وهذا هو الخطر بعينه، ولذلك قال الله : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١١ - ١٣].

وقال : {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ الله جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ الله أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ} [المجادلة: ١٨، ١٩].

لقد أودع الرسول سِراً لسيدنا حُذيفة بن اليمان وأعطاهُ أسماءَ سبعة عشرة مُنافقاً، أمرهُ إذا توفاهُ الله ألا يُصلّى عليهم، فيأتي عمرُ بن الخطاب عِملاقُ الإسلام، الخليفةُ الراشد، الذي كان فذّاً عبقريّاً، يسألُ حذيفة بنَ اليمان ويقول له: أُنشِدكَ الله هل ذكرَ النبي اسمي مع المنافقين؟

فعمر بن الخطاب يخاف من النفاق، ونحن لم يخطر على بالنا لحظة أننا قد نكون من المنافقين.

فالمؤمن كثير الاتهام لنفسه، دقيقٌ في حِسابهِ، عسيرٌ في محاسبةِ نفسه، يُراجع نفسهُ كثيراً، يتهمُ نفسَه كثيراً، يلومُها كثيراً، حتى إن الله أثنى على تلكَ النفس اللوامة، فقال :{لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ* وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [القيامة: ١، ٢].

أمّا هذا الذي يمدحُ نفسَه، ويظنُ بها خيراً، ويُحسِنُ الظنَ بها، وهي ليست كذلك، فهذا على شُعبةٍ من شُعبِ النِفاق.

فالواجب على كل فرد فينا أن يكون على حذر من هذا المرض الخطير، ولا يتركه يتسلل إلى نفسه، حتى لا يصعب عليه علاجه.

الحقيقة الثالثة: إن النفاق ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: النفاق الأكبر، وهو أن يُظهرَ الإنسانُ الإيمانَ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويُبطنَ ما يُناقض ذلك كله أو بعضه.

وهذا هو النفاق الذي كان موجوداً على عهد الرسول ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار، فقال :{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله والله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ والله يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ الله إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ

عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ} [المنافقون: ١ - ٦].

القسم الثاني: النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يُظهرَ الإنسانُ علانية ويُبطن ما يُخالف ذلك، وما أكثر هذا النوع في هذه الأيام، فكثير منا ما يُظهر أمام الناس خلاف ما يبطنه، ويظن أنه يخدع الناس، ولكنه في الحقيقة يخدع نفسه، قال :{يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: ٩].

أخوة الإسلام:

لقد بين لنا القرآن الكريم والسنة النبوية صفات المنافقين، فهناك صفات للمنافق تكون بينه وبين الله ، وصفات تكون بينه وبين الناس، فتعالوا معي لنتعرف على الصفات التي تكون بين المنافقين وبين الله .

أولاً: التظاهر بالإيمان بالله واليوم الآخر:

فنجد المنافقين يتظاهرون دائماً بأنهم يؤمنون بالله وباليوم الآخر، وذلك لاعتقادهم الفاسد بأنهم بهذا التظاهر يخدعون الله والناس، والله يعلم أنهم كاذبون في هذا الإيمان، اسمع معي إلى قول الله وهو يقول في شأن المنافقين:{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ* يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: ٨ - ١٠].

وهذه الصفة نجدها منتشرة بين كثير من المسلمين الآن، فنحن جميعاً نقول: إننا نؤمن بالله واليوم الآخر، ولكن ما علامة هذا الإيمان؟

إن علامة الإيمان بالله واليوم الآخر هي: أن يلتزم كل مسلم فينا بكل ما أمره الله ونهى عنه، فقال :{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ} [الحشر: ٧].

أما أن تقول: أنا مؤمن بالله وباليوم الآخر، وتفعل ما تريد، ولا تلتزم بأوامر الله ، فهذا كله من صفات المنافقين.

ثانياً: الاستهزاء بشرع الله :

فأي شخص يستهزأ بحكم من أحكام الشرع، أو بأي آية من آيات القرآن، أو بأي حديث من أحاديث الرسول ، فهو منافق معلوم النفاق، ولقد أشار المولى إلى ذلك، فقال:{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ الله يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ الله جَامِعُ المُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً} [النساء: ١٤٠].

وهذا النوع من النفاق منتشر بيننا بصورة واضحة، فنجد أناساً عندما يسمعون حكماً يقال لهم، تجدهم يستهزئون ويسخرون من شرع الله .

هذا النوع يجب علينا مقاطعته البتة، حتى لا نكون مشاركين معه في الإثم، قال :{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: ٦٨].

ثالثاً: عدم تحكيم شرع الله :

الأصل أن يحتكم المسلم إلى شرع الله في كل نواحي الحياة، انطلاقاً من قول الله :{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء: ٦٥].

أما لو رفض الإنسان أن يحتكم إلى شرع الله فهو منافق معلوم النفاق، ولقد أشار المولى إلى ذلك، فقال:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ الله وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بالله إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ الله مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً} [النساء: ٦٠ - ٦٣].

فشعار المسلم السمع والطاعة، وشعار المنافق السمع والمعصية، فقال :{وَيَقُولُونَ آمَنَّا بالله وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ الله عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ* إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ الله وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ} [النور: ٤٧ - ٥٢].

رابعاً: الكسل في آداء الصلاة:

إن المؤمن الحق عندما يسمع المؤذن ينهض في نشاطه؛ لإقامة الصلاة، أما المنافق فهو كسول في عبادته لله ، وبالتحديد الصلاة، فإنه لا يريد الصلاة، وإن قام إليها قام وهو كسول، وليرائي الناس بعمله، اسمع معي قول الله وهو يوضح هذا النوع من النفاق، فيقول:{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ الله إِلاَّ قَلِيلاً * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَى

هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ الله فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً} [النساء: ١٤٢، ١٤٣].

خامساً: الخوف من الناس وعدم الخوف من الله :

فالفرد الذي يخاف من الناس ولا يخاف من الله ، هو منافق معلوم النفاق، فقال :{وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ الله وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ القَوْلِ وَكَانَ الله بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً * هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ الله عَنْهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً} [النساء: ١٠٧ - ١٠٩].

سادساً: ظن السوء بالله :

فالواجب على المؤمن أن يحسن الظن بالله ، لما رواه مسلم أن الرسول قال: (لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بالله).

أما المنافق فهو دائماً يسيء الظن بالله ، اقرأ معي قول الله وهو يوضح هذه الصفة من صفات المنافقين، فيقول:{وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ وَالمُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بالله ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ الله عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً} [الفتح: ٦].

سابعاً: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

الواجب على كل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ لقول الله :{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤].

أما الإنسان الذي يأمر غيره بالمنكر وينهاه عن المعروف فهو منافق، فقال :{المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ إِنَّ المُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ} [التوبة: ٦٧].

ثامناً: التخلف عن صلاة الجماعة:

فنحن نعلم جميعاً فضل صلاة الجماعة، فروى مسلم أن الرسول قال:صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلاَتِهِ فِي سُوقِهِ بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاَةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلاَئِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ.

فالرجل الذي يتخلف عن صلاة الجماعة بدون عذر شرعي، فهو منافق؛ لما رواه مسلم أن ابن مسعود قال: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى الله غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ، حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ الله شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّى هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلاَّ كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ ".

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على صفات المنافق التي تكون بينه وبين البشر.

أولاً: الإفساد في الأرض:

فالإفساد في الأرض بأي وسيلة من وسائل الإفساد علامة من علامات النفاق، فالمسلم فينا إذا شارك في عمل يؤدي إلى الفساد، أو شجع غيره على الفساد، أو دل غيره على الشر، فهو منافق معلوم

النفاق، وما أكثر هذا النوع، اقرأ معي قول الله :{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ} [البقرة: ١١، ١٢].

ويقول :{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ والله لاَ يُحِبُّ الفَسَاد * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

ثانياً: استغلال المواقف استغلالاً دنيئاً للمصلحة الشخصية:

فالمنافق يستغل ظروف الناس لمصلحته الدنيئة، وذلك نسمع كثيراً أن فلاناً يستغل الظروف لمصلحته الشخصية، اسمع معي قول الله وهو يوضح هذه الصفة من صفات المنافقين، فيقول:{الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ الله قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ الله لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} [النساء: ١٤١].

ثالثاً: الفرح لمصائب الناس، والحزن لفرح الناس:

فالشخص الذي يفرح لمصائب الناس، ويحزن لفرح الناس، هو منافق معلوم النفاق، فالمنافق همه الوحيد هو رؤية الناس في مصائب، ولقد وضح لنا القرآن الكريم هذا الصنف من الناس، فقال :{هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ الله بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران: ١٩، ٢٠].

وللأسف الشديد نجد هذا النوع من النفاق منتشر بيننا بصورة لا

ترضي الله ولا ترضي الرسول ، فالمسلم الحقيقي هو الذي يفرح لفرح أخيه، ويحزن لحزن أخيه.

رابعاً: الكذب في الحديث:

على المؤمن أن يلتزم بالصدق، لما روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتبَ عند الله صديقاً.**

أما أن يكذب ويتحرى الكذب في كل أقواله ومعاملاته، فهذا منافق معلوم النفاق، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.**

خامساً: الخلف في الوعد:

فالمنافق دائماً عندما يعد الناس فهو يخلف في الوعد، أما من يعد الناس وفي نيته أن يفي بوعده، ثم يظهر له عذر شرعي يجعله عاجزاً عن الوفاء بالوعد، فهذا لا جناح عليه.

روى مسلم أن الرسول قال:**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ.**

سادساً: الفجر في الخصومة:

والمقصود بالفجور هنا أن يخرج الفرد عن الحق عمداً، حتى يصير الحق باطلاً، والباطل حقاً، ومن كان هذا شأنه فإنه لا يستر عورة، ولا يقيل عثرة، ولا يرجى خيره، ولا يؤمن شره.

روى البخاري أن الرسول قال:**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى الله الْأَلَدُّ الْخَصِمُ.**

أي: شديد العداوة، خبيث الطوية، وهذا الفجور هو الذي يسوق صاحبه إلى النار، ويقوده إلى سوء المصير، ويعد هذا النوع من أخبث خصال النفاق، نعوذ بالله منه.

ولقد حذرنا الرسول من هذا النوع من الخصام، فروى الحاكم أن الرسول قال:و من خاصم في باطل، وهو يعلمه، لم يزل في سخط الله ، حتى ينزع.

سابعاً: خيانة الأمانة:

الواجب على كل مسلم أن يحافظ على الأمانة إذا ائتمنه غيره عليها، وأن يردها إلى صاحبها إذا طلبها، كما قال المولى :{إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ الله نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ الله كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً} [النساء: ٥٨].

فمن استؤمن على أمانة أياً كانت هذه الأمانة وخانها، فهو منافق معلوم النفاق، روى مسلم أن الرسول قال:ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ.

أخوة الإسلام:

هناك عدة طرق للعلاج من النفاق، فتعالوا معي لنتعرف على طرق العلاج من النفاق.

أولاً: الاعتراف:

فلا بد وأن يعترف المنافق أولاً بالتقصير في حق الله ، ليس هذا الاعتراف بيني وبينك، وإنما بينك وبين الله ؛ كي يشفيك ويعافيك.

نعم إنها قضية خطيرة لنحكم على أنفسنا، أنحن مؤمنون حقاً؟ أم أننا تمدنا مادة إيمان ومادة نفاق؟ فنحن في حاجة إلى أن نتوقف مع أنفسنا وقفة جادة؛ لكي نستطيع أن نشخص هذا المرض.

فخطورة النفاق تكمن هنا في أمر التمييز، وليس في تمييز الناس، بأن نحكم أن فلانا جاهل، أو أن فلاناً منافقاً، أو فلاناً فاسقاً، أو فلاناً كافراً، من أنت؟ هذا هو لب القضية، ليست قضيتنا أن نحكم على الناس، بل نحكم على أنفسنا، فالحكم على النفس هو أول طريق للعلاج.

ثانياً: التوبة:

فلا بد للمنافق بعد أن يعترف بهذا المرض الخطير أن يتوب إلى الله ، ولا بد في التوبة أن يتوافر فيها الشروط اللازمة لها، من الندم على ما فات، والعزم على عدم العود للذنب مرة ثانية، والإقلاع عن الذنب، ورد المظالم إلى أهلها.

ثالثاً: الاعتصام بالله والإخلاص له:

وهذا ما أعلن عنه المولى فقال:{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِالله وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لله فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ الله الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً} [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

وأخيراً: ما العقوبات التي أعدها الله للمنافق؟

أولاً: غضب الله ولعنه:

قال :{وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِالله ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ الله عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً} [الفتح: ٦].

ثانياً: المشي في الظلام يوم القيامة:

قال :{يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ الله

وَغَرَّكُم بالله الغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ المَصِيرُ} [الحديد: ١٣ - ١٥].

ثالثاً: الدرك الأسفل من النار:

قال: {إِنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً} [النساء: ١٤٥].

رابعاً: الخلود في النار:

قال: {وَعَدَ الله المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ الله وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} [التوبة: ٦٨].

* * *

السبب السادس عشر: النميمــة

النميمــة

أسبــاب عـذاب القبــر

النميمــة

الحمـد لله رب العـالمين: الـذي شـمل إحـسانه كـل حـي، فكيـف إنعامه؟ إنعامه ملء الوجود وزاد، فكيف رحمته؟ رحمته وسعت كل شـيء، فكيـف جنتـه؟ جنتـه عرضـها الـسماوات والأرض، فكيـف عرشـه؟ عرشـه فـوق الـسبع الطبـاق، فكيف وجـه؟ وجـه ذو الجـلال والإكرام، فكيف هو؟ قال تعالى:{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السماوات وَالأَرْضِ وَمَـا بَيْـنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزخرف: ٨٤، ٨٥].

سبحانه: يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون، وإليه يرجع الأمر كلـه، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: حذرنا من أذية المسلمين، ورتـب العقـاب الـشديد علـى ذلـك، فقـال :{وَالَّـذِينَ يُـؤْذُونَ المُـؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً} [الأحزاب: ٥٨].

وأشهد أن سيدنا محمداً حذرنا من نقل الكلام، فروى الترمذي أن الرسول قال: **لا يبلغني أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شـيئا، فـإني أحـب أن أخرجَ إليكم وأنا سـليمُ الـصدر** فاللهم صل وسلم وبـارك علـى سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب عذاب القبر، ألا وهو: **النميمــة**، فـأعيروني القلـوب والأسـماع والأبـصار، والله أسـأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنـه ولـي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن تتناول موضوعنا اليوم يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: إن اللسان من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وهو نعمة تستحق أن نشكر الله عليها، ولقد أشار المولى إلى هذه النعمة، فقال: {أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ} [البلد: ٨، ٩].

فالله خلق اللسان ليذكره به الإنسان، ويستخدمه في طاعته، ويتبادل به الرأي مع بني جنسه، ويعبر به الإنسان عما يدور في فؤاده.

فاللسان هو المترجم لما حواه الجنان، يُزْرَعُ بقوله الحسناتُ والسيئاتُ، وهو أطيب عضو مع القلب إذا طابا، وأفسد عضو مع القلب إذا فسدا.

جاء في **البداية والنهاية لابن كثير**: " أنه قيل للقمان الحكيم: اذبح شاة، وأحضر أطيب ما فيها، فذبحها، وأحضر القلب واللسان، ومرت أيام وقيل له: اذبح شاة، وأحضر أخبث ما فيها، فذبحها، وأحضر القلب واللسان.

فقيل له: طلبنا منك أطيب عضوين فأحضرت القلب واللسان، وطلبنا منك أخبث عضوين، فجئت بالقلب واللسان، فقال: هما أطيب ما في البدن إذا طابا، وأخبث ما فيه إذا خبثا.

فالواجب على كل إنسان أن يستخدم لسانه فيما أحل الله ، وأن ينزه لسانه عما حرم الله ، ولا يعرض نفسه لغضب المنتقم الجبار؛ لما رواه البخاري ومسلم أن الرسول قال: **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت.**

الحقيقة الثانية: إن استقامة الأعضاء متوقفة على استقامة اللسان،

وإن اعوجاج الأعضاء متوقفٌ على اعوجاج اللسان، ولذلك نجد أعضاء جسد الإنسان تنصح اللسان كل يوم، وتأمره بالالتزام.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى الترمذي وابن خزيمة وصحح الحديث الشيخ الألباني أن الرسول قال:**إذا أصبح ابنُ آدم: فإن الأعضاء تذكرُ اللسان، وتقول له: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا.**

وروى أحمد أن الرسول قال:**لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُه، ولا يدخل الجنة رجلٌ لا يأمن جارُه بوائقه.**

ولقد بين لنا الرسول أن النجاة في المحافظة على اللسان، فروى الترمذي أن عقبة بن عامر قال للرسول : ما النجاة؟ فقال الرسول :**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك.**

بل إن الرسول بين لنا أن إسلام الفرد لا يكمل ولا يصح إلا إذا حافظ الإنسان على لسانه، وسلم المسلمون من لسانه، فروى البخاري أن الرسول قال:**المسلم من سلم المسلم من لسانه ويده.**

وكل ذلك لخطر الكلمة التي تخرج من اللسان، فبكلمة واحدة يدخل الفرد دين الله ، وبكلمة واحدة يخرج الفرد من دين الله ، وبكلمة واحدة ينال الفرد رضا الله ، وبكلمة واحدة ينال الفرد سخط الله ، وبكلمة واحدة تحل امرأة، وبكلمة واحدة تحرم المرأة، وبكلمة واحدة يسعد حزين، أو يحزن سعيد، وبكلمة واحدة ترمى امرأة شريفة عفيفة، بكلمة واحدة يمزق الشمل، ويتفرق الأحبة، فكل كلمة تخرج من الإنسان هو مؤاخذ بها، قال :{مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨].

وروى الترمذي أن معاذ بن جبل قال للرسول : يا نبي الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم؟ فقال الرسول :**ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يَكبُّ**

الناسَ في النار على وجوهم، إلا حصائدُ ألسنتهم وفي رواية: على مناخرهم.

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في النار سبعين خريفاً.

الحقيقة الثالثة: ما النميمة؟ النميمة هي: نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد بينهم.

فالنمام يعمل جاسوسا لحساب الشيطان، وهي صورة من صور الغيبة، فإذا كان الشيطان يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بين المسلمين، مصداقا لقول الله : {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ الله وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ} [المائدة: ٩١].

وروى البخاري أن الرسول قال: إن الشيطان يئس أن يعبد في أرضكم، ولكن رضي بالتحريش بينكم.

فالنمام جند من جنود إبليس اللعين الذي يستخدمه في إيقاع العداوة بين المسلمين، فالنمام هو سهم إبليس الصائب في هذا المضمار.

فكم من دماء سفكت بسبب وشاية كاذبة، وكم من بيوت انهارت، وأرحام قطعت، بسبب كلمة فاجرة غادرة آثمة.

جاء في إحياء علوم الدين للغزالي: قال حماد بن سلمة: باع رجل عبداً، وقال للمشتري: ما فيه عيب إلا النميمة، قال: رضيت، فاشتراه، فمكث الغلام أياما، ثم قال لزوجة مولاه: إن سيدي لا يحبك، وهو يريد أن يتسرى عليك، فخذي الموس واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات، حتى أسحره عليها فيحبك، ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلاً، وتريد أن تقتلك، فتناوم لها حتى تعرف ذلك،

فتناوم لها، فجاءت المرأةُ بالموس فظن أنها تريد أن تقتله، فقام إليها فقتلها، فجاء أهلُ المرأة فقتلوا الزوجَ، ووقع القتالُ بين القبيلتين، كل هذا بسبب النميمة.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من النميمة والنمام.

لقد حذرنا الشرع الحنيف من النميمة، وأخذ موقفاً عدائياً من النميمة وأهلها، وشدد في النهي عن هذا الخلق الذميم، الذي يفسد القلوب كما يفسد الخل العسل.

فإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أن الله قد شبه النمام بتشبيهات قبيحة، إن دلت على شيء فإنما تدل على خطورة هذا الخلق الذميم، فقال: {فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} [القلم: ٨ - ١٣] ففي هذه الآيات نجد أن القرآن الكريم قد وصف النمام بتسع صفات كلها ذميمة:

الأولى: أنّه حلاّف كثير الحلف، ولا يكثر الحلف إلاّ إنسان غير صادق، يدرك أن النّاس يكذبونه ولا يثقون به، فيحلف ليداري كذبه، ويستجلب ثقة النّاس.

الثانية: أنّه مهين، أي أنه لا يحترم نفسه، ولا يحترم النّاسُ قولَهَ، وآية مهانته حاجته إلى الحلف، والمهانة صفة نفسية تلصق بالمرء، ولو كان سلطاناً ذا مال وجاه.

الثالثة: أنّه همَّاز يهمز النّاس، ويعيبهم بالقول والإشارة، في حضورهم أو في غيبتهم، على حدٍ سواء.

الرابعة أنّه مشاء بنميم، يمشي بين النّاس بما يفسد قلوبهم، ويقطع

صلاتهم، ويذهب بمودتهم، وهو خلق ذميم لا يقدم عليه إلاّ من فسد طبعه، وهانت نفسه.

الخامسة: أنّه منّاعٍ للخير، يمنع الخيرَ عن نفسه وعن غيره.

السادسة: أنّه معتدٍ متجاوز للحق والعدل إطلاقا.

السابعة: أنّه أثيم، يتناول المحرمات، ويرتكب المعاصي، حتى انطبق عليه الوصفُ الثابت والملازم له أثيم.

الثامنة: أنّه عتل، وهي صفة تجمع خصال القسوة والفظاظة، فهو ذا شخصية كريهة غير مقبولة.

التاسعة: أنّه زنيم، وهذه خاتمة صفاته، قال عبد الله بن المبارك: " هو ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث "

وفي موضع آخر في سورة التحريم نجد المولى وصف النميمة بالخيانة، فقال: {ضَرَبَ الله مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ الله شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} [التحريم: ١٠].

قال العلماء: الخيانة هنا ليست في العرض، ولكن الخيانة هنا النميمة، فكانتا تنمان على النبيين بنقل أخبارهما إلى الكفار، فكان إذا أوحى الله إليهما أفشتاه إلى المشركين.

وفي موضع آخر يصف الله النمام بالذي يحمل الحطب ليبيعه للناس ليشعلوا به النار، فقال: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} [المسد: ١ - ٥].

قال بعض العلماء: إن امرأة أبي لهب كانت معروفة بنقل الكلام وكانت معروفة بالنميمة، فقد وصفها الله بأنها حمالة الحطب، فالذي يحمل الحطب مراده أن يبيعه للناس ليستخدموه في النار، فكذلك

الذي ينقل الكلام بين الناس، فهو يريد بذلك أن يشعل النار بين المسلمين.

و النمام بنمه يؤذي المسلمين، وقد رتب الله على ذلك العقوبة الشديدة، فقال :{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً} [الأحزاب: ٥٨].

ويجب أن يعلم الجميع أن النميمة من باب التعاون على الإثم والعدوان، وقد نهى الله عن التعاون عليه، فقال :{وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ} [المائدة: ٢].

ولقد بين المولى أن النمام ظالم؛ لأنه ممن يسعون في قطع ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض، فقال :{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى: ٤١].

وعلى نفس النهج جاءت السنة النبوية لتصف النميمة والنمام بأقبح الصفات، فروى الطبراني في معجميه الأوسط والصغير أن الرسول قال:**أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الإخوان، الملتمسون للبرآء العثرات.**

وفي حديث آخر وصف الرسول النمام بأنه من شرار الخلق، فروى أحمد أن الرسول قال:**ألا أخبركم بشراركم؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال :**المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العيب.**

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:**إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، من تركه الناسُ اتقاءَ شره والنمام منهم.**

فالواجب على كل مسلم يريد النجاة من عقاب الله أن ينزه لسانه

عن هذه الجناية الخطيرة، التي من شأنها أن تفرق بين الأحبة، وتهدم كيان الأسرة.

قال ابن كثير: " إن النمام يفسد في ساعة ما لا يفسده الساحر في سنة، وإن النم من السحر؛ لأنهما مشتركان في التفريق بين الناس، وتغيير قلوب المتحابين فيما بينهم ".

ولقائل يقول: ما الدوافع على النميمة؟ أقول: الدوافع عن النميمة كثيرة منها: سواد قلب النمام، وقلة إيمانه، وإن النمام يريد أن يتقرب ويتودد إلى من نمَّ إليه، أي من نقل الكلامَ له.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله للنمام، هناك عقوبات للنمام في الدنيا، وعقوبات في الآخرة.

أولاً: العقوبات الدنيوية:

١ - الفضيحة في الدنيا: روى أبو داود والترمذي عن ابن عمر أنه قال: صعد رسول الله المنبر فنادى بصوت رفيع فقال:يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله.

٢ - براءة الرسول من النمام: روى الطبراني أن الرسول قال:ليس مني ذو حسد، ولا نميمة، ولا كهانة، ولا أنا منه ثم تلا الرسول قول الله :{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً} [الأحزاب: ٥٨].

ثانياً: العقوبات الأخروية:

١ - العذاب في القبر: روى البخاري ومسلم أن الرسول مر بقبرين يعذبان، فقال:إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير، أما

أحدهما: فكان يمشي بالنميمة بين الناس، وأما الآخر: فكـان لا يـستتر مـن بوله.

٢ – الحـشر في صـورة الكـلاب: روى ابـن حبـان أن الرسـول قال:الهمازون، واللـمازون، والمشاؤون بالنميمـة، البـاغون للـبرآء العيـب، يحشرهم الله في وجوه الكلاب.

٣ – عـدم دخـول الـنمام الجنـة: روى البخـاري ومسلم أن الرسول قال:لا يدخل الجنةَ نمامٌ.

٤ – الويـل في نـار جهـنم: قـال :{وَيْـلٌ لِّكُـلِّ هُمَـزَةٍ لُّمَـزَة * الَّـذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَـلاَّ لَيُنْبَـذَنَّ فِي الْحُطَمَـةِ * وَمَـا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ الله الْمُوقَدَةُ* الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِـدَةِ * إِنَّهَـا عَلَـيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} [الهمزة: ١ - ٩] .

قال ابن عباس : " هم المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العيب ".

٥ – دخول النمامُ النار وأذيته أهل النار كما كان يؤذي أهل الدنيا: روى الطبراني في معجمه الكبير وابن أبي الدنيا أن الرسول قـال:أربعـة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسعون مـا بـين الحمـيم والجحـيم، يدعون بالويل والثبور، فيقول بعض أهل النار لبعض: ما بـال هـؤلاء قـد آذونا على ما بنا من الأذى؟ قال الرسول : فرجل مغلق عليـه تـابوت مـن جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكـل لحمـه، فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعـد قـد آذانـا عـلى مـا بنـا مـن الأذى؟ فيقول: إن الأبعد قد مات وفي عنقه أموال الناس، ثم يقال للذي يسيل فـوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا مـن الأذى؟ فيقـول: إن الأبعـد كان ينظر إلى كلمة فيستلذها كما يستلذ الرفث، ثم يقال للذي يأكل لحمـه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقـول: إن الأبعـد كـان يأكـل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة، ثم يقال للـذي يجـر أمعـاءه: مـا بـال

الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه.

فالشاهد أن النمام يأكل لحمه في نار جهنم، والعياذ بالله.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف كيف نتعامل مع أهل النميمة:

قال الإمام الغزالي في الإحياء: كل من حملت إليه النميمة، وقيل له: إن فلانا قال: كذا وكذا، أو فعل في حقك كذا، أو هو يدبر في إفساد أمرك، أو تقبيح حالك، فعليه عدة أمور:

الأمر الأول: ألا يصدقه؛ لأن النمام فاسق، وهو مردود الشهادة، وذلك كما قال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦].

الأمر الثاني: أن ينهاه عن ذلك ويقبح فعله، وينصحه بعدم العودة؛ لقول الله :{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} [لقمان: ١٧].

الأمر الثالث: أن يبغضه في الله ، فإنه بغيض عند الله ، ويجب بغض من يبغضه الله .

الأمر الرابع: ألا تظن بأخيك الغائب السوء، لقول الله :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات: ١٢].

الأمر الخامس: أن لا يحملك ما حكي إليك على التجسس والبحث؛ لتتحقق مما قاله النمام، قال :{وَلاَ تَجَسَّسُوا} [الحجرات: ١٢].

الأمر السادس: ألا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه، ولا تحك نميمته فتقول: فلان قد حكي لي كذا وكذا، فتكون بهذا العمل نماماً ومغتاباً، وقد تكون قد أتيت ما نهيت عنه.

فقد روى كعب الأحبار: أن بني إسرائيل أصابهم قحط، فاستسقى

موسى مرات، فما سُقوا، فأوحى الله إليه:إني لا أستجيب لك ولمن معك، وفيكم نمام قد أصر على النميمة فقال موسى : " يا رب من هو؟ دلني عليه حتى أخرجه من بيننا " قال الله :أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً فتابوا جميعاً، فسقوا.

وقد روي أن عمر بن عبد العزيز قد دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً، فقال له: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦] وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية:{هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم: ١١] وإن شئت عفونا عنك، فقال الرجل: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبداً.

فمثل ذلك الرجل الذي قابله عمر بن عبد العزيز بمثل هذا التأنيب لن يعود إليه أبداً بنميمة ما دام حياً، فلو سلك الناس هذا الطريق مع الناس لقضوا على هذا الداء قضاء مبرماً.

ويروى أن أحد من الحكماء زاره بعض إخوانه، فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه، وكان خبراً سيئاً، فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة، وأتيت بثلاث جنيات: بغّضت أخي إلي، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمينة.

إخوة الإسلام:

وإن من أشر أنواع النميمة: ذو الوجهين الذي يتردد بين المتخاصمين ويكلم كل واحد منهما كلاماً يوافق هواه، ويدلل أنه معهم وأنه ضد خصمهم، ثم يخرج من عندهم فينقل ما قد قالوه في الآخرين إلى الآخرين، وهذه أقبح صور النميمة؛ لأن صورة صاحبها هي نفس صورة النفاق، فهو متصف بالكذب والنفاق، ولقد حذر الرسول من ذلك وبين أن ذا الوجهين هو شر الناس.

فروى البخاري أن الرسول قال: **تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث** فذو الوجهين لا يريد الإصلاح بين الناس، بل يريد الوقيعة والوشاية بين الناس.

أتدرون إخوة الإسلام ما جزاء صاحب الوجهين يوم القيامة، روى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **من كان له وجهان في الدنيا، كان له لسانان من نار يوم القيامة.**

وقال أبو هريرة: لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله.

فانظر أخي المسلم إلى حال ذي الوجهين كيف يأتي يوم القيامة وله لسانان من نار، فينبغي على كل مسلم يخاف الله أن يمسك لسانه، وعليه بالصمت إلا في الخير، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت.**

ولله در من قال:

لسانك لا تذكر به عيب امرئ ::: فكلك عيوب وللناس ألسن
وعينك إن أبدت لك مساوئاً ::: فصنها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ::: وفارق ولكن بالتي هي أحسن

شهادة الزور

أسباب عذاب القبر

شهادة الزور

الحمد لله رب العالمين: المتوحد بإبداع المصنوعات، المتفرد باختراع المخلوقات، المخصوص بقدم الأسماء والصفات، المنزه عن التحيز والسكون والحركات، القريب لمن دعاه لا بقرب المسافات، المجيب لمن ناجاه بإخلاص الدعوات.

سبحانه: جعل شهادة الحق من صفات المؤمنين، فقال : {وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ} [المعارج: ٣٣].

فلا يخافون في الله لومة لائم، فلا يخافون مما يخاف منه عامة الناس، فإذا كان عامة الناس يخافون على أرزاقهم أن تُنقص، فهم لا يخافون من ذلك؛ لأنهم يعلمون أن الرزقَ كله بيد الله ، فقال : {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ* فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ} [الذاريات: ٢٢، ٢٣].

وإذا كان بعض الناس يخافون على أعمارهم أن تُقطعَ، فهم يعلمون أن الأعمارَ محدودةٌ، ولا يستطيع أحدٌ أن يُؤخرَ الأجلَ، أو يُقدمَه، فقال :{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: ٣٤].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: جعل عدم شهادة الزور من صفات عباد الرحمن، فقال :{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً.... وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً} [الفرقان: ٦٣ - ٧٢].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : جعل شهادةَ الزور علامةً من علامات الساعة، فروى أحمد أن الرسول قال:إن بين يدي الساعة شهادةَ الزور، وكتمانَ الحق فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب عظيم من أسباب عذاب القبر، هذا السبب الذي معنا اليوم يتساوى في الإثم والجرم مع الشرك بالله .

هذا السبب الذي معنا اليوم يترتب عليه ضياع الحقوق، مع سبب انتشر بيننا الآن في محاكمنا ومجالسنا وأسواقنا، بصورة لا ترضي الله ، ولا ترضي الرسول .

مع سبب يتصف صاحبه بالكذب والغش والتدليس والنفاق والخيانة، مع سبب يورث نارَ الحقد بين الناس، أتدرون ما هو؟ إنه: **شهادة الزور**.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، فإن الموضوع جد خطير، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله: بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا:

الحقيقة الأولى: إن الله أمرنا أن نقيم الشهادة له وحده، فلا نقيمها لقريب من أجل قرابته، ولا لصديق من أجل صداقته، ولا لغني من أجل غناه، ولا لفقير من أجل فقره، ولا نقيمها على بعيد من أجل بعده، ولا على عدو من أجل عداوته.

فالواجب على كل مسلم أن يجردَ نفسَه من الهوى، ويقيمَ الشهادةَ لله ، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :{وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لله ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً} [الطلاق: ٢، ٣].

واسمع معي أخي المسلم إلى هذا النداء الرباني، والذي يأمر فيه المولى عباده المؤمنين بضرورة تحري العدل في الشهادة، فقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِياً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} [النساء: ١٣٥] فيا لها من روعة للإسلام، ويا لها من عظمة لهذا الدين القويم.

ولقائل يقول: لماذا أمرنا الله بتجريد النفس من الهوى، وإقامة الشهادة له وحده، وتحري الصدق فيها؟

أقول: لأن ذلك يترك أثراً طيباً بين الأفراد، وثمرةً محمودة بين البشر، فبالإخلاص في الشهادة، وتحري الصدق فيها، يطمئنُ كلُ فرد فينا أن يصل إلى حقه.

بفضل الصدق في الشهادة تسلم الحقوقُ من الضياع، ويسلمُ المجتمعُ من المفاسد والشرور، زيادة على ذلك: الإخلاص في الشهادة عنوان الرجولة الكاملة، والإنسانية الناضجة، ودليل قوي على قوة الإيمان.

بل الأعجب من هذا كله: أن الله أمرنا بالعدل في الشهادة على العدو، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨].

الحقيقة الثانية: إن الشهادة أمرٌ عظيمٌ، وخطرها جسيم في تحملها وأدائها، فلا يحل لأحد أن يشهدَ على أي شيء إلا أن يكون عالماً به علماً يقيناً، وأنه مطابق للواقع تماماً.

فلا يحل لأي شخص مهما كان أن يشهدَ بما لا يعلم، أو أن يشهدَ بما غلب على ظنه، حتى يعلمه علم اليقين، فالشهادة تقتضي الرؤية والسماع؛ لأن الشهادة مشتقة من المشاهدة، وهي المعاينة بالعين

المجردة، فلا تجوز الشهادة إلا بما علم به الإنسان ورآه.

ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال:{وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: ٨٦].

وقال :{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} [الإسراء: ٣٦].

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة أيضاً، فروى البيهقي والحاكم أن رجلاً سأل الرسول عن الشهادة، فقال :ترى الشمس؟ قال السائل: نعم، قال :على مثلها فاشهد، أو دَعْ.

وللأسف الشديد نجد كثيراً من الناس من يتهاون بأمر الشهادة، فيشهد بالظن المجرد، أو بما لا يعلم، يتجرأ على هذا المنكر العظيم، مراعاة لقريب، أو تودد لصديق، أو محاباة لغني، أو عطفاً على فقير، ويدعي أنه يريد الإصلاح.

هذا الصنف من الناس زين له الشيطان عمله (شهادة الزور) وتحقق فيه قول الله :{أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [فاطر: ٨].

هذا الصنف من الناس ألم يسمع لكلام المولى :{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ* مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٦ - ١٨].

فشهادة الزور ليست بحسنة، وإن زينها لنا الشيطان في قلوبنا، فالشيطان قد زين لنا أموراً كثيرة....

الحقيقة الثالثة: يظن كثير من الناس أن شهادة الزور هي: أن يذهب شخص إلى المحكمة فيشهد شهادة على خصم صاحبه أو جاره

وفقط، فهذه صورة ضيقة في فهم شهادة الزور، فكل ما كان مخالفاً للواقع فهو شهادة زور.

فمن شهادة الزور: أن يقوم الشخص بالتوقيع لزميل له في العمل بالحضور وهو غائب.

ومن شهادة الزور: ما يقع كثيراً من النساء المتزوجات اللاتي يوجد بينهن وأزواجهن خصومة، فتلجأ الزوجة إلى القضاء، فتقوم برفع دعوى نفقة، وتدعي بأن دخله كذا وكذا، على خلاف الحقيقة، ثم يقوم المحامي برفع الدعوى أمام القضاء، فهو شاهد للزور.

ومن شهادة الزور: عندما تقع خصومة بين اثنين فيذهب أحدهما إلى المستشفى ليستخرج شهادة طبية غير سليمة، بأن خصمه قد ضربه أو ضرب زوجته، فالطبيب الذي يستخرج له الشهادة يكون شاهد زور.

ومن شهادة الزور: أن يقوم شخص بالتوقيع على أي عقد من شأنه يضيع الحقوق، فعلى سبيل المثال: (عدم العدل في العطية للأولاد).

ومن شهادة الزور: من يشهد للموظف المهمل لوظيفته بمبررات لإهماله لا حقيقة لها، فيشهد له بالمرض، وهو غير مريض، أو يشهد له بشغل قاهر، وهو غير مشغول.

ومن شهادة الزور: من يشهد لشخص بأنه قام بالوظيفة منذ وقت كذا وكذا، وهو لم يقم بها، ولم يباشرها.

وعلى سبيل الإجمال يمكن القول: أن كل عمل، أو أي قول من شأنه يضيع الحقوق، ويقلب الحق إلى باطل، أو يبدل الباطل إلى حق، فهو شهادة زور.

الحقيقة الرابعة: إن كتمان الشهادة يتساوى في الإثم والجرم مع شاهدة الزور، ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى الطبراني

أن الرسول قال:**من كتم شهادة إذا دعي إليها، كان كمن شهد الزور.**

فبعض الناس لا يكذب في الشهادة، لكنه يكتمها، وربما كان في كتمانه إضاعة للحقوق، وربما كان في كتمانه انتصاراً للباطل، وربما كان في كتمانه للشهادة ضياعاً للدين والدنيا معاً، ومن هنا حذر المولى من كتمان الشهادة، فقال :{وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ والله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٨٣].

بل حكم المولى على كاتم الشهادة بأنه ارتكب أقبح أنواع الظلم، فقال :{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ الله وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: ١٤٠].

فهذا يدل على أن كتمان الشهادة من الكبائر، فكم من حقوق ضُيعت، وكم من حرمات انتُهكِت، وكم من أعراض أُهينت، وكم من دماء سُفِكَت، وكم من أرواح أُزهقت، من أجل أناس كتموا الشهادة.

فإياك أخي المسلم أن تكون ممن يكتمون الشهادة، حتى لا تعرض نفسك لغضب الله وغضب الرسول .

الحقيقة الرابعة: ما شهادة الزور؟ شهادة الزور هي: القول بالكذب؛ ليتوصل به إلى باطل من إتلاف نفس، أو أخذ مال، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من شهادة الزور.

لقد نظر الشرع الحنيف إلى شهادة الزور نظرة عدائية، وحذرنا منها جميعاً، ورتب العقاب الشديد عليها.

أولاً: شهادة الزور تساوي الشرك بالله : فالقرآن الكريم جعل شهادة

الزور تساوي الشرك بالله ، فقال :{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج: ٣٠] ففي هذه الآية قرن الله شهادة الزور بعبادة الأوثان، وذلك دلالة على خطورة شهادة الزور.

وكذلك سوى الرسول بين شهادة الزور والشرك بالله ، فروى أحمد والترمذي أن الرسول قال:**أيها الناس: عَدَلَت شهادةُ الزور إشراكاً بالله .**

ثم قرأ الرسول قول الله :{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج: ٣٠] ولقائل يقول: لماذا عدلت شهادة الزور الشرك بالله؟

أقول: لأن شهادة الزور يترتب عليها ضياع الحقوق، وتأريث نار الخصومات بين الناس، ويترتب عليها أيضاً: أن يأكل القوي الضعيف، ويشتري بعضُ الناس الضمائر بأموالهم، حتى يشهدوا بالباطل، فلهذا تساوت مع الشرك بالله .

ثانياً: شهادة الزور من الكبائر: فالرسول جعل شهادة الزور من الكبائر، فروى البخاري عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله عن الكبائر، فقال :**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور.**

ثالثاً: شهادة الزور من أكبر الكبائر: روى البخاري ومسلم عن أبي بكر قال: كنا عند رسول الله فقال:**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** قلنا: بلى يا رسول الله، قال :**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين** وكان متكئاً فجلس، ثم قال:**ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور** فما زال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت.

ففي هذا الحديث تحدث الرسول عن الشرك بالله وعقوق الوالدين وهو متكأ لم يجلس؛ لأن الداعي إلى الشرك والعقوق ضعيف في النفوس؛ لأنه مخالف للفطرة والمروءة، لكنه جلس

حينما تحدث عن شهادة الزور؛ لأن الداعي إلى شهادة الزور قوي وكثير، فالقرابة والصداقة والغنى والفقر وحظ النفس والهوى، كلها أمور قد تحمل ضعيف العقل والدين على أن يشهد بالزور.

ولكن المؤمن العاقل حينما يعلم أن الله والرسول يحذران من شهادة الزور هذا التحذير البليغ، لا يمكنه أن يقدم عليها، مهما كانت الأسباب والدواعي.

رابعاً: شهادة الزور علامة من علامات النفاق: لأنها مبنية على الكذب، روى البخاري ومسلم أن الرسول قال:أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.

وروى مسلم أن الرسول قال:آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: من إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ.

ومما يدل على قبح شهادة الزور: أن الرسول نأى بنفسه أن يشهد على غير الحق، فروى البخاري أن النعمان بن بشير قال: نحلني أبي نحلة، فقالت أمي: (عمرة بنت رواحة) لا أرضى حتى تُشهد على ذلك رسولَ الله، قال النعمان: فانطلق أبي إلى الرسول، فقال يا رسول الله: إني قد نحلت ابني النعمان نحلة، ولم ترض أمه حتى أشهدك.

فقال الرسول :**أكل أولادك أعطيتهم مثل ما أعطيت ولدك النعمان؟** فقال له: لا، فقال الرسول :**اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم، ألا لا أشهد على جور** وفي رواية:**أشهد عليها غيري** ففي هذه الواقعة دلالة على أن تبديل الحق، لا ينبغي ولا يجوز للمسلم أن يشهد عليه.

أخوة الإسلام:

إن شهادة الزور يترتب عليها أضرارٌ كثيرة، فتعالوا معي لنتعرف على هذه الأضرار.

أولاً: ضياع الحقوق:

فشاهد الزور يقتطع مال أخيه لغيره، بيمين كاذبة فاجرة، يضلل بها الحاكم، وهذه جناية عليها وعيد شديد، روى الطبراني أن الرسول قال:من اقتطع مال أخيه بيمين فاجرة، فليتبوأ مقعدَه من النار، ليبلغْ شاهدُكم غائبَكم... مرتين أو ثلاثاً.

وروى البخاري أن أعرابياً جاء إلى الرسول ، فقال: يا رسول الله: ما الكبائر؟ قال :الإشراك بالله قال الأعرابي: ثم ماذا؟ قال الرسول :اليمين الغموس قال الأعرابي: وما اليمين الغموس؟ قال :الذي يقتطع مال امرئ مسلم يعني بيمين هو فيها كاذب.

ويشدد الرسول في هذا الشأن، فروى مسلم أن الرسول قال:من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب له النار، وحرم عليه الجنة قالوا: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال الرسول :وإن كان قضيباً من أراك.

ثانياً: الكذب والتدليس:

فشاهد الزور يتصف بالكذب والتدليس، ويترتب على ذلك الذل في الدنيا، والخزي والندامة يوم القيامة، فقال :{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ الله وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: ٧٧].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:... وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار.... .

ثالثاً: إعانة الظالم على ظلمه:

وهذا يعرض شاهد الزور لسخط المنتقم الجبار، قال :{وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ الله مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ} [هود: ١١٣].

وروى الطبراني في معجمه الكبير أن الرسول قال:من مشي مع

ظالم ليعينَه على ظلمه، فقد خرج من الإسلام.

رابعاً: طمس معالم الحق:

وهذا ذنب كبير، فشاهد الزور يقف ضد الله ، ويحارب عدالته في الأرض، ولقد نهانا المولى عن ذلك، فقال :{وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٤٢].

خامساً: أكل الحرام:

فشاهد الزور غالباً يبيع شهادته ويمينه بثمن بخس، والله يقول:{وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٨٨].

قال ابن عباس : يعني باليمين الباطلة الكاذبة، يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل.

ونحن نعلم خطورة أكل الحرام، فروى ابن ماجه أن الرسول قال:يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبال تهامة، حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباء منثوراً، ثم يقذف بهم في النار فقيل: يا رسول الله كيف ذلك؟ قال :كانوا يصلون ويزكون ويحجون، غير أنهم كانوا إذا عُرِض لهم شيءٌ من الحرام، أخذوه، فأحبط الله أعمالهم.

أخي المسلم: إياك أن تقول: لو لم أشهد لأبي، أولو لم أشهد لعمي، أو لأخي، أو لصهري، أو لزوجتي، أولو لم أشهد لكذا أو لكذا، لغضبوا عليَّ، وصار ذلك سبباً للقطيعة.

أقول لك: ليغضب عليك الجميع في مرضاة الله ، بل ليغضب عليك أهل الدنيا كلها في مرضاة الله .

فإذا أرضى المسلم الله بسخط الناس، فإن الله يكفيه مؤنة الناس، ويُرضي الناسَ عنه، ولو أنك أغضبت الله برضا الناس، لغضب الله عليك، وأغضب عليك الناس، فاتق الله يا شاهد الزور، وتب إلى الله

قبل أن يموت.

فيا شاهد الزور: إلى متى ستظل مقيماً على الخطايا والعصيان؟ يا شاهد الزور: إلى متى ستظل مصراً على جرمك اللعين؟ يا شاهد الزور: إلى متى تحارب المولى في أرضه؟ يا شاهد الزور: إلى متى تأكل الحرام؟

يا شاهد الزور: أما تعلم أن الله أمرنا جميعاً أن تقول كلمة الحق ولو على أنفسنا، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨].

يا شاهد الزور:

مثِّل وقوفك يوم العرض عُرياناً ::: مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ::: على العصاة وربُّ العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدُ على مَهلٍ ::: فهل ترى فيه حرفاً غيرَ ما كانا
فلما قرأت ولم تنكر قراءته أقررت ::: إقرار من عرَف الأشياء عرفانا
نادى الجليلُ خذوه يا ملائكتي ::: وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المشركون غداً في النار يلتهبوا ::: والمؤمنون بدار الخلد سكانا

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله لشاهد الزور، وهي نفس العقوبات التي أعدها الله للكذاب؛ لأن شهادة الزور نوع من أنواع الكذب.

أولاً: العقوبات الدنيوية:

١ - **عدم قبول شهادة شاهد الزور:** لأنه غير مؤتمن، وبالتالي لا تقبل شهادته، قال :{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ}

[النور: ٤١].

٢ – نفي الإيمان عن شاهد الزور: قال :{إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَـذِبَ الَّـذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله وَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ} [النحل: ١٠٥].

٣ – عـدم الفـلاح: قـال :{وَلاَ تَقُولُـوا لِمَـا تَـصِفُ أَلْـسِنَتُكُمُ الكَـذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَـذَا حَـرَامٌ لِّتَفْـتَرُوا عَـلَى الله الكَـذِبَ إِنَّ الَّـذِينَ يَفْـتَرُونَ عَـلَى الله الكَـذِبَ لاَ يُفْلِحُـونَ * مَتَـاعٌ قَلِيـلٌ وَلَهُـمْ عَـذَابٌ أَلِـيمٌ} [النحل: ١١٦، ١١٧].

٤ – عدم الهداية: قال :{إِنَّ الله لاَ يَهْدِي مَنْ هُـوَ كَـاذِبٌ كَفَّـارٌ} [الزمر: ٣].

٥ – النفـاق: روى البخـاري ومسلم أن الرسـول قـال:آيـة المنـافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان.

٦ – الفـسق: قـال :{يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا إِن جَـاءَكُمْ فَاسِـقٌ بِنَبَـأٍ فَتَبَيَّنُـوا أَن تُـصِيبُوا قَوْمـاً بِجَهَالَـةٍ فَتُـصْبِحُوا عَـلَى مَـا فَعَلْـتُمْ نَـادِمِينَ} [الحجرات: ٦].

٧ – سـواد القلـب: روى مالـك أن الرسـول قـال:لا يـزال العبـد يكذب، ويتحرى الكذب، فتنكت في قلبه نكتةٌ سوداء، حتى يسود قلبُـه، فيُكتبُ عند الله من الكاذبين.

٨ – التعزيـر: ويكـون ذلـك بتلطيخ وجـه شـاهد الـزور بـالطين، وحلق رأسه، والطواف به في الأسواق، كما قال الإمام مالك.

ثانياً: العقوبات التـي في القبر:

أن يعـذب بكلـوب مـن حديـد فـي شـدقيه، روى البخـاري ومسلم عَـنْ سَـمُرَةَ بْـنِ جُنْـدَبٍ قَـالَ: كَـانَ النَّبِـيُّ إِذَا صَـلَّى صَـلاَةً أَقْبَـلَ عَلَيْنَـا بِوَجْهِـهِ، فَقَـالَ:مَـنْ رَأَى مِـنْكُمْ اللَّيْلَـةَ رُؤْيَـا؟ قَـالَ: فَـإِنْ رَأَى أَحَـدٌ قَـصَّهَا، فَيَقُـولُ مَـا شَـاءَ الله، فَسَأَلَنَا يَوْمًـا فَقَـالَ:هَـلْ رَأَى

أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ قُلْنَا: لا، قَالَ: لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَيُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ.... قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثالثاً: العقوبات الأخروية:

١ – الفضيحة على رؤوس الخلائق يوم القيامة: فالله يكشف يوم القيامة عن حقيقة شاهد الزور، أمام الملائكة والأنبياء والصالحين وكل الخلائق؛ لأنه كذاب، فقال :{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨].

٢ - سواد الوجه يوم القيامة: فالله يسود وجه شاهد الزور يوم القيامة؛ لأنه كذاب، فقال :{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٦٠].

٣ - اللعن: فالله حكم على شاهد الزور باللعن؛ لأنه كذاب، فقال :{فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} [آل عمران: ٦١].

٤ - الهلاك في النار: فالرسول حكم على شاهد الزور بالنار يوم القيامة؛ لأنه كذاب فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار.

٥ - **سكنى ردغة الخبــال**: وهذا المكان أعد لشاهد الزور، فروى أحمد والطبراني أن الرسول قال:**من حالت شفاعته دون حد من حدود الله ، فقد ضار الله ، ومن خاصم في باطل وهو يعلــم، لم يــزل في ســخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ردغة الخبــال، حتــى يَخرجَ مما قال**. ورغدةُ الخبال: عصارةُ أهل النار، أو عرقُهم.

* * *

السبب الثامن عشر: عقوق الوالدين

عقوق الوالدين

أسبـاب عـذاب القبـر

عقوق الوالدين

الحمد لله رب العالمين: الذي خلق آدم من طين فسواه، ورد إلى يعقوب بصره حين ابيضت عيناه، وقال لحبيبه محمد :{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ} [النحل: ١٢٧].

الملك ملكه، والحكم حكمه، والأمر أمره، إنما أمره بين الكاف والنون إذا قال للشيء كن فيكون.

سبحانه: أعد الجنة والرحمة لمن أطاعه، وأعد النار وسخطه لمن عصاه، فقال :{إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ العُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى) [طه: ٧٤ - ٧٦].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: نهانا عن العقوق، ورتب العقاب الشديد عليه، فقال :{وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [الرعد: ٢٥].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : حذرنا من عقوق الوالدين، وبين لنا ما يترتب عليه، فروى الطبراني في معجمه الأوسط أن الرسول قال:... **وإياكم وعقوق الوالدين، فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جار إزاره خيلاء، إنما الكبرياء لله رب العالمين** فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام:

ما زال الحديث موصولاً في أسباب عذاب القبر، وها نحن اليوم مع سبب آخر من أسباب عذاب القبر ألا وهو: **عقوق الوالدين**.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن الوالدين هما أصحاب الفضل الأكبر على الإنسان بعد الله ، فهما سبب وجودك في هذه الدنيا، ولقد تحملا من التعب والعناء ما لا يمكن أن يتحمله أحدٌ، فبفضل رعاية الأب والأم قوي عضدُك واشتد ساعدُك، حتى صرتَّ إنساناً كاملاً، ورجلاً قوياً على الجهاد في معترك الحياة.

ومن أجل هذا: أوجب الله البر للوالدين والإحسان إليهما، وقد قرن ذلك بتوحيده، فقال :{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا} [الإسراء: ٢٣].

وقال :{وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [النساء: ٣٦].

ولقد جعل الرسول بر الوالدين من أفضل القربات التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه ، فروى البخاري ومسلم أن ابن مسعود قال: سألت الرسول أي العمل أحب إلى الله ؟ فقال الرسول :**الصلاة لوقتها** قلت: ثم أي؟ قال :**بر الوالدين** قلت: ثم أي؟ قال :**الجهاد في سبيل الله** .

بل قدم الرسول بر الوالدين على الهجرة والجهاد في سبيل الله ، فروى مسلم أنَّ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ

إلى نَبيِّ الله فقالَ: أُبَايِعُكَ عَلى الهجْرَةِ وَالجِهَادِ، أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ الله ، قالَ :فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ قالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلاَهُمَا، قالَ :فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ الله قالَ: نَعَمْ، قالَ :فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا.

الحقيقة الثانية: إن الإنسان منا مهما قدم لوالديه فهو قليل في جانب ما قدماه، فمهما قدم الإنسان من معروف، ومهما فعل من خير، فلن يستطيع أن يؤدي ولا جزءاً يسيراً مما قدمه الوالدان طوال مراحل عمر الإنسان المختلفة، ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى مسلم وغيرُه أن الرسول قال:لا يجزي ولدٌ والدَه، إلا أن يجدَه مملوكاً، فيشتريه فيعتقَه.

وروى البخاري في الأدب المفرد وأبو داود في الأدب أن ابن عمر شهد رجلاً يمانياً يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره، وهو يقول:

إني لها بعيرُها المذلل ::: إن أُذعرتْ ركابُها لم أُذعر
الله ربي ذو الجلال الأكبر
حملتُها أكثر مما حملت ::: فهل ترى جازيتها يا ابن عمر

ثم قال: يا بن عمر أتراني جازيتُها؟ قال ابن عمر : لا، ولا بزفرة واحدة، وفي رواية: ولا بسهر ليلة من لياليها عليك، ولكن قد أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيراً.

الحقيقة الثالثة: إن الله حرم علينا جميعاً عقوق الوالدين، فقال : {فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا} [الإسراء: ٢٣].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:إِنَّ الله حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ.

ونظر الرسول إلى العقوق نظرة عدائية، فجعله شؤما وشراً

مستطيراً، ومن أكبر الكبائر، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ ثلاثا، قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قالَ : الْإِشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فقالَ:أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

ولقد دعا الرسول بالذل على العاق لوالديه، فروى مسلم أن الرسول قال:رَغِمَ أَنْفُ أي لصقه بالتراب، والمقصود الدعاء عليه بالذلثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قالَ : مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ.

فمن أدرك أبويه أو أحدَهما حياً، ولم يكن سبباً في دخوله الجنة، استحق نار جهنم، فروى الحاكم عن كعب بن عُجْرَةَ قال: قال رسول الله :أحضروا المنبر فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال:آمين فلما ارتقى الدرجة الثانية، قال:آمين فلما ارتقى الدرجة الثالثة، قال:آمين.

فلما نزل، قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه، قال :إن جبريل عَرَض لي فقال: بُعداً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له، قلت: آمين، فلما رقيت الثانية، قال: بعداً لمن ذُكِرتَّ عنده فلم يُصل عليك، قلت: آمين، فلما رقيت الثالثة، قال: بعداً لمن أدرك أبواه الكبر، أو أحدهُمَا، فلم يُدخِلاه الجنة، قلت: آمين.

الحقيقة الرابعة: إن عقوق الوالدين وبخاصة الأم يكون سبباً في استجابة الله دعوة الأم على ابنها العاق، فروى مسلم وأحمد عَنْ أبي هُرَيْرَةَ كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَتِهِ، قَالَ: فَأَتَتْهُ أُمُّهُ، فقالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فكَلِّمْنِي، قالَ: وكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَصِفُ كَمَا كَانَ رَسُولُ الله يَصِفُهَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى حَاجِبِهِ الأَيْمَنِ، قَالَ: فصَادَفَتْهُ يُصَلِّي، فقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فاخْتَارَ صَلاتَهُ، فرَجَعَتْ ثُمَّ أَتَتْهُ، فصَادَفَتْهُ يُصَلِّي، فقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فكَلِّمْنِي، فقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فاخْتَارَ صَلاتَهُ، ثُمَّ أَتَتْهُ فصَادَفَتْهُ يُصَلِّي، فقالَتْ: يَا جُرَيْجُ

أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَاخْتَارَ صَلاتَهُ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَإِنَّهُ ابْنِي، وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، اللَّهُمَّ فَلا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ.

وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَتَنَ لافْتُتِنَ، قَالَ: وَكَانَ رَاعٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ: قَالَ: فَخَرَجَتْ امْرَأَةٌ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي، فَوَلَدَتْ غُلامًا، فَقِيلَ: مِمَّنْ هَذَا؟ فَقَالَتْ: هُوَ مِنْ صَاحِبِ الدَّيْرِ، فَأَقْبَلُوا بِفُؤُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَى الدَّيْرِ، فَنَادَوْهُ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ، فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: سَلْ هَذِهِ الْمَرْأَةَ، قَالَ: أُرَاهُ تَبَسَّمَ، قَالَ: ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ، قَالَ: رَاعِي الضَّأْنِ، فَقَالُوا: يَا جُرَيْجُ: نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ، قَالَ: لا، وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ، ثُمَّ عَلاهُ.

فاحذر أيها الابن العاق دعوة الأم عليك، فإن الله يستجيب دعائها على ابنها العاق، كما يستجيب دعائها لابنها البار.

أخـوة الإسلام:

إن عقـوق الوالـدين لـه مظـاهر متنوعـة وأشكال عديدة، فتعـالوا معي لنتعرف على مظاهر عقوق الوالدين.

أولاً: إدخال الحزن والبكاء عليهما: سواء ذلك بالقول أو بالفعل، أو بالتسبب في ذلك، فكثير من الأولاد وخاصـة الشباب يتعمدون القيام بأعمال تكون سبباً في إدخال الحزن على الوالدين، وبالتالي إبكائهما، وإذا نظرنا إلى الواقع الذي نعيش فيه نجد أن هذا الشكل من العقوق منتشر في هذه الأيام.

والرسـول رفـض هـذا الشكل مـن العقـوق، فـروى أبـو داود أن رجـلاً جـاء رجـل إلـى النبـي يبايعـه علـى الهجـرة، فقـال: إنـي جئـت أبايعك علـى الهجـرة، وتركـت أبـواي يبكيـان، فقـال :ارجـع إلــيهما، فأضحكهما كما أبكيتهما.

فانظر أخي المسلم إلى هذا الرجل وماذا فعل؟ إنه جاء إلى الرسول ليبايعه على الهجرة، وهذا العمل مشروع وواجب عليه، ولكن هذا العمل جعل الوالدين يبكيان، فأمره الرسول بالرجوع مرة ثانية إلى الوالدين، ويترك الهجرة؛ لأن بهجرته سبب إدخال الحزن والبكاء على والديه، بل لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أمره الرسول بإدخال السرور والفرح عليهما، كما أدخل الحزن عليهما، فقال الرسول له:فأضحكهما كما أبكيتهما.

ولكن من أين لنا برسول الله الآن؛ ليرى جموع الشباب وهي ترتكب أعمالاً تكون سبباً في إدخال الحزن على الأبوين وإبكائهما، فليحذر كلُ ابنٍ فينا من إدخال الحزن على والديه، فإن ذلك من العقوق لهما.

ثانياً: النهر والزجر: ويتحقق هذا برفع الصوت والإغلاظ عليهما بالقول، وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أن الله نهانا عن نهر وزجر الوالدين، فقال :{وَلاَ تَنْهَرْهُمَا} [الإسراء: ٢٣].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أمرنا الله أن نتأدب عند مخاطبة الوالدين، وأن نتصف باللين في الكلام معهما، فقال : {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء: ٢٤].

فإذا كان الشرع قد نهانا عن النهر والزجر للوالدين، إلا أنه نجد كثيراً من الأبناء يرتكبون هذا المظهر من مظاهر العقوق، مدعين أن لهم السطوة في القول والفعل، طالما هو الذي ينفق من ماله.

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على سوء أدب من الابن لوالديه، فليحذر كل ابن فينا أن يقوم بنهر أبويه وزجرهما، فإن ذلك يعرضه لغضب المنتقم الجبار.

واسمع معي أخي المسلم إلى هذا الحوار الذي دار بين عبد الله بن عمر ورجل آخر، فروى البخاري في الأدب المفرد أن عبد الله

بن عمر قال لرجل: أتفرق من النار، وتحب أن تدخل الجنة؟ قال الرجل: إي والله، قال ابن عمر : أحي والداك؟ فقال الرجل: عندي أمي، قال ابن عمر : فو الله لو ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر.

وكان أحد سلفنا الصالح تناديه أمه ذات مرة، فأجابها، فعلا صوتُه على صوتها، فأعتق رقبتين.

ثالثاً: التأفف والتضجر من الأوامر: فكم من الأبناء إذا أمره والداه بأي أمر، أو طلبا منه أي طلب، تجده يتأفف ويتضجر، ويُصدِّر كلامَه بكلمة أف، ويتذمر من طلبات أبويه، فهذا من العقوق الذي قد نهانا عنه الشرع، فقال :{فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ} [الإسراء: ٢٣].

وروي أن الرسول قال:**لو علم الله شيئاً أدنى من الأف، لنهى عنه.**

رابعاً: العبوس في الوجه: فبعض الأبناء يجده في المجالس بشوشاً مبتسماً حسن الخلق، ينتقي من الكلام أحسنه، ومن الحديث أعذبه، فإذا ما دخل المنزل، وجلس بحضرة والديه انقلب ليثاً هصوراً، لا يلوي على شيء، فتبدلت حاله، وذهبت وداعته، وتولت سماحته، وحلت غلظته وفظاظته وبذاءته، مع أن الأولى بالبشاشة وحسن الخلق هما الوالدين.

فروى الترمذي وابن ماجه والبيهقي أن الرسول قال:**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي.**

وتعلم أخي المسلم من سيدنا إبراهيم وهو يدعو أباه إلى التوحيد، وأباه يدعوه إلى الشرك، وسيدنا إبراهيم يرشده بحلم، لكن أباه يعترضه بغضب وشدة، فلم يعبس في وجهه، ولم يغلظ له في القول، فقال :{وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياًّ * يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ

الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِياًّ * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِياًّ * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِياًّ * قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِياًّ * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِياًّ} [مريم: ٤١ - ٤٧].

فسيدنا إبراهيم في هذا الحوار لم يصف أباه بالجهل المفرط، ولم يصف نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم، وشيئاً منه ليس معك، فاقبل قولي ونصحي.

فيا ليتنا نقتدي به؛ لأن الله جعله قدوة لنا، فقال :{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} [الممتحنة: ٤].

خامساً: اللعن: فكثير من الأبناء في هذه الأيام يقيمون بسب وشتم ولعن والديه، إما مباشرة أو بالتسبب في ذلك، كأن يسب الابن أبَ أحدٍ من الناس، فيرد عليه بسب أبيه.

ولقد جعل الرسول هذا النوع من العقوق من الكبائر، فروى مسلم وغيرُه أَنَّ رَسُولَ الله قال:مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ قالُوا يَا رَسُولَ الله: هَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قالَ :نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ.

سادساً: إيثار الزوجة على الوالدين: فمن الأبناء من يقدم طاعة الزوجة على طاعة والديه، ويؤثرها عليهما، فلو طلبت الزوجة منه أدنى طلب، قام على الفور بتلبيته، حتى ولو طلبت منه الزوجة بطرد والديه لطردهما، حتى ولو كان بلا مأوى، ونرى بعض الأبناء من يقدم حقوق الزوجة على حقوق الوالدين، وهذا ما يقع فيه كثير من الأبناء في هذه الأيام.

سابعاً: عدم الاعتداد برأيهما: فبعض الأبناء لا يبالي برأي أبويه، فهذا من العقوق، وهذا واضح في شبابنا اليوم، فعندما يأمر الأب ابنه

بعدم مصاحبة شخص بعينه؛ لأنه من رفقاء السوء، تجد الابن لا يبالي بهذا الطلب، ولا ينفذه، ويدعي بأنه يعرف ما لا يعرفه أباه.

روى الترمذي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ لِيَ امْرَأَةً، وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلاقِهَا، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُ:**الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ، أَوْ احْفَظْهُ**.

وروى ابن حبان أن رجلاً أتى أبا الدرداء، فقال: إن أبي لم يزل بي حتى تزوجت، وإنه الآن يأمرني بطلاقها، قال أبو الدرداء: ما أنا بالذي آمرك أن تعق والدك، ولا أنا بالذي آمرك أن تطلق امرأتك، غير أنك إن شئت حدثتك ما سمعت من رسول الله سمعته يقول:**الوالد أوسط أبواب الجنة، فحافظ على ذلك إن شئت أو دع**.

ثامناً: التخلي عنهما وقت الحاجة أو الكبر: فبعض الأولاد إذا كبر وصار له عملاً يتقاضى منه مقابل، تخلى عن والديه، واشتغل بخاصة نفسه، ويرفض أن ينفق على والديه، وإذا أنفق يريد مقابل هذا الإنفاق.

فروي أن ولداً اشتكى إلى رسول الله أباه، وأنه يأخذ ماله، فدعا به، فإذا هو شيخ يتوكأ على عصا، فسأله الرسول ، فقال: إنه كان ضعيفاً وأنا قوي، وكان فقيراً وكنت أنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قوي، وأنا فقير وهو غني، ويبخل عليَّ بماله، فبكى الرسول وقال:**ما من حجر ولا مُدَر يسمع هذا، إلا بكى**.

تاسعاً: السفر من غير إذنهما: فالسفر أيا كان سببه، حتى ولو كان السفر للجهاد في سبيل الله ، لا بد وأن يكون بإذن الأبوين، فإذا سافر الابن من غير إذن الأبوين يكون عاقاً.

ولقد نهانا الرسول عن السفر من غير إذن الوالدين، فروى أبو داود عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ رَجُلاً هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ الله مِنَ الْيَمَنِ، فَقَالَ :**هَلْ لَكَ أَحَدٌ بِالْيَمَنِ** قَالَ: أَبَوَاىَ، قَالَ :**أَذِنَا لَكَ؟** قَالَ: لاَ،

قالَ :ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَاسْتَأْذِنْهُمَا، فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ، وَإِلاَّ فَبِرَّهُمَا.

واسمع معي أخي المسلم إلى هذا النموذج الرائع من سلفنا الصالح وهو أويس القرني، روى مسلم وأحمد أن عمر بن الخطاب إذا

أتى أمداد اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس ابن عامر، قال عمر : أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال عمر : كان بك برص، فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال عمر : ألك والدة؟ قال: نعم، قال عمر : سمعت الرسول يقول:يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن من مراد ثم من قرن، كان به أثر برص، فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بار بها، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لي، فاستغفر له، فقال له عمر : أين تريد؟ قال: الكوفة، قال عمر : ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحبُّ إلي.

فالذي منع أويس من القدوم على المدينة للقاء رسول الله بره بأمه، فلما بر أمه بر الله قسمه، بل وأبر الله شفاعته.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على أسباب عقوق الوالدين.

السبب الأول: الجهل: فالجهل داء قاتل، والجاهل عدو لنفسه، فإذا جهل الفرد عواقب العقوق العاجلة والآجلة، وجهل ثمرات البر العاجلة والآجلة، قاده ذلك إلى العقوق، وصرفه عن البر.

السبب الثاني: سوء التربية: فالولدان إذا لم يربيا أولادهما على التقوى والبر والصلة، فإن ذلك سيقودهم إلى التمرد والعقوق، ونحن للأسف الشديد افتقدنا التربية الإيمانية للأولاد، وأصبح الجميع اليوم يشكو مر الشكوى من سوء أخلاق الأبناء، والكل يسأل ما السبب؟

ونسى الجميع أن السبب هو سوء التربية، أو إن شئت قل: عدم التربية الإيمانية.

والرسول أعطى لنا النموذج الرائع في التربية الإيمانية للأولاد، فروى البخاري عن عُمَرَ ابْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ: كُنْتُ غُلامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ الله وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله :يَا غُلَامُ: سَمِّ الله، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.

وروى الترمذي عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله يوماً، فقال:يا غلام: إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف.

السبب الثالث: التناقض: ويتحقق ذلك بأن الوالدين يعلمان الأولاد وهما لا يعملان بما يعلمان، بل ربما يعملان نقيض ذلك، فهذا الأمر يدعو للتمرد والعقوق، ولقد حذرنا المولى من هذا، فقال:{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٤٤].

وقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ} [الصف: ٢، ٣].

السبب الرابع: الصحبة السيئة للأولاد: وهذا من أخطر الأشياء على الأولاد، ولها الأثر الواضح على العقوق، كما أنها ترهق الوالدين، وتضعف أثرهما في التربية، والرسول حذرنا من الصحبة السيئة، روى أحمد أن الرسول قال:الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ) وفي رواية: (مَنْ يُخَالِلُ.

ولقد بين الله لنا النتيجة الحتمية لصحبة السوء، فقال : {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً} [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

السبب الخامس: التفرقة بين الأولاد: فهذا العمل يورث في نفوس الأولاد الشحناء والبغضاء، ويسود بينهم روح الكراهية، ويقودهم إلى بغض الوالدين وقطيعتهما.

ولقد أمرنا الرسول بالتسوية بين الأولاد، فروى البيهقي أن الرسول قال: سَوُّوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ، فَلَوْ كُنْتُ مُفَضِّلاً أَحَدًا، لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ.

وفي رواية: سووا بين أولادكم في العطية، كما تحبون أن يسووا بينكم في البر.

وروى البخاري عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ الله ، فَأَتَى رَسُولَ الله فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ : أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا قَالَ: لا، قَالَ :فَاتَّقُوا الله وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ.

السبب السادس: سوء خلق الزوجة: فقد يبتلى الإنسان بزوجة سيئة الخلق، لا تخاف الله ، ولا ترعى الحقوق، فتجدها تغري الزوج بأن يتمرد على والديه، أو يخرجهما من المنزل، أو يقطع إحسانه عنهما، ليخلو لها الجو بزوجها، وتستأثر به دون غيره.

جاء في تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري: أن سيدنا إبراهيم استأذن سارة أن يأتي هاجر، فأذنت له، وشرطت عليه ألا ينزل، فقدم وقد ماتت هاجر، فذهب إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته:

أين صاحبك؟ قالت: ليس هاهنا، ذهب يتصيّد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم يتصيّد، ثم يرجع، قال إبراهيم : هل عندك ضيافة؟ قالت: ليس عندي ضيافة، وما عندي أحد، فقال إبراهيم : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له: فليغيّر عتبة بابه.

وعاد إبراهيمُ ، وجاء إسماعيلُ فوجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل عندك أحد؟ قالت: جاءني شيخ كذا وكذا، كالمستخفّة بشأنه، قال: فما قال لك؟ قالت: قال: أقرئي زوجك السلام، وقولي له: فليغيّر عتبة بابه، فطلّقها وتزوج أخرى.

فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل، فأذنت له وشرطت عليه أن ينزل، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب ليتصيّد وهو يجيء الآن إن شاء الله ، فانزل يرحمك الله.

فقال : هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، قال : فهل عندك خبز أوبرٌّ أو شعير لكانت أكثر أرض الله من ذلك، فقالت: انزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بالمقام بالإناء فوضعته عند شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه، فغسلت شقّ رأسه الأيمن ثمّ حوّلت المقام إلى شقه الأيسر ففعلت به كذلك، فقال لها : إذا جاء زوجك فأقرئيه عني السلام، وقولي له: قد استقامت عتبة بابك.

فلمّا جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءكِ أحد؟ قالت: نعم، شيخ أحسن النّاس وجهاً، وأطيبهم ريحاً، فقال: لي كذا وكذا، وقلتُ: له كذا وكذا، وغسلت رأسه، وهذا موضع قدمه، وهو يُقرئك السلام، ويقول: قد استقامت عتبة بابك، قال : ذلك إبراهيم .

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله للعاق لوالديه:

أولاً: العقوبات الدنيوية:

١ - **عقوق الوالدين يُذهب إشراقة الوجه ويُطفئ نورَه**: روى الطبراني في معجمه الأوسط، أن الرسول قال: **احفظ وُدَّ أبيك، لا تقطعه، فيُطفئ الله نورَك.**

٢ - **عدم قبول الأعمال**: روى الطبراني في معجمه الكبير أن الرسول قال: **ثَلاثَةٌ لا يُقْبَلُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ: عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ، وَمُكَذِّبٌ بِقَدَرٍ.**

وروى الطبراني في معجمه الكبير أن الرسول قال: **ثَلاثَةٌ لا يَنْفَعُ مَعَهُنَّ عَمَلٌ: الشِّرْكُ بالله، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ.**

٣ - **اللعن**: روى مسلم أن الرسول قال: **لَعَنَ الله مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ الله مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ الله مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ الله مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ.**

٤ - **تعجيل العقوبة في الدنيا قبل الممات**: روى الحاكم أن الرسول قال: **كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات.**

وروى البزار أن الرسول قال: **كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ الله مِنْهَا مَا شَاءَ، إِلاَّ الْبَغْيَ وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، يُعَجِّلُهُ الله لِصَاحِبِهِ قَبْلَ الْمَمَاتِ.**

وإن في حوادث الأيام لو تفكرنا فيها لثبت لنا صحة هذا، فروى الأصمعي أن رجلا من الأعراب حدثه فقال: خرجت من الحي أطلب أعَقَّ الناس، وأبرَّ الناس، فكنتُ أطوفُ بالأحياء، حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبلٌ، يَستقِي بدَلوٍ لا تُطِيقُه الإبلُ في الهاجرة والحرُّ شديدٌ، وخلفه شابٌ في يده رِشَاءٌ (حبل) من قِدٍّ (السوط، وهو في الأصل سير يقد، أي يقطع من جلد مدبوغ) ملويٍّ يضربه به، قد شقَّ ظهره بذلك الحبل، فقلت: أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيفِ؟ أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تَضربَه؟ قال: إنه مع هذا أبي.

قلت: فلا جزاك الله خيراً، قال: اسكت، فهكذا كان هو يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع أبوه بجده، فقلت: هذا أعقُّ الناس.

ثانياً: العقوبات التـي في القبر:

روى الذهبي في كتاب الكبائر أن الرسول قال:رأيت ليلة أسري بي أقواماً في النار، معلقين في جذوع من نار، فقلت يا جبريل: من هؤلاء؟ قال جبريل : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا.

وذكر أيضاً:أنه من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من نار، بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض.

وذكر أيضاً:أنه إذا دفن عاق لوالديه، عصره القبر، حتى تختلف أضلاعه.

ثالثاً: العقوبات التـي في الآخرة:

١ – لا ينظر الله إليه يوم القيامة: روى الحاكم والنسائي أن الرسول قال:ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عاق والديه، ومدمن الخمر، ومنان بما أعطى.

٢ – عدم دخول الجنة: روى أحمد أن الرسول قال:ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ الله عَلَيْهِمْ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ

وروى الطبراني في معجمه الأوسط أن الرسول قال:... وإياكم وعقوق الوالدين، فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جار إزاره خيلاء، إنما الكبرياء لله رب العالمين.

* * *

السبب التاسع عشر: قذف المحصنات الغافلات المؤمنات

قذف المحصنات

أسباب عذاب القبر

قذف المحصنات الغافلات المؤمنات

الحمد لله رب العالمين: الذي شمل إحسانه كل حي، فكيف إنعامه؟ إنعامه ملء الوجود وزاد، فكيف رحمته؟ رحمته وسعت كل شيء، فكيف جنته؟ جنته عرضها السماوات والأرض، فكيف عرشه؟ عرشه فوق السبع الطباق، فكيف وجهه؟ وجهه ذو الجلال والإكرام، فكيف هو؟ قال :{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السماوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزخرف: ٨٤،٨٥].

سبحانه: يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون، وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: أعلن الحرب على كل من تسول له نفسه أن يستطيل في عرض أخيه المسلم أو أخته المسلمة، فقال : {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ الله دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الله هُوَ الحَقُّ الْمُبِينُ} [النور: ٢٣ - ٢٥].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً : توعد الذين يقذفون الناس في أعراضهم بالعذاب الأليم، فروى أبو داود والطبراني أن الرسول قال:... وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ، أَسْكَنَهُ الله رَدْغَةَ الْخَبَالِ، حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ، فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب عذاب القبر، ألا وهو: قذف المحصنات الغافلات المؤمنات، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول

فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن نتناول موضوعنا اليوم يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: إن اللسان من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وهو نعمة تستحق أن نشكر الله عليها، وهو دليل على قدرة الله ، ولقد أشار المولى إلى هذه الحقيقة، فقال :{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السماوات وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} [الروم: ٢٢].

وقال :{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ} [البلد: ٨، ٩].

فالله خلق اللسان ليذكره به الإنسان، ويستخدمه في طاعته ، ويتبادلَ به الرأي مع بني جنسه، ويعبرَ به عما يدور في فؤاده.

فاللسان هو المترجم لما حواه الجنان، يُزْرَعُ بقوله الحسناتُ والسيئاتُ، وهو أطيب عضو مع القلب إذا طابا، وأخبث عضو مع القلب إذا فسدا.

جاء في البداية والنهاية لابن كثير: " أنه قيل للقمان الحكيم: اذبح شاة، وأحضر أطيب ما فيها "، فذبحها، وأحضر القلب واللسان، ومرت أيام وقيل له: " اذبح شاة، وأحضر أخبث ما فيها "، فذبحها، وأحضر القلب واللسان.

فقيل له: طلبنا منك أطيب عضوين فأحضرت القلب واللسان، وطلبنا منك أخبث عضوين، فجئت بالقلب واللسان، فقال: هما أطيب ما في البدن إذا طابا، وأخبث ما فيه إذا خبثا.

ولذلك قال فاروق الأمة : " المرء بأصغريه: قلبه ولسانه " لم يقل بماله، ولا بسلطانه، ولا بحسبه ونسبه، وإنما بقلبه وبلسانه.

فالواجب على كل إنسان أن يستخدم لسانه فيما أحل الله ، وأن ينزهه عما حرم الله ، ولا يعرض نفسه لغضب المنتقم الجبار؛ لما رواه البخاري ومسلم أن الرسول قال:**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت.**

الحقيقة الثانية: إن استقامة الأعضاء متوقفةٌ على استقامة اللسان، وإن اعوجاج الأعضاء متوقفٌ على اعوجاج اللسان، ولذلك نجد أعضاء جسد الإنسان تنصح اللسان كل يوم، وتأمره بالالتزام.

ولقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة، فروى الترمذي وابن خزيمة وصحح الحديث الشيخ الألباني أن الرسول قال:**إذا أصبح ابنُ آدم: فإن الأعضاء تذكرُ اللسان، وتقول له: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا.**

وروى أحمد أن الرسول قال:**لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُه، ولا يدخل الجنة رجلٌ لا يأمن جارُه بوائقه.**

ولقد بين لنا الرسول أن النجاة في المحافظة على اللسان، فروى الترمذي أن عقبة بن عامر قال للرسول : ما النجاة؟، فقال الرسول :**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك.**

بل إن الرسول بين لنا أن إسلام الفرد لا يكمل ولا يصح إلا إذا حافظ الإنسان على لسانه، وسلم المسلمون من لسانه، فروى البخاري أن الرسول قال:**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.**

وكل ذلك لخطر الكلمة التي تخرج من اللسان، فبكلمة واحدة يدخل الفرد دين الله ، وبكلمة واحدة يخرج الفرد من دين الله ، وبكلمة واحدة ينال الفرد رضا الله ، وبكلمة واحدة ينال الفرد سخط الله ، وبكلمة واحدة تحل امرأة، وبكلمة واحدة تحرم المرأة، وبكلمة واحدة يسعد حزين، أو يحزن سعيد، وبكلمة واحدة ترمى امرأة

شريفة عفيفة، بكلمة واحدة يمزق الشمل، ويتفرق الأحبة، فكل كلمة تخرج من الإنسان هو مؤاخذ بها، قال : {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨].

وروى الترمذي أن معاذ بن جبل قال للرسول : يا نبي الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم؟، فقال الرسول : ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يَكبُّ الناسَ في النار على وجوهم، إلا حصائدُ ألسنتهم، وفي رواية: على مناخرهم.

وروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في النار سبعين خريفاً.

الحقيقة الثالثة: إن الدين الإسلامي جاء للحفاظ على الكليات الخمس: الدين، النفس، العقل، العرض، المال.

أما الدين: فهو أولى وأهم ما جاء الإسلام بحفظه وصيانته، فشرع الحدود، وأوجب الجهاد في سبيل الله ؛ من أجل الحفاظ على الدين وصيانته.

أما النفس: فقد حرم الإسلام قتلها بغير حق، وجعل ذلك من الكبائر، فقال : {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء: ٩٣].

وروى البخاري عن أنس بن مالك قال: ذكر رسول الله الكبائر، أو سئل عن الكبائر، فقال: الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين.

ثم أوجب القصاص للمحافظة على النفس، فقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٨، ١٧٩].

أما العقل: فقد صانه وحفظه من كل ما يفقده أو يزيله، فحرم الخمر وكل مسكر، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ الله وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ} [المائدة: ٩٠، ٩١].

ثم أوجب الحد على شارب الخمر؛ حفاظاً على العقل، فروى البخاري ومسلم عن أنس أن رسول الله أتي برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو الأربعين.

أما النسب: فقد حرم الزنا، فقال :{وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً} [الإسراء: ٣٢].

وأوجب فيه الحد الرادع، فقال :{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ الله إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٢].

أما العِرْض: فقد حافظ عليه وصانه من كل ما يشوه صورته، ويخدش كرامته وعفته وعدالته، فنهى المسلم عن أن يتكلم في عرض أخيه بما يؤذيه، فقال :{وَلاَ تلمزوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بالألقاب بِئْسَ الاسم الفسوق بَعْدَ الإيمان وَمَن لَّمْ يَتُبْ فأولئك هُمُ الظالمون} [الحجرات: ١١].

وأوجب في الكلام عن العرض حد القذف، وهو ثمانون جلدة، فقال :{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا} [النور: ٤، ٥].

أما المال: فقد حافظ عليه فمنع أخذه بغير حق شرعي، فقال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيراً} [النساء: ٢٩، ٣٠].

وأوجب على السارق حد السرقة، وهو قطع اليد؛ فقال : {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة: ٣٨].

وكل ذلك محافظة على المال، ودرءً للمفسدة عنه.

الحقيقة الرابعة: ما هو القذف؟ القذف هو: الرمي والسَّب، ومعناه هنا: رمي المرأة بالزنا، أو ما كان في معناه، والمحصنات: جمع محصنة وهي المرأة المتزوجة، والُمحْصَنَةُ، والُحْصِنةُ كذلك: هي المرأة العفيفة البعيدة عن الريبة والشك.

والغافلات: من الغفلة، وهي الترك والسهو، والغافلات: هن البريئات الطوايا، المطمئنات النفس؛ لأنهن لم يفعلن شيئا يحذرونه، ويخفن منه.

الحقيقة الخامسة: ما الأسباب التي تدعو الشخص لأن يخوض في عرض غيره؟

أولاً: الإيــذاء: فعندما يريد الإنسان أن يؤذي غيره، يسبه في عرضه، ويلطخ سمعته، وذلك مثل ما حدث من رأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، حينما أراد أن يؤذي الرسول في عرضه، فرمى السيدة الطاهرة عائشة واتهمها في شرفها.

ولقد رتب الله العقاب الشديد على من يتفنن في أذية خلق الله ، فقال :{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً} [الأحزاب: ٥٨].

ثانياً: أن يقصد الإنسان بالقذف التشفي من غيره: فيدعي عليه قبائح يخترعها عليه، وأوصافاً ينسبها إليه.

ثالثاً: الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم: فيكون من عادتهم السب والقذف، ولقد حذرنا الله من مصاحبة رفاق السوء، فقال :{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ

الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً} [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

وروى أحمد والطبراني أن أعرابياً قال للرسول : أوصني، فقال :عليك بتقوى الله، وإن امرؤ عيَّرك بشيء يعلمه فيك، فلا تعيره بشيء فيه، يكن وباله عليه، وأجره لك، ولا تسبن شيئاً، قال الأعرابي: فما سببت شيئاً بعده.

رابعاً: إشاعة الفاحشة في المجتمع: فالقاذف يريد أن تشيع الفاحشة في المجتمع الذي يعيش فيه، ولقد رتب الله العقاب الشديد على ذلك، فقال :{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ والله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [النور: ٢٠].

أخوة الإسلام:

لقد قام الشرع الحنيف بشن حملة مرعبة على هذه الجريمة ومرتكبها، فتعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من جريمة القذف ومرتكبها.

أولاً: كتب الله اللعن على مرتكب هذه الجريمة: فقال :{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: ٢٣].

وهو في هذه الحالة يتساوى مع إبليس؛ لأن الله كتب عليه اللعن، فقال:{قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} [الحجر: ٣٤، ٣٥].

ثانياً: إقامة الشهود عليه من أعضائه يوم القيامة: فقال :{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ الله دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الله هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} [النور: ٢٤، ٢٥].

وقال :{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ الله إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا

جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الخَاسِرِينَ * فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ} [فصلت: ١٩ - ٢٤].

ثالثاً: أوجب الله الحد على مرتكب هذه الجريمة: وهو ثمانون جلدة، فقال :{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً} [النور: ٤].

وعندما اتهمت السيدة عائشة (رضي الله عهنا) في عرضها، وخاض بعض الصحابة ♦ في عرضها، قام الرسول بحدهم ثمانين جلدة، وكان ممن حد: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش ♦، ولم يحد الرسول عبد الله بن أبي ابن سلول؛ لأن الله قد أعد له في الآخرة عذاباً عظيماً.

رابعاً: عدم قبول شهادة مرتكب هذه الجريمة: لأنه كاذب، فقال : {وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً} [النور: ٤].

وقال سيدنا عمر لأبي موسى الأشعري: "...وَالْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الشَّهَادَةِ، إِلاَّ مَجْلُودٌ فِي حَدٍّ، أَوْ مُجَرَّبٌ عَلَيْهِ شَهَادَةُ الزُّورِ، أَوْ ظَنِينٌ فِي وَلاَءٍ أَوْ قَرَابَةٍ... ".

خامساً: حكم الله على مرتكب هذه الجريمة بالفسق: فقال : {وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ} [النور: ٤].

ويقول في شأن الفاسق:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦].

ولقد كتب الله الخزي على الفاسق، فقال :{مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ الله وَلِيُخْزِيَ الفَاسِقِينَ} [الحشر: ١٩].

والفسق هو: عدم العمل بأحكام الشرعية، مع النطق بالشهادتين.

سادساً: حكم الله على القاذف بالكذب: فقال :{لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ الله هُمُ الكَاذِبُونَ} [النور: ١٣].

والكذب لا يجتمع مع الإيمان أبداً، فإذا وجد الإيمان في قلب العبد خرج الكذب، وإذا وجد الكذب خرج الإيمان، ولقد أشار المولى إلى ذلك، فقال :{إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله وَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ} [النحل: ١٠٥].

وأشار الرسول إلى ذلك أيضاً، فروى مالك عن صفوان بن سليم: أنه قيل لرسول الله : أيكون المؤمن جباناً؟ قال :نعم، قيل: أيكون المؤمن بخيلاً؟، قال :نعم، فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟، قال :لا.

أي لا يجتمع الإيمان والكذب أبداً، فالقاذف عند قذفه للمحصنات الغافلات المؤمنات يكون منتف عنه صفة الإيمان؛ لأنه كذاب.

سابعاً: قذف المحصنات علامة من علامات النفاق: لأنه مبني على الكذب، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال:أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.

وروى مسلم أن الرسول قال:آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: من إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ.

ثامناً: حكم الله على القاذف بسواد الوجه يوم القيامة: لأنه كاذب،

فقال :{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٦٠].

تاسعاً: كتب الله الفضيحة للقاذف على رءوس الخلائق يوم القيامة: لأنه كاذب، فقال :{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨].

فأي حسرة بعد هذه الحسرة؟ وأي ندامة بعد ما فضحوا في الآخرة، ونادى كلُ الخلائق عليهم بالإشارة: هؤلاء هم الذين كانوا يكذبون في الدنيا على الله وعلى عباده.

عاشراً: قذف المحصنات الغافلات من باب شهادة الزور: والقرآن الكريم جعل شهادة الزور تساوي الشرك بالله ، فقال : {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج: ٣٠].

ففي هذه الآية قرن الله شهادة الزور بعبادة الأوثان، وذلك دلالة على خطورة شهادة الزور.

وكذلك سوى الرسول بين شهادة الزور والشرك بالله ، فروى أحمد والترمذي أن الرسول قال:أيها الناس: عَدَلَت شهادةُ الزور إشراكاً بالله ، ثم قرأ الرسول قول الله :{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} [الحج: ٣٠].

وجعل الرسول شهادة الزور من أكبر الكبائر، فروى البخاري ومسلم عن أبي بكر قال: كنا عند رسول الله فقال:ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا: بلى يا رسول الله، قال :الإشراك بالله، وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس، ثم قال:ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت.

حادي عاشر: القذف من الموبقات: روى البخاري ومسلم روى أبو

هريرة أن رسول الله قال:اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال :الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

ثاني عشر: إحباط عمل القاذف: فروى الطبراني في معجمه الكبير أن الرسول الله قال:قذف محصنة يحبط عمل مائة سنة.

ثالث عشر: القذف نوع من أنواع الغيبة: والغيبة هي: أن تذكر الغير بصفة يكرهها، وتنسبَ إليه ما يُحقره في أعين الناس، وتصفه بقبيح ولو كان فيه.

روى مسلم وغيره عَنْ أبى هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ الله قالَ:أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟، قالُوا: الله وَرَسُولُهُ أعْلَمُ، قالَ :ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أفرَأَيْتَ إنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أقُولُ؟، قالَ :إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَقَدْ بَهَتَّهُ، ومعنى بهته: أي افتريت عليه الكذب.

ولقد شبه الله المغتاب بتشبيه تنفر منه النفوس، فشبهه بالكلب، فقال :{وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: ١٢].

فالكلب هو الحيوان الوحيد الذي يأكل لحم أخيه بعد موته، فالأسد لا يفعلها، وكذلك الذئب، حتى الثعلب يشمئز منها ولا يفعلها، لا يفعلها إلا الكلب.

فيا له من تشبيه عجيب، يجعل النفس تنفر، ويجعلها تشمئز، فمن الذي يمكن أن يفعل ذلك، إنه المغتاب، ذلكم الشخص الذي يخوض في أعراض الناس.

رابع عشر: القذف أربا الربا: روى الطبراني وأبو داود أن الرسول قال:الربا اثنان وسبعون باباً، أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا

استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم.

وعلى الرغم من هذا كله: إلا أنه قد اشتغل كثير من الناس بالقذف، فلا يتسامرون في مجالسهم ولا يتفكهون إلا بقذف أشخاص بأعينهم، يهتكون أستارهم، ويكشفون عوراتهم، ويتهجمون في غيبتهم على أعراضهم، ويبحثون عن العيوب فيُنشرونها، ويُفتشون عن المساوئ فيُظهرونها، كأن الله خلق لهم اللسان ليأخذوه تسلية ومنجلاً يحصدون به سيرة الناس، ويجعلونه مقرضاً يقطع لحوم البشر، ويمزق أعراضهم.

فلقد انتشر القذف في كل مكان، انتشر في الأسواق بين الشباب والشيوخ، انتشر في المقاهي وجميع مجالسنا، ولا أبالغ إذا قلت لكم: أن القذف منتشر في بيوت الله ، ومواضع الصلاة، تسمع بعض الناس وقد أطلقوا اللسان في تمزيق أعراض المؤمنين بالغيبة والبهتان، ونقل الكلام من فلان إلى فلان، بقصد الافتتان والتسلية في أعراض الناس.

ويجب أن يعلم الجميع: أن الذي ينشغل بالقذف ما هو إلا خبيث النفس، أو جبان، ثقيل طبعه على الناس، خفيف عمله في الميزان يوم القيامة، وينطبق عليه قول الله :{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً} [الكهف: ١٠٣ - ١٠٦].

وينطبق عليهم قول الله :{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ والله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [النور: ٢٠].

وينطبق عليهم قول الله :{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ الله

أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ} [المجادلة: ١٩].

أخـوة الإسـلام:

تعالوا معي لنسوق نموذجاً من أبشع نماذج القذف.

من هذه النماذج البشعة ما حدث للسيدة عائشة روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ الله مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ، وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي، أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنْ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ، فَاحْتَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ.

فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ يَدَهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ،

وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لا أَرَى مِنْ النَّبِيِّ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ:كَيْفَ تِيكُمْ لا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ مُتَبَرَّزُنَا، لا نَخْرُجُ إِلا لَيْلا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ، أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلا شَهِدَ بَدْرًا، فَقَالَتْ، يَا هَنْتَاهْ، أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا، فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله فَسَلَّمَ، فَقَالَ:كَيْفَ تِيكُمْ؟.

فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ الله ، فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ، فَقُلْتُ لأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فَوَ الله لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ الله! وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا؟

قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَدَعَا رَسُولُ الله عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ.

فَأَمَّا أُسَامَةُ: فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنْ الْوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ الله، وَلا نَعْلَمُ والله إِلا خَيْرًا.

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله لَمْ يُضَيِّقْ الله عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلْ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، فَدَعَا رَسُولُ الله بَرِيرَةَ، فَقَالَ يَا بَرِيرَةُ:هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ، فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ الْعَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ.

فقامَ رَسُولُ الله مِنْ يَوْمِهِ فاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فقالَ رَسُولُ الله :مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَ الله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي.

فقامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فقالَ يَا رَسُولَ الله: أنَا والله أعْذُرُكَ مِنْهُ، إنْ كَانَ مِنَ الأوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ.

فقامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فقالَ: كَذَبْتَ، لَعَمْرُ الله لا تَقْتُلُهُ، وَلا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فقامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فقالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله، والله لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَثَارَ الْحَيَّانِ الأوْسُ وَالْخَزْرَجُ، حَتَّى هَمُّوا وَرَسُولُ الله عَلَى الْمِنْبَرِ، فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، وَبَكَيْتُ يَوْمِي لا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ، وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، قالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي: إِذِ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ الله فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قالَتْ: فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قالَ يَا عَائِشَةُ:فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ الله، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ الله عَلَيْهِ.

فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي، حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لأبِي أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ الله قالَ: والله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ، فَقُلْتُ لأمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ الله فِيمَا قَالَ، قالَتْ: والله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله .

قالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ:

إنِّي والله لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إنِّي بَرِيئَةٌ، والله يَعْلَمُ إنِّي لَبَرِيئَةٌ، لا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ والله يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، لَتُصَدِّقُنِّي، والله مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلا إلا أَبَا يُوسُفَ، إِذْ قَالَ:{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ والله الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}

ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي الله، وَلَكِنْ والله مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ الله فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي الله، فَوَ الله مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ، حَتَّى إنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنْ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ الله وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: يَا عَائِشَةُ احْمَدِي الله، فَقَدْ بَرَّأَكِ الله، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إلَى رَسُولِ الله ، فَقُلْتُ: لا والله لا أَقُومُ إلَيْهِ وَلا أَحْمَدُ إلا الله، فَأَنْزَلَ الله : {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} الْآيَاتِ.

فَلَمَّا أَنْزَلَ الله هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ، والله لا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ الله :{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا إِلَى قَوْلِهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَلَى والله إنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ الله لِي، فَرَجَعَ إلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ الله يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ:يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، والله مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إلا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا الله بِالْوَرَعِ.

قال القرطبي: قال بعض أهل التحقيق: إن يوسف لما رمى

بالفاحشة، برأه الله على لسان صبي في المهد، وإن مريم لما رميت بالفاحشة، برأها الله على لسان ابنها عيسى ، وإن عائشة لما رميت بالفاحشة برأها الله بالقرآن، فما رضي لها ببراءة صبي ولا نبي، حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان.

وروي عن علي بن زيد بن جدعان عن جدته عن عائشة أنها قالت: لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتهن امرأة: لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر رسول الله أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكراً، وما تزوج بكراً غيري، ولقد توفي وإن رأسه لفي حجري، ولقد قبر في بيتي، ولقد حفت الملائكة بيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فينصرفون عنه، وأن كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه فما يُبينُني عن جسده، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلقت طيبة وعند طيب، ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً، تعني قوله :{لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [النور: ٢٦] وهو: الجنة.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله للقاذف، فهناك عقوبات دنيوية، وعقوبات في القبر، وعقوبات في الآخرة.

أولاً: العقوبات الدنيوية:

١ – عدم قبول شهادة القاذف: لأنه غير مؤتمن، وبالتالي لا تقبل شهادته، قال :{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ} [النور: ٤١].

٢ – نفي الإيمان عن القاذف: قال :{إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله وَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ} [النحل: ١٠٥].

٣ – عدم الفلاح: قال :{وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا

حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى الله الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الكَـذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النحل: ١١٦، ١١٧].

٤ – عدم الهداية: قال :{إِنَّ الله لاَ يَهْدِي مَنْ هُـوَ كَـاذِبٌ كَفَّـارٌ} [الزمر: ٣].

٥ – النفـاق: روى البخـاري ومسلم أن الرسـول قـال:آيـة المنـافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان.

٦ – الفسق: قـال :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُـوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦].

٧ – سـواد القلـب: روى مالـك أن الرسـول قـال:لا يـزال العبـد يكذب، ويتحرى الكذب، فتنكت في قلبه نكتةٌ سوداء، حتـى يـسود قلبُـه، فيُكتبُ عند الله من الكاذبين.

٨ – الجلد: قـال :{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُـهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً} [النور: ٤١].

ثانياً: العقوبات التـي في القبر:

أن يعذب بكلوب من حديد في شدقيه، روى البخاري ومسلم عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ إِذَا صَلَّى صَلاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَـا بِوَجْهِـهِ، فَقَالَ:مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَـا؟ قَـالَ: فَـإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ مَـا شَاءَ الله، فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ:هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ قُلْنَا: لا، قَـالَ:لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَيُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّـوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَـذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ.... قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَـالَا: أَمَّـا الَّـذِي رَأَيْتَـهُ يُـشَقُّ شِـدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُـصْنَعُ بِـهِ إِلَى يَـوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثالثاً: العقوبات الأخروية:

١ - الفضيحة على رؤوس الخلائق يوم القيامة: فالله يكشف يوم القيامة عن حقيقة القاذف أمام الملائكة والأنبياء والصالحين وكل الخلائق؛ لأنه كذاب، فقال :{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨].

٢ - سواد الوجه يوم القيامة: فالله يسود وجه القاذف يوم القيامة؛ لأنه كذاب، فقال :{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٦٠].

٣ - اللعن: فالله حكم على القاذف باللعن، فقال :{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} [النور: ٢٣ - ٢٥].

٤ - الهلاك في النار: فالرسول حكم على القاذف بالنار يوم القيامة؛ لأنه كذاب، فروى البخاري ومسلم أن الرسول قال: إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار.

٥ - سكنى ردغة الخبال: وهذا المكان أعد للقاذف، فروى أحمد والطبراني أن الرسول قال: من حالت شفاعته دون حد من حدود الله ، فقد ضار الله ، ومن خاصم في باطل وهو يعلم، لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ، ردغة الخبال، حتى يخرجَ مما قال وردغةُ الخبال: عصارةُ أهل النار، أو عرقُهم.

* * *

الفهرس

* * *